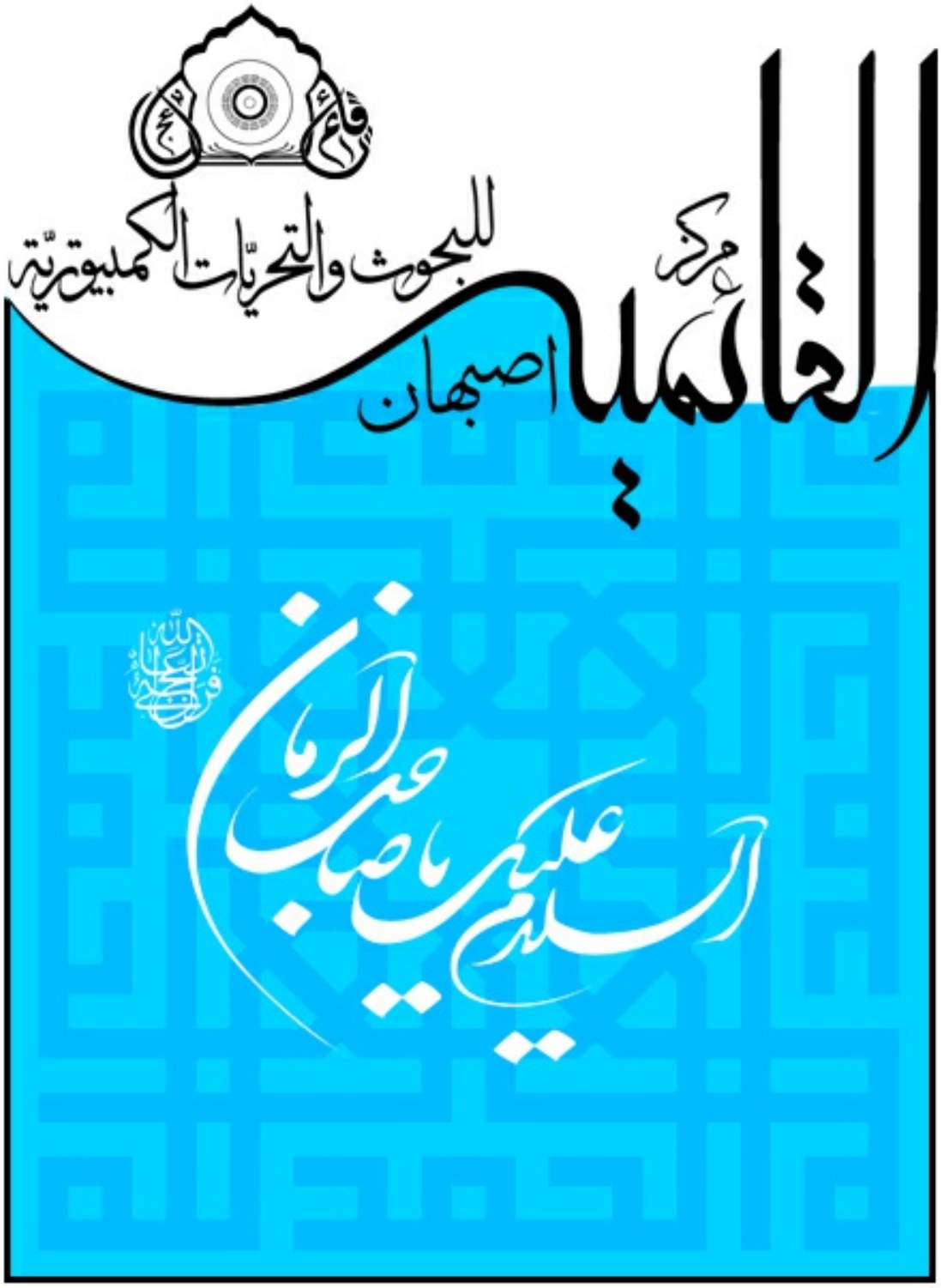

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

سماحة آية الله العظمى
السيد محمد تقي المدرسي

من هدى القرآن

الجزء التاسع

سورة الفاتحة - سورة البقرة - سورة آل عمران

دار القارئ

بسم الله الرحمن الرحیم

من هدى القرآن

كاتب:

آیت الله سید محمد تقی مدرسی

نشرت فی الطباعة:

دار محبی الحسین (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵

من هدی القرآن المجلد ۹ ----- ۱۸

اشاره ----- ۱۸

اشاره ----- ۱۹

الجزء التاسع ----- ۲۳

اشاره ----- ۲۳

سوره شعراء ----- ۲۳

اشاره ----- ۲۳

فضل السوره: ----- ۲۳

الإطار العام ----- ۲۵

[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۱ الی ۱۵] ----- ۲۹

اشاره ----- ۲۹

اللغه ----- ۲۹

إِنّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ----- ۳۱

هدی من الآیات: ----- ۳۱

بینات من الآیات: ----- ۳۲

[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۱۶ الی ۳۳] ----- ۴۰

اشاره ----- ۴۰

اللغه ----- ۴۰

إِنّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ ----- ۴۲

هدی من الآیات: ----- ۴۲

بینات من الآیات: ----- ۴۳

منطق الرسل: ----- ۴۳

منطق الطغاه: ----- ۴۴

[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۳۴ الی ۵۱] ۵۴
اشاره ۵۴
اللغه ۵۴
فَأُلْقِیَ السَّحَرَهُ سٰاجِدِینَ ۵۶
هدی من الآیات: ۵۶
بینات من الآیات: ۵۷
جمع السحره: ۵۷
فوقع السحره ساجدین: ۶۰
[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۵۲ الی ۶۸] ۶۷
اشاره ۶۷
اللغه ۶۷
کَذٰلِکَ وَ أَوْرَثْنٰاهٰا بَنِی إِسْرٰائِیلَ ۶۹
هدی من الآیات: ۶۹
بینات من الآیات: ۷۰
و کانوا هم الوارثین: ۷۰
[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۶۹ الی ۱۰۴] ۷۸
اشاره ۷۸
اللغه ۷۹
بَلْ وَجَدْنٰا آبٰاءَنٰا کَذٰلِکَ یَفْعَلُونَ ۸۰
هدی من الآیات: ۸۰
بینات من الآیات: ۸۱
[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۱۰۵ الی ۱۲۲] ۹۶
اشاره ۹۶
اللغه ۹۶
وَ مٰا أَنَا بِطٰارِدِ الْمُؤْمِنِینَ ۹۸
هدی من الآیات: ۹۸

بينات من الآيات: ----- ۹۹
[سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۱۲۳ الى ۱۴۰] ----- ۱۰۴
اشاره ----- ۱۰۴
اللغه ----- ۱۰۴
وَ تَتَّخِذُونَ مَصٰانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ----- ۱۰۶
هدى من الآيات: ----- ۱۰۶
بينات من الآيات: ----- ۱۰۷
[سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۱۴۱ الى ۱۵۹] ----- ۱۱۳
اشاره ----- ۱۱۳
اللغه ----- ۱۱۳
وَ لٰا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ----- ۱۱۵
هدى من الآيات: ----- ۱۱۵
بينات من الآيات: ----- ۱۱۶
خصائص الرسول: ----- ۱۱۶
فأت بآيه: ----- ۱۲۰
[سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۱۶۰ الى ۱۷۵] ----- ۱۲۲
اشاره ----- ۱۲۲
اللغه ----- ۱۲۲
أَ تَأْتُونَ الذُّكْرٰانَ مِنَ الْعٰالَمِينَ ----- ۱۲۳
هدى من الآيات: ----- ۱۲۳
بينات من الآيات: ----- ۱۲۴
أَ تَأْتُونَ الذُّكْرٰانَ ؟ ----- ۱۲۴
انى من القالين: ----- ۱۲۵
[سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۱۷۶ الى ۱۹۱] ----- ۱۲۸
اشاره ----- ۱۲۸
اللغه ----- ۱۲۸

وَ لٰا تَعْثَوْا فِی الْأَرْضِ مُفْسِدِینَ ---- ۱۳۰
هدی من الآیات: ---- ۱۳۰
بینات من الآیات: ---- ۱۳۱
وَ زِنُوا بِالْقِسْطٰاسِ الْمُسْتَقِیمِ: ---- ۱۳۱
[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۱۹۲ الی ۲۱۲] ---- ۱۳۵
اشاره ---- ۱۳۵
نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ ---- ۱۳۶
هدی من الآیات: ---- ۱۳۶
بینات من الآیات: ---- ۱۳۸
[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۲۱۳ الی ۲۲۷] ---- ۱۴۴
اشاره ---- ۱۴۴
اللغه ---- ۱۴۴
وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ ---- ۱۴۵
هدی من الآیات: ---- ۱۴۵
بینات من الآیات: ---- ۱۴۶
اشاره ---- ۱۴۶
الأفّاکون و الشعراء: ---- ۱۵۰
سوره النّمل ---- ۱۵۹
اشاره ---- ۱۵۹
فضل السوره: ---- ۱۶۱
الإطار العام ---- ۱۶۳
الاسم: ---- ۱۶۳
[سوره النمل (۲۷): الآیات ۱ الی ۶] ---- ۱۶۷
اشاره ---- ۱۶۷
اللغه ---- ۱۶۷
هُدیً وَ بُشْریٰ لِلْمُؤْمِنِینَ ---- ۱۶۸

هدی من الآیات: ---- ۱۶۸
بینات من الآیات: ---- ۱۷۱
[سوره النمل (۲۷): الآیات ۷ الی ۱۷] ---- ۱۷۳
اشاره ---- ۱۷۳
اللغه ---- ۱۷۳
بُورِکَ مَنْ فِی النّارِ وَ مَنْ حَوْلَها ---- ۱۷۵
هدی من الآیات: ---- ۱۷۵
بینات من الآیات: ---- ۱۷۶
[سوره النمل (۲۷): الآیات ۱۸ الی ۲۶] ---- ۱۸۳
اشاره ---- ۱۸۳
اللغه ---- ۱۸۳
وَ جِئْتُکَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ یَقِینٍ ---- ۱۸۵
هدی من الآیات: ---- ۱۸۵
بینات من الآیات: ---- ۱۸۷
اشاره ---- ۱۸۷
دروس من القصه: ---- ۱۹۲
[سوره النمل (۲۷): الآیات ۲۷ الی ۳۴] ---- ۱۹۳
اشاره ---- ۱۹۳
اللغه ---- ۱۹۳
أَلّا تَعْلُوا عَلَیَّ وَ أْتُونِی مُسْلِمِینَ ---- ۱۹۴
هدی من الآیات: ---- ۱۹۴
بینات من الآیات: ---- ۱۹۸
[سوره النمل (۲۷): الآیات ۳۵ الی ۴۴] ---- ۲۰۴
اشاره ---- ۲۰۴
وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَیْمانَ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ ---- ۲۰۶
هدی من الآیات: ---- ۲۰۶

بینات من الآیات: ---- ۲۰۸
[سوره النمل (۲۷): الآیات ۴۵ الی ۵۳] ---- ۲۱۶
اشاره ---- ۲۱۶
اللغه ---- ۲۱۶
أَنَّا دَمَّرْناهُمْ وَ قَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ---- ۲۱۸
هدی من الآیات: ---- ۲۱۸
بینات من الآیات: ---- ۲۲۰
[سوره النمل (۲۷): الآیات ۵۴ الی ۶۴] ---- ۲۲۷
اشاره ---- ۲۲۷
آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ---- ۲۲۹
هدی من الآیات: ---- ۲۲۹
بینات من الآیات: ---- ۲۳۱
[سوره النمل (۲۷): الآیات ۶۵ الی ۷۳] ---- ۲۳۹
اشاره ---- ۲۳۹
اللغه ---- ۲۳۹
تَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ---- ۲۴۰
هدی من الآیات: ---- ۲۴۰
بینات من الآیات: ---- ۲۴۲
[سوره النمل (۲۷): الآیات ۷۴ الی ۸۱] ---- ۲۴۷
اشاره ---- ۲۴۷
وَ إِنَّهُ لَهُدىً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ---- ۲۴۸
هدی من الآیات: ---- ۲۴۸
بینات من الآیات: ---- ۲۵۰
[سوره النمل (۲۷): الآیات ۸۲ الی ۹۳] ---- ۲۵۴
اشاره ---- ۲۵۴
اللغه ---- ۲۵۴

وَ كُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ ---- ۲۵۶
هدى من الآيات: ---- ۲۵۶
بينات من الآيات: ---- ۲۵۸
سوره القصص ---- ۲۶۵
اشاره ---- ۲۶۵
الإطار العام ---- ۲۶۷
اشاره ---- ۲۶۷
الاسم: ---- ۲۶۷
الإطار العام: ---- ۲۶۷
[سوره القصص (۲۸): الآيات ۱ الى ۹] ---- ۲۷۳
اشاره ---- ۲۷۳
اللغه ---- ۲۷۳
يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ---- ۲۷۵
هدى من الآيات: ---- ۲۷۵
بينات من الآيات: ---- ۲۷۷
وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ: ---- ۲۷۷
إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ: ---- ۲۸۲
[سوره القصص (۲۸): الآيات ۱۰ الى ۱۷] ---- ۲۸۵
اشاره ---- ۲۸۵
اللغه ---- ۲۸۵
فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ---- ۲۸۷
هدى من الآيات: ---- ۲۸۷
بينات من الآيات: ---- ۲۸۹
فَرَدَدْناهُ إِلى أُمِّهِ: ---- ۲۸۹
وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ: ---- ۲۹۲
[سوره القصص (۲۸): الآيات ۱۸ الى ۲۴] ---- ۲۹۷

اشاره ----- ۲۹۷
اللغه ----- ۲۹۷
رَبِّ نَجِّنِی مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِینَ ----- ۲۹۹
هدی من الآیات: ----- ۲۹۹
بینات من الآیات: ----- ۳۰۲
فاذا الذی استنصره یستصرخه: ----- ۳۰۲
فَاخْرُجْ إِنِّی لَکَ مِنَ النّاصِحِینَ: ----- ۳۰۶
[سوره القصص (۲۸): الآیات ۲۵ الی ۳۰] ----- ۳۱۳
اشاره ----- ۳۱۳
اللغه ----- ۳۱۳
آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً ----- ۳۱۵
هدی من الآیات: ----- ۳۱۵
بینات من الآیات: ----- ۳۱۶
اخلاقیات المهاجر: ----- ۳۱۶
[سوره القصص (۲۸): الآیات ۳۱ الی ۳۷] ----- ۳۲۵
اشاره ----- ۳۲۵
اللغه ----- ۳۲۵
بِآیاتِنا أَنْتُما وَ مَنِ اتَّبَعَکُمَا الْغالِبُونَ ----- ۳۲۷
هدی من الآیات: ----- ۳۲۷
بینات من الآیات: ----- ۳۲۹
اِذْهَبا إِلی فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغی: ----- ۳۲۹
[سوره القصص (۲۸): الآیات ۳۸ الی ۴۲] ----- ۳۳۵
اشاره ----- ۳۳۵
اللغه ----- ۳۳۵
إِنَّهُ لا یُفْلِحُ الظّالِمُونَ ----- ۳۳۶
هدی من الآیات: ----- ۳۳۶

بينات من الآيات: ----- ٣٣٧
أَنا رَبُّكُمُ الْأَعْلى: ----- ٣٣٧
أئمه النار: ----- ٣٣٨
[سوره القصص (٢٨): الآيات ٤٣ الى ٤٩] ----- ٣٤٢
اشاره ----- ٣٤٢
اللغه ----- ٣٤٢
بَصائِرَ لِلنّاسِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً ----- ٣٤٤
هدى من الآيات: ----- ٣٤٤
بينات من الآيات: ----- ٣٤٥
كتاب موسى: ----- ٣٤٥
و ماذا يتذكر الناس؟ ----- ٣٤٦
[سوره القصص (٢٨): الآيات ٥٠ الى ٥٦] ----- ٣٥٢
اشاره ----- ٣٥٢
اللغه ----- ٣٥٢
وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ ----- ٣٥٣
هدى من الآيات: ----- ٣٥٣
بينات من الآيات: ----- ٣٥٥
[سوره القصص (٢٨): الآيات ٥٧ الى ٦١] ----- ٣٦٠
اشاره ----- ٣٦٠
اللغه ----- ٣٦٠
وَ كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَها ----- ٣٦٢
هدى من الآيات: ----- ٣٦٢
بينات من الآيات: ----- ٣٦٤
اشاره ----- ٣٦٤
الاول:اقامه الحجه: ----- ٣٦٧
الثانى:الظلم: ----- ٣٦٨

[سوره القصص (۲۸): الآیات ۶۲ الی ۷۰] ---- ۳۷۱
اشاره ---- ۳۷۱
وَ رَبُّکَ یَخْلُقُ مٰا یَشٰاءُ وَ یَخْتٰارُ ---- ۳۷۲
هدی من الآیات: ---- ۳۷۲
بینات من الآیات: ---- ۳۷۴
أَغْوَیْنٰاهُمْ کَمٰا غَوَیْنٰا: ---- ۳۷۴
و ربک یختار: ---- ۳۷۸
[سوره القصص (۲۸): الآیات ۷۱ الی ۷۷] ---- ۳۸۱
اشاره ---- ۳۸۱
اللغه ---- ۳۸۱
وَ أَحْسِنْ کَمٰا أَحْسَنَ اللّٰهُ إِلَیْکَ ---- ۳۸۳
هدی من الآیات: ---- ۳۸۳
بینات من الآیات: ---- ۳۸۵
اشاره ---- ۳۸۵
فعلموا ان الحق للّه: ---- ۳۸۷
[سوره القصص (۲۸): الآیات ۷۸ الی ۸۳] ---- ۳۹۳
اشاره ---- ۳۹۳
ثَوٰابُ اللّٰهِ خَیْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صٰالِحاً ---- ۳۹۴
هدی من الآیات: ---- ۳۹۴
بینات من الآیات: ---- ۳۹۶
وَ لاٰ یُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ: ---- ۳۹۶
فَخَسَفْنٰا بِهِ وَ بِدٰارِهِ الْأَرْضَ: ---- ۳۹۷
[سوره القصص (۲۸): الآیات ۸۴ الی ۸۸] ---- ۴۰۶
اشاره ---- ۴۰۶
کُلُّ شَیْءٍ هٰالِکٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ ---- ۴۰۷
هدی من الآیات: ---- ۴۰۷

بینات من الآیات: ---- ۴۱۰
سوره العنکبوت ---- ۴۱۵
اشاره ---- ۴۱۵
فضل السوره: ---- ۴۱۷
الإطار العام ---- ۴۱۹
الاسم: ---- ۴۱۹
[سوره العنکبوت (۲۹): الآیات ۱ الی ۹] ---- ۴۲۵
اشاره ---- ۴۲۵
اللغه ---- ۴۲۵
أَ حَسِبَ النّاسُ أَنْ یُتْرَکُوا؟! ---- ۴۲۷
هدی من الآیات: ---- ۴۲۷
بینات من الآیات: ---- ۴۲۸
[سوره العنکبوت (۲۹): الآیات ۱۰ الی ۱۷] ---- ۴۳۷
اشاره ---- ۴۳۷
وَ لَیَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِینَ آمَنُوا ---- ۴۳۹
اشاره ---- ۴۳۹
هدی من الآیات: ---- ۴۳۹
بینات من الآیات: ---- ۴۴۲
[سوره العنکبوت (۲۹): الآیات ۱۸ الی ۲۴] ---- ۴۴۸
اشاره ---- ۴۴۸
قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ ---- ۴۴۹
هدی من الآیات: ---- ۴۴۹
بینات من الآیات: ---- ۴۵۲
[سوره العنکبوت (۲۹): الآیات ۲۵ الی ۳۵] ---- ۴۵۶
اشاره ---- ۴۵۶
اللغه ---- ۴۵۶

وَ جَعَلْنا فِی ذُرِّیَّتِهِ النُّبُوَّهَ وَ الْکِتابَ ---- ۴۵۸
هدی من الآیات: ---- ۴۵۸
بینات من الآیات: ---- ۴۶۲
[سوره العنکبوت (۲۹): الآیات ۳۶ الی ۴۳] ---- ۴۷۰
اشاره ---- ۴۷۰
اللغه ---- ۴۷۰
وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُیُوتِ لَبَیْتُ الْعَنْکَبُوتِ ---- ۴۷۲
هدی من الآیات: ---- ۴۷۲
اشاره ---- ۴۷۲
۱-الثقافه الجاهلیه: ---- ۴۷۳
۲-الانحراف عن الصراط: ---- ۴۷۳
۳-الاعتماد علی القوه المادیه: ---- ۴۷۳
بینات من الآیات: ---- ۴۷۴
[سوره العنکبوت (۲۹): الآیات ۴۴ الی ۵۱] ---- ۴۸۰
اشاره ---- ۴۸۰
خَلَقَ اللَّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ ---- ۴۸۲
هدی من الآیات: ---- ۴۸۲
بینات من الآیات: ---- ۴۸۴
[سوره العنکبوت (۲۹): الآیات ۵۲ الی ۶۳] ---- ۴۹۱
اشاره ---- ۴۹۱
قُلْ کَفی بِاللَّهِ بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ شَهِیداً ---- ۴۹۳
هدی من الآیات: ---- ۴۹۳
بینات من الآیات: ---- ۴۹۴
اشاره ---- ۴۹۴
الحجاب الأول:حذر الموت ---- ۴۹۸
الحجاب الثانی:خشیه الفقر ---- ۴۹۹

[سوره العنكبوت (۲۹): الآيات ۶۴ الى ۶۹] ---------- ۵۰۱
اشاره ---------- ۵۰۱
اللغه ---------- ۵۰۱
وَ إِنَّ الدّٰارَ الْآخِرَهَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ---------- ۵۰۲
هدى من الآيات: ---------- ۵۰۲
بينات من الآيات: ---------- ۵۰۴
تعريف مركز ---------- ۵۰۹

من هدی القرآن المجلد ۹

اشاره

سرشناسه:مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور:من هدی القرآن/ محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر:تهران: دار محبی الحسین، ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری:ج ۱۸

شابک:۱۸--ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۵۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۱۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۶۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۲۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۴۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۲۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۱۱۸۰۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-X۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵ ؛ ۱۸--ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸

وضعیت فهرست نویسی:فهرستنویسی قبلی

یادداشت:عربی

یادداشت:کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است

یادداشت:کتابنامه

موضوع:تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره:BP۹۸/م ۴م ۸ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی:۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی:م ۷۷-۱۲۵۶۱

اشاره

الجزء التاسع

اشاره

سوره شعراء

اشاره

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

فضل السوره:

عن النبی محمد صلی اللّه علیه و آله قال:

«أعطیت[ال]سوره التی یذکر فیها البقره من الذکر الاول،و أعطیت طه و طواسین من ألواح موسی،و أعطیت فواتح القرآن،و خواتیم السوره التی یذکر فیها البقره من تحت العرش،و أعطیت المفصّله نافله» (مجمع البیان-ص(۱۸۳)/ج ۷)

و روی ابو بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال:

«من قرأ الطواسین الثلاث لیله الجمعه کان من أولیاء اللّه،و فی جواره و کنفه،و أسکنه اللّه فی جنه عدن،وسط الجنه مع النبیین و المرسلین و الوصیین الراشدین،و لم یصبه فی الدنیا بؤس أبدا،و أعطی فی الآخره من الأجر الجنه حتی یرضی،و فوق رضاه،و زوّجه اللّه مائه حوراء من الحور العین» (المصدر)

ص:۵

الإطار العام

الاسم:سميت هذه السوره باسم«الشعراء»لان السوره تتحدث عن رسالات اللّه فى مواجهه ثقافات البشر.

تدور آيات هذه السوره حول رسالات اللّه،على نهج سوره الفرقان و لكن بتفصيل أكثر،و ضمن بيان الصراع بينها و بين الكيانات الجاهليه ذات الثقافه المنحرفه.

و بعد أن تذكرنا فاتحه السوره باللّه،تبين حرص النبى على هدايه الناس،و تؤكد ان اللّه لا يكرههم على الهدى،و تبين من صفات الرب اسمى العزه و الرحمه اللذين يتجليان فى الطبيعه و فى الصراع.

و يقص علينا السياق أنباء النبيين،و تنتهى كلّ قصه بذكر هذين الاسمين الكريمين،و تؤكد بأن فى تلك القصص آيات،و لكن أغلب الناس لا يؤمنون.

و تنتهى السوره بأمر الرسول بالتوكل على العزيز الرحيم.

ص:٧

فی قصه موسی یأمر اللّه موسی بحمل رسالته الی فرعون،و یبیّن موسی عقبات الطریق،و اللّه ینفیها بکلّا..و یعده بالنصر،و یحاور موسی فرعون برساله اللّه، و یجادل فرعون بما یملک من قوه.

و یبدو ان لکل رساله محتوی اجتماعی،هدفه إصلاح نوع الفساد المنتشر فی المجتمع،فقد حارب موسی العنصریه و الاستکبار،و إبراهیم الوثنیه و الرجعیه، و نوح الطبقیه و العناد،و هود العبثیه و التجبر،و صالح الإسراف و الفساد،و لوط الشذوذ و الإباحیه،و شعیب الغش و التطفیف.

و لعل هذه المفاسد متدرجه فی خطورتها حسب هذا الترتیب الذی نجده فی سوره الشعراء.

و یجری الحوار بین النبی و قومه،و یعاندونه،و یهددونه،و فی لحظه الحسم ینصر اللّه النبی و المؤمنین،و یأخذ الکافرین بعذاب شدید،و لعل العذاب یتناسب و نوع الفساد.

و یبدأ النبی بالتذکره باللّه،و الأمر بتقواه و طاعته،و ینذرهم عذاب ربهم.

و یؤکد الأنبیاء علی أنهم لا یطالبونهم بأجر،و انما أجرهم علی اللّه،و بالتالی لا یدعون للناس مجالا للشک فی صدق رسالاتهم،و بالإضافه الی ذلک فإن هناک شواهد علی صدق رسالات اللّه،فهی تدعو الی اللّه،و تتعالی علی حواجز الدم، و الأرض،و الزمن،و هی تتحدی بقوه اللّه کل القوی مما یستحیل علی البشر، و تحارب الفساد الأکبر فی المجتمع.

و ید الغیب تمتد لنصرتهم فی الوقت المناسب بإهلاک أعدائهم،هذا بالإضافه الی قوه الحجه،و سلامه السلوک،و المعاجز الظاهره کالعصی،و الناقه،و خمود

النیران،و انفلاق البحر،و الطوفان.

و فی خاتمه السوره یبین ربنا:أن القرآن أنزله رب العالمین، نزل به الروح الأمین،و بلغه عربیه مبینه،و قد شهد علی صدقه علماء بنی إسرائیل.

و بعد أن بیّن الفروق الأساسیه بین وحی الحق،و أفکار الشیطان،و أمره الرسول بإنذار عشیرته،و العطف علی المؤمنین،و البراءه من العصاه،و التوکل علی العزیز الرحیم،بعدئذ یبین القرآن میزات وحی الشیطان الذی یتنزل علی کل أفّاک أثیم،و ان الشعراء(أدعیاء العلم و الدین)انما یتّبعهم الغاوون،و ینعتهم بالاسترسال و اللامسؤولیه،و تختم السوره بأن الظالمین سیعلمون ای منقلب ینقلبون.

[سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۱ الى ۱۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . طسم (۱) تِلْكَ آيٰاتُ اَلْكِتٰابِ اَلْمُبِينِ (۲) لَعَلَّكَ بٰاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاّٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (۳) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ اَلسَّمٰاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنٰاقُهُمْ لَهٰا خٰاضِعِينَ (۴) وَ مٰا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ اَلرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ إِلاّٰ كٰانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (۵) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبٰؤُا مٰا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (۶) أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى اَلْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنٰا فِيهٰا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (۷) إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۸) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ اَلْعَزِيزُ اَلرَّحِيمُ (۹) وَ إِذْ نٰادىٰ رَبُّكَ مُوسىٰ أَنِ اِئْتِ اَلْقَوْمَ اَلظّٰالِمِينَ (۱۰) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَ لاٰ يَتَّقُونَ (۱۱) قٰالَ رَبِّ إِنِّي أَخٰافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (۱۲) وَ يَضِيقُ صَدْرِي وَ لاٰ يَنْطَلِقُ لِسٰانِي فَأَرْسِلْ إِلىٰ هٰارُونَ (۱۳) وَ لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخٰافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (۱۴) قٰالَ كَلاّٰ فَاذْهَبٰا بِآيٰاتِنٰا إِنّٰا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (۱۵)

اللغه

۳[باخع]:أى مهلك أو قاتل نفسك أسفا.

۵[محدث]:جديد.

إِنّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ

هدى من الآيات:

كلما ازدادت معرفتك باللّه كلما توسعت آفاق إيمانك،و عرفت المزيد من اسرار السموات و الأرض،و هكذا كان:

«أول الدين معرفته » (۱)و تفتتح هذه السوره التى تحدثنا عن رسالات اللّه كما سوره الفرقان بالتذكره باللّه لأنها السبيل الى معرفه الوحى.

و يمضى السياق فى بيان حرص النبىّ على هدايه قومه،حتى ليكاد يهلك نفسه، و يسلّيه بأن حكمه اللّه قضت بأن يكون الناس أحرارا،و إلا فهو قادر على ان ينزل عليهم آيه يكرههم بها على الايمان،و لكنهم لن يهربوا من جزاء أعمالهم.

۱- ۱) نهج البلاغه/خ(۱)/ص(۳۹)/صبحى الصالح.

و يعود السياق يذكرنا بربنا الذى أنبت الأرض من كل زوج بهيج،لعلنا نهتدى الى ربنا بهذه الآيه،و نعرف أنه العزيز الرحيم،و نعرف بالتالى أنه أرسل بعزته و رحمته أنبياء،فقد أمر موسى عليه السلام بأن يأتى الظالمين من قوم فرعون،و يحذرهم عذاب اللّه،و لكن موسى خشى تكذيبهم،و خاف أن يضيق صدره،و لا ينطلق لسانه بكل معانى الرساله،و طلب أن يكون أخوه هارون معه رسولا،و طلب العون من اللّه لمواجهه خطر الموت على يدهم،لأنّه قتل منهم شخصا،و جاءه النداء:

كلا..و عاد الربّ و أمره بالذهاب إليهم،و طمأنهم بأنه سيكون معهم.

بينات من الآيات:

[١] طسم تحدّثنا عن الحروف المقطعه فى القرآن أكثر من مره،و قلنا:انها اشاره الى القرآن،و أنها رموز بين اللّه و أوليائه.

و جاء فى الحديث المأثور عن الصادق(عليه السلام):

«و أما طسم:فمعناه:انا الطالب،السميع،المبدئ،المعيد » (١)[٢] تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ تأتى هذه الجمله فى الأغلب بعد الحروف المقطعه،مما يدعونا الى الاعتقاد بأن المعنى الظاهر لتلك الحروف هو الاشاره إلى القرآن و حروفه.

[٣]لأن إخلاص الرسول شديد لرساله ربه،و حرصه على مصلحه الناس

١- ٢) نور الثقلين/ج(۴)/ص(۴۴).

عظيم،فهو يكاد يهلك نفسه حينما يرى كفر الناس بالرساله.

لَعَلَّكَ بٰخِعٌ نَفْسَكَ أَلاّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ [۴]و لكن هل الرسول قادر على ما يريده من ايمان الناس بالرساله من دون اذن اللّه،كلا..لأن اللّه منح الناس حريه القرار،و لم يرد إكراههم على الإيمان، و دليل ذلك أنه لا ينزل عليهم عذابا غليظا يجعلهم خاضعين للحق.

إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمٰاءِ آيَهً فَظَلَّتْ أَعْنٰاقُهُمْ لَهٰا خٰاضِعِينَ و لكن ربنا شاء ان يؤمنوا بكامل حريتهم،و لو أنزل عليهم عذابا فآمنوا خشيه وقوعه عليهم لم يكن ينفعهم إيمانهم،انما ينفع الإيمان إذا جاء بلا إكراه.

روى عن أمير المؤمنين-عليه السلام-انه قال و هو يتحدث عن الأنبياء و حكمه الابتلاء:

«و لو أراد اللّه-جل ثناؤه-حين بعثهم،ان يفتح لهم كنوز الذهبان، و معادن البلدان،و مغارس الجنان،و ان يحشر طير السماء،و وحش الأرض معهم لفعل،و لو فعل لسقط البلاء،و بطل الجزاء، و اضمحل الابتلاء،و لما وجب للقائلين أجور المبتلين،و لا لحق المؤمنين ثواب المحسنين،و لا لزمت الأسماء أهاليها على معنى مبين،و لذلك لو أنزل اللّه من السماء آيه فظلت أعناقهم لها خاضعين،و لو فعل لسقط البلوى عن الناس أجمعين » (۱)[۵]رسالات اللّه تستثير العقل،و تستنهض الفطره،و تطهر القلب من رواسب

۱- ۳) المصدر/ص(۴۶).

التقليـد،و تفـك القيود و الأغلال التى تمنع الانطلاق،و أولئك الـذين يكفرون بها إنما يعرضون عن ذكرهم،و يتشـبثون بالتقاليد الباليه.

وَ مٰا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمٰنِ و قـد سـمى اللّه القرآن ذكرا لأنه يقوم بـدور المنبّه للإنسان،كمن يمشـى فى ظلام و هو يملك مصباحا غفل عنه،فيأتيه من يذكره بمصباحه.

مُحْدَثٍ بـالرغم من ان رسالـت اللّه واحـده عبر القرون حتى ان الجـاهلين قالوا:إن هى الا أساطير الأولين،إلّا أنّ الـذكر القرآنى محدث،و جديد.لماذا؟ أولا:لان القرآن جاء بعد هجعه من البشر،حيث فترت علاقاتها بالقيم، فكان ذكرا جديدا.

ثانيـا:لأن رسالات اللّه تـدعو الى العقل،و العقل إمام الإنسان الـذى يقوده إلى الأمام أبـدا،و الـذى يفك به البشـر قيود التقليـد،و أغلال الجمود، لذلك كانت تصطدم الرسالات الإلهيه بالتقاليد حيث كانوا يعرضون عنها.

إِلاّٰ كٰانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ [۶]أنهم تشـبثوا بالماضـى و اسـتهزءوا بالمحـدث،فكـذبوا بالرسـاله،و سـيأتيهم خبرهـا:أنها اسـتعلوا على باطلهم،و سيندمون و لكن عبثا.

فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبٰؤُا مٰا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ [۷]و لو نظروا فى آيات اللّه،و عرفوا ربهم من خلالها،و آمنوا بأسمائه الحسنى،

لما كذبوا.

لو كانت نظره الإنسان الى الخلق من حوله سليمه لعرف صدق رسالات اللّه، لأنها تعبير صادق عن سنن اللّه فى خلقه.

أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ سر فى الأرض،و اطلع على حقل ناضر،وقف عند شجره مثمره،ماذا ترى؟ أنها جد متكامله،تضرب بجذورها فى الأرض،و تقوم على ساقها الغليظه،و تنشر فروعها من حولها بتناسق،و تتحدى الرياح و الأنواء و الآفات بعشرات من الأنظمه التى أودعها الرب فيها،ثم ماذا ترى؟ترى ان هذه الشجره-بالرغم من تكاملها الكريم- بحاجه الى زوج تتكامل به.كيف جعلها اللّه غنيه و كريمه من كل جانب،و كيف جعلها محتاجه الى غيرها فى هذا الجانب بالذات.

أو ليس فى ذلك دليل يهدينا الى ربنا،و الى أنه رحيم،و آيه رحمته تكامليه نعمه و شموليتها،و أنه عزيز و آيه عزته انه جعل كل شىء فى الخلق محتاجا الى غيره،فخلق من كل شىء زوجين اثنين ليهدينا إلى أنّه وحده العزيز الغنى سبحانه.

[٨] إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً أنها تكفى الإنسان حجه لو بحث عن الحجه،و دليلا لو انه اهتدى بدليل،و لكن أكثر الناس لا يبحثون عن حجه،و لا يريدون دليلا.

وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ فلا تنتظر إيمان الناس حتى تؤمن معهم،إنما بادر الى التسليم للحق.

[۹]ان عزه اللّه تتجلی فی سنه(الزوجیه)بینما تتجلی رحمته فی الکرامه التی أسبغها علی الأشیاء،فلم یمنع عن الناس حاجاتهم،بل أودع فی الأرض ما ینفعهم،و کما خلق حاجه فی هذا الطرف خلقها فی الطرف الثانی،فلم یزل هذا بذاک،و ذاک بهذا.

وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ و النفس المؤمنه تعیش التوازن بین اسمی العزه و الرحمه.أی بین الخوف من غضب اللّه،و الرجاء لرحمته،و أکثر الناس تغرّهم رحمه اللّه،فیغفلون عن عزته،

یقول الدعاء:

(الهی اذهلنی عن اقامه شکرک تتابع طولک،و أعجزنی عن إحصاء ثنائک فیض فضلک،و أشغلنی عن ذکر محامدک ترادف عوائدک (۱)

و جاء فی دعاء آخر:

(و یحملنی و یجرأنی علی معصیتک حلمک عنی،و یدعونی الی قله الحیاء سترک علی،و یسرعنی الی التوثب علی محارمک معرفتی بسعه رحمتک،و عظیم عفوک » (۲)أنما المؤمنون یقاومون هذه الغفله بذکر نعماء اللّه،و التنبه الی احتمالات ذهابها.

[۱۰]و من آیات رحمه اللّه أنه بعث أنبیاءه الی عباده الظالمین،أو لیس الظلم ینغص النعم،و یستدرج العذاب؟فمن أولی من الرب الرحیم بأن یبعث الی

۱- ۴) مناجاه الشاکرین/الصحیفه السجادیه ص(۱۲۲).

۲- ۵) من دعاء أبی حمزه الثمالی،مفاتیح الجنان ص(۱۸۷).

عباده من ينذرهم عاقبه ظلمهم.

وَ إِذْ نادىٰ رَبُّکَ مُوسىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ النداء الواضح الذى لا يرتاب فيه السامع،و لا يختلط بحديث النفس أو وساوس القلب،يهبط هذا النداء الى موسى من الرب الذى لا تزال نعمه تتواتر على البشر،طورا فطورا،و مرحله بعد أخرى.

[۱۱]و الهدف واضح هو مقاومه الظلم،ليس لمصلحه المظلومين فقط،و إنما أيضا لمصلحه الظالمين الذين سيهلكهم ظلمهم.

لقد عاش موسى ردحا من عمره بين أولئك الظالمين،دون ان يحمّل رساله.

أنها-إذا-رساله اللّه،و ليست من عبقريه موسى.

قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَ لاٰ يَتَّقُونَ هؤلاء الذين يظلمون الناس لماذا لا يخشون عذاب ربهم و يتقّونه؟! [۱۲]و أول ما يخشاه الإنسان قبل ان يشرع فى العمل هو الفشل،فكثير من الناس يتركون العمل لمجرد الخشيه من فشلهم فيه،و لأن القرآن يعالج كل أمراض البشر،و لأن هذه السوره المباركه برنامج عمل متكامل للدعاه الى اللّه،فإنها تفصّل القول فى العقبات التى لا بد من تذليلها عبر قصه موسى و هارون.كيف دعيا الى الرب.

و تهدينا هذه الآيه أولا:الى ضروره مقاومه خوف الفشل،الذى يعترى حتى الأنبياء قبل اعتصامهم باللّه.

قالَ رَبِّ إِنِّی أَخافُ أَنْ یُکَذِّبُونِ و تأتی فی نهایه السیاق معالجه هذا الخوف بقوله سبحانه:«کلا».

[۱۳]ثانیا:حمل رسالات اللّه إلی الظالمین لا یتمّ بسهوله،انما یسبب المزید من الصعاب لحاملها،و بالرغم من أنّ قدرات الفرد تتسع لکل تلک الصعاب إلا أنّ المقیاس هو مدی قدره استیعاب صدره لمشاکل العمل.

وَ یَضِیقُ صَدْرِی ثالثا:لعل شدّه تکذیب الناس تکون سببا فی انعقاد اللسان،أو ان هذا التکذیب بحاجه الی لسان طلق بلیغ.

و قالوا:کان موسی-علیه السلام-ألثغا،حیث لم یکن قادرا علی الإفصاح عن بعض الحروف.

و إذا کان الأمر هکذا فان الدرس الذی یعطیه السیاق هنا هو:ان هناک معوقات جسمیه قد تقف حاجزا دون القیام برساله اللّه،و علینا تحدّیها.

وَ لا یَنْطَلِقُ لِسانِی فَأَرْسِلْ إِلی هارُونَ ان حمل رسالات اللّه بحاجه الی إعلام قویّ،و کان موسی-علیه السلام- یعلم مدی صعوبه الأمر،فبادر الی طلب المساعد فی هذا الحقل بالذات.

[۱۴]رابعا:لیس بالضروره ان یکون حامل الرساله مقبولا حسب الأعراف و القوانین المرعیه فی البلد،و لیست تلک عقبه کأداء لا یمکن تجاوزها.إذا استصغرک القوم،أو استهزءوا بک،أو حتی إذا اعتبروک مجرما فلا تأبه،و امض فی طریقک،

فهذا النبى العظيم موسى بن عمران-عليه السلام-يعتبر من الناحيه القانونيه خارجا على الشرعيه،و هو من عنصر مستضعف و مستعبد،و قد قتل منهم واحدا، مما يعرضه للقصاص حسب قوانينهم،و مع ذلك يؤمر بحمل الرساله.

لقد قال موسى و هو يعبر عن هذه العقبه:

وَ لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ [١٥]تلك كانت العقبات اجتمعت أمام موسى. دعنا نستمع إلى الرب و هو ينسفها بكلمته نسفا:

قالَ كَلاّ أنها ليست عقبات فى الواقع بقدر ما هى مخاوف فى النفس،لا تلبث ان تتلاشى بالتوكل على اللّه.

أو لست أنت و أخوك تحملان رسالات اللّه فلما ذا الخوف إذا؟! فَاذْهَبا بِآياتِنا إِنّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ذلك هو ضمان الانتصار.

فمن كان مع اللّه كان اللّه معه،و من كان اللّه معه فلا قوه فى الأرض تقف أمامه.

و أنت أيها الداعيه الكريم تجرد عن ذاتك فى اللّه،و هب للّه نفسك و ما تملك تجد اللّه نعم المولى و نعم النصير.

[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۱۶ الی ۳۳]

اشاره

فَأْتِيا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنّا رَسُولُ رَبِّ اَلْعالَمِينَ (۱۶) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ (۱۷) قالَ أَ لَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً وَ لَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (۱۸) وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ اَلَّتِي فَعَلْتَ وَ أَنْتَ مِنَ اَلْكافِرِينَ (۱۹) قالَ فَعَلْتُها إِذاً وَ أَنَا مِنَ اَلضّالِّينَ (۲۰) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَ جَعَلَنِي مِنَ اَلْمُرْسَلِينَ (۲۱) وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّها عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرائِيلَ (۲۲) قالَ فِرْعَوْنُ وَ ما رَبُّ اَلْعالَمِينَ (۲۳) قالَ رَبُّ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (۲۴) قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَ لا تَسْتَمِعُونَ (۲۵) قالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ اَلْأَوَّلِينَ (۲۶) قالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ اَلَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (۲۷) قالَ رَبُّ اَلْمَشْرِقِ وَ اَلْمَغْرِبِ وَ ما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (۲۸) قالَ لَئِنِ اِتَّخَذْتَ إِلهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ اَلْمَسْجُونِينَ (۲۹) قالَ أَ وَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (۳۰) قالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ اَلصّادِقِينَ (۳۱) فَأَلْقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ (۳۲) وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنّاظِرِينَ (۳۳)

اللغه

۲۲[عبّدت]:عبده و أعبده إذا اتخذه عبد و عبدت أی جعلتهم عبیدا مضطهدین.

۳۳[و نزع یده]:أی أخرجها.

ص:۲۳

إِنّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ

هدى من الآيات:

يحاور موسى برسالات ربه فرعون و قومه،بينما يجادل فرعون معتمدا على منطق القوه.يذهب موسى و أخوه الى فرعون بأمر ربهما قائلين: إِنّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ ، مطالبين بتحرير بنى إسرائيل،و يجادل فرعون بحجج ثلاث:

أولا-انه ولى نعمته،فكيف يخرج من طاعته؟! ثانيا:انه قد قتل منهم و هو كافر(به أو بقوانين بلاده)فيرده موسى بأنه لم يكن كافرا،بل كانت تنقصه هدايه الرب و رسالاته،و إنما هرب منهم خشيه بطشهم،أما الآن فالأمر مختلف،لقد وهب اللّه له حكما فأصبح قائدا و على فرعون طاعته،و جعله مرسلا و على الناس طاعته،و أضاف:ان استعباده لبنى إسرائيل (و كان منهم)ليس منّه يمنّها عليه،و بالتالى ليس من الصحيح ان يمّن عليه بأنه لبث عنده من عمره سنين.

ثالثا:يجادل فرعون حين يسأل عن رب العالمين-و لعله سأله عن ماهيته- فيجيبه موسى:بأنه «رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ» و لكنه استهزأ قائلا لمن حوله:« أَ لا تَسْتَمِعُونَ »اشاره الى عدم اقتناعه،فأضاف موسى:بان اللّه «رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ» فعاد فرعون يسخر منه قائلا:انه«لمجنون»،و استمر موسى قائلا:ان اللّه «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ» .

فلما رأى قوه منطق موسى توسل بمنطق القوه و قال: «لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ» .

و تحدى موسى إرهابه قائلا:انى أملك برهانا،فلما طالبه به ألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين،و اخرج يده من جيبه فاذا هى بيضاء للناظرين.

تلك هى رسالات اللّه،و ذلك منطقهم الحق.

بينات من الآيات:

منطق الرسل:

[۱۶]لقد استجاب الرب لطلب موسى بأن يجعل له وزيرا من أهله،فبعثه هو و أخاه هارون الى فرعون.

فَأْتِيا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ لقد كانت رساله واحده،يحملها اثنان،و لعله-لذلك-جاء التعبير هكذا:

«انا رسول»و لم يأت«انا رسولا»و لقد كان الرسول هو موسى،بينما كان هارون وزيره،و الوحى كان يهبط عليه دونه،و كان ينوب عنه عند غيابه.

و جاء فی حدیث طویل مأثور عن الإمام الباقر علیه السلام عن کیفیه ذهاب موسی الی باب قصر فرعون،تقول الروایه:

«...فغدا الی فرعون،فواللّه لکأنی أنظر الیه طویل الباع،ذو شعر أدم، علیه جبه من صوف،عصاه فی کفه،مربوط حقوه بشریط،نعله من جلد حمار شراکها من لیف،فقیل لفرعون:ان علی الباب فتی یزعم انه رسول رب العالمین،فقال فرعون لصاحب الأسد:خل سلاسلها،و کان إذا غضب علی رجل خلّاها فقطعته،فخلاها،فقرع موسی الباب الأول-و کانت تسعه أبواب -فلما قرع الباب الأول انفتحت له الأبواب التسعه،فلما دخل جعلن یبصصن تحت رجلیه کأنهن جراء،فقال فرعون لجلسائه:رأیتم مثل هذا قط؟! » (۱)[۱۷]لرسالات اللّه شواهد منها علیها،و من شواهدها تحدی أکبر فساد فی المجتمع،دون خلاف أو مداهنه،لقد تحدی نوح- علیه السلام-الطبقیه، و إبراهیم-علیه السلام-الوثنیه،و مثله فعل النبی محمد-صلی اللّه علیه و آله- و لوط تحدی الفساد الخلقی،بینما واجه شعیب الفساد الاقتصادی و هکذا،أما موسی -علیه السلام-فقد حارب العنصریه،و طالب فرعون بتحریر بنی إسرائیل الذین کان قد استضعفهم قائلا:

أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِی إِسْرَائِیلَ

منطق الطغاه:

[۱۸]یبدو من السیاق ان فرعون-شأنه شأن سائر الطغاه-حاول ان ینسب نعم اللّه الی نفسه،و یمنّ علی موسی بأنه قد أنعم علیه بالتربیه و التغذیه.

۱- ۱) نور الثقلین/ج(۴)/ص(۴۸).

قالَ أَ لَمْ نُرَبِّكَ فِينا وَلِيداً فلما ذا خرجت على أسس المجتمع و قيمه ما دمت تربيت فى احضانه،و تغذيت من أفكاره و ثقافته،و لعلنا نستوحى من هذه الآيه مدى اعتماد الطغاه على عامل التربيه فى إفساد ضمير الناس،و بالرغم من أهميّه هذا العامل إلا أنّ رسالات اللّه تتحداه، فاذا بموسى الذى كان ينسب الى فرعون عند الناس حينا يخرج عليه، و يهدم سلطانه،و إذا بمؤمن آل فرعون يعيش فى بلاطه ثم يثور عليه،و إذا بزوجته آسيه بنت مزاحم تكون نصيره الحق،و تضحى بنفسها فى سبيل اللّه،و إذا بأصحاب الكهف و هم وزراء طاغوت دهرهم(دقيانوس)ينقلبون الى ربهم.

ثم قال فرعون:

وَ لَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ و هكذا يقول الطغاه:الم نعبّد الشوارع،و نبنى المستشفيات.الم يتخرج من جامعاتنا كذا طالب،ألم يتقدم اقتصاد بلادنا؟! انهم يخطئون مرتين:أولا-حين يجعلون التقدم المادى دليلا على سلامه نهجهم،بينما التقدم المادى قد يكون وليد عوامل أخرى كانبعاث آبار البترول،أو جوده موسم الزراعه،أو حتى جهود الناس من علماء،و مدراء،و تجار،و عمال، و فلاحين.الناس يعملون و الحكام يفتخرون،و انما فخر الحكام بإشاعه العدل، و المحافظه على الحريه،و توفير فرص الكمال الروحى.

ثانيا:حين يعطون الناس أرقاما خاطئه،و يذكرون فقط الجوانب المشرقه، و يسكتون عن الجوانب السلبيه،و يرهبون من يتحدث عنها حتى لا تبدو فضائحهم.

لقد منّ فرعون على موسى انه سمح له بأن يعيش مستضعفا فى بلاده،و كأن القاعده كانت تقضى بقتل موسى،أما ان يبقى حيّا يتنفس فانها نعمه يمن بها عليه.

[۱۹]و ذكره بقتل القبطى،و اعتبرها جريمه كبيره تجعل صاحبه فى مصاف الكفار،فقال:

وَ فَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَ أَنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ ان حكام الجور يضعون قوانين يحكمون بها سيطرتهم على الناس،ثم يعتبرون الخروج عليها جريمه بل كفرا-و لعل فرعون أراد ان يعيّر موسى بأنه لم يكن يومئذ يؤمن باللّه-و يفتشون فى ملف الثائرين ليجدوا فيها ثغره يدخلون منها عليهم، و ينسون ان بقاءهم فى السلطه رغما على الناس أكبر جريمه،و أعظم كفرا.

و قد يكون القانون سليما،و لكن لا يحق للسلطان الجائر ان يكون منفذا له.إذ ان سلطته ليست شرعيه،و حين ينفى الثائر شرعيه السلطه لا ينبغى الحديث عما يترتب عليها من الانظمه السائده.

و لكن الطغاه يريدون تضليل الناس بذلك،و على الرساليين ألاّ يأبهوا بذلك أبدا،و يعيدوا إلى أذهان الناس أصل وجود النظام،و الذى لو لم تثبت شرعيته لا يحق له تنفيذ القانون،بل تنفيذ القانون بذاته يصبح جريمه تسجل عليه و على أركانه.

[۲۰]لقد قتل موسى القبطى الذى أراد سخره الإسرائيلى، و لعله كان يقتله ان لم يقبل بسخرته،و بذلك كان الرجل يستحق القتل بحكم القيم الحق التى فطر اللّه الناس عليها،و جاءت بها شرائع اللّه.أو ليس من قتل دون نفسه أو عرضه أو ما له فهو شهيد؟

و يبدو ان موسى تجاوز الحديث عن مقتل القبطى،و ركز على أمرين:

الاول:انه لم يكن كافرا باللّه يومئذ(ان كان مراد فرعون بقوله:«من الكافرين».الكفر بالرب)و انما كان ضالاّ بسبب فقدانه للرساله التى هى الهدى و الضياء،فقال:

قٰالَ فَعَلْتُهٰا إِذاً وَ أَنَا مِنَ الضّٰالِّينَ ان الضلال ليس كالجحود و الكفر انما هو عدم الهدى و هو ليس عيبا،و قد قال ربنا عن نبيه الأكرم محمد-صلى اللّه عليه و آله-: «وَ وَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدىٰ» و لم يكن الرسول ضالا،انما لم يكن يحمل رساله فهداه اللّه إليها.

و كل أنبياء اللّه بشر يفقدون العلم و الحكم قبل النبوه و الرساله،و إنما يتميّزون على سائر الناس بالوحى،و ليس بعنصر إلهى يتداخل فيهم،و القرآن حافل ببيان هذه الحقيقه تصريحا أو بالاشاره،و قد قال سبحانه: قُلْ إِنَّمٰا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحىٰ إِلَيَّ .

و دليل صدقهم أساسا هو ان الوحى يحدث تحولا فجائيا فيهم،فبينما الرسول يلبث فى قومه دهرا،لا يدعوهم الى شىء،تراه يبعث إليهم برساله متكامله،من المستحيل ان يكون قد ابتدعها من نفسه بين عشيه و ضحاها.

و هذا بخلاف العلماء و الباحثين الذين تتكامل أفكارهم و بحوثهم يوما بعد يوم.

و لعل فى قوله:«إذا»دلاله على أنّه رد التهمه أساسا،و أجابه:انه إذا سلّم بوجود نقص عنده-جدلا-فانما هو الضلال،و عدم الوحى.

و جاء فی حدیث مأثور عن الامام الرضا علیه السلام:

«انه أراد أنه ضل عن الطریق بوقوعه الی مـدینه من مدائن فرعون » (۱)[۲۱]و قد فرّ موسی عن مدائن فرعون خشیه عنصریته،التی کان یدین- بموجبها-أیّ واحد من بنی إسرائیل بمجرد الصراع بینه و بین الأقباط.

فَفَرَرْتُ مِنْکُمْ لَمّٰا خِفْتُکُمْ و الآیه تدل علی أن الفرار من الظلم فضیله،أولا أقل لا بأس به.

و نستوحی أیضا من الآیه:ان التمرد علی قوانین الانظمه غیر الشرعیه عمل شریف.

و لأن موسـی نصـر الحق،و رفض الخضوع لنظام الطاغوت،و لأنه توکل علی اللّه، و هاجر عن بلاد الکفر،فان اللّه أکرمه بالنبوه و الرساله.

فَوَهَبَ لِی رَبِّی حُکْماً ان حرف الفاء یوحی إلینا بأن هناک علاقه بین فراره من ظلم فرعون و بین الحکم الذی وهبه اللّه له،و لعل الحکم هو العلم،و لعله النبوه التی تسبق الرساله.

وَ جَعَلَنِی مِنَ الْمُرْسَلِینَ و نستوحی من کلمه«جعلنی»ان صاحب الرساله هو الحاکم و الخلیفه فی الأرض،و ان هذا المنصب بحاجه الی قرار و جعل و تنصیب.

۱- ۲) المصدر/ص(۴۸،۴۹).

[۲۲]وردّ موسی جدل فرعون إذ قال: أَ لَمْ نُرَبِّکَ فِینا وَلِیداً :بان استعبادک لبنی إسرائیل،و ذبح أبنائهم،و استحیاء نسائهم،و استخدام بعضهم لتربیه البعض الآخر کرها،أعیب علیک ذلک،و این تلک من هذه،تمنّ علی التربیه و لکنی أعیّرک بما فعلت ببنی إسرائیل.

من الذی ربی موسی؟أالیس بنو إسرائیل أنفسهم بأمر من فرعون،ثم ما الذی الجأ أم موسی لتجعله فی التابوت،ثم تقذفه فی الیم،و ما الذی أعطی الحق لفرعون ان یقتل هذا و یعفو عن ذلک،و یسرق أموال هذا و یضعها عند ذاک.أو لیس کل ذلک جریمه لا بد ان یعاقب علیها فرعون،ذو الظلم و الطغیان،و لیس ثمّه نعمه یشکر علیها.

وَ تِلْکَ نِعْمَهٌ تَمُنُّها عَلَیَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِی إِسْرائِیلَ و نستوحی من الآیه فکرتین:

أ-ان فراعنه کل عصر یجب ان یلقموا حجرا کلما زعموا ان علیهم منّه علی الناس،ذلک أن جمیع تقلباتهم فی البلاد و تصرفاتهم فی شؤون العباد جرائم لأنها لیست بإذن اللّه،و لا بتخویل من الناس.

ب-انّ موسی تجاوز نفسه و تحدث عن کل بنی إسرائیل،کما تجاوز الحدیث عن قضیه محدوده الی بیان جذرها،و هکذا ینبغی ألّا یقع الفرد الرسالی فی الخطأ بالحدیث عن ذات القضیه التی یتحدث عنها الظالمون،و لا بالحدیث عن أنفسهم، بل یتحدثوا عن جذور المشکله حسب نهجهم الاعلامی المستقل،و عن آلام الشعب جمیعا.انهم-وحدهم-ممثلوا الناس،و علیهم أن ینطقوا باسمهم و عن مشاعرهم.

[۲۳]لم یجد فرعون نفعا توسله بالقضایا الجانبیه،لأن موسی جاء بحجه أبلغ، فاضطر الی الجدل حول جوهر الرساله،و یبدو من سیاق الحدیث انه اتخذ نهج الاستهزاء وسیله لجدله.

قالَ فِرْعَوْنُ وَ ما رَبُّ الْعالَمِینَ لم یقل:و من رب العالمین لجهله المفرط،و أسلوبه الساخر،و لعله سأل عن طبیعه اللّه،فلم یسترسل موسی معه،لأن معرفه الذات مستحیله.

[۲۴]انما مضی موسی قدما فی دعوته الی اللّه عبر آیاته،و بیّن أن جهلهم باللّه آت من نقص فی أنفسهم.

قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَیْنَهُمَا إِنْ کُنْتُمْ مُوقِنِینَ و هکذا ینبغی ان یستدل المؤمن علی ربه بآیاته و أفعاله،مقتدیا بنهج أنبیاء اللّه.

جاء فی حدیث مأثور عن أمیر المؤمنین-علیه السلام-،فی صفه اللّه سبحانه:

«الذی سئلت الأنبیاء عنه،فلم تصفه بحدّ،و لا ببعض،بل وصفته بفعاله، و دلت علیه بآیاته » (۱)و حین قال موسی: «إِنْ کُنْتُمْ مُوقِنِینَ» أشار إلی أنّ الإیمان باللّه لن یبلغه من لا یجهد و لا یبحث عن علم و یقین،و أن جهلهم بربهم ناشئ من نقص فیهم، حیث سدّوا منافذ قلوبهم عن نور المعرفه.

[۲۵]کان الحدیث بین موسی و فرعون،فأدار فرعون رحاه باتجاه الملأ من

۱- ۳) المصدر/ص(۴۹).

حوله،لماذا؟هل خشی ان ینقلبوا علیه،أم أراد ان یتظاهروا علی موسی حین شعر بضعف حجته؟ قٰالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَ لٰا تَسْتَمِعُونَ اسأله عن شیء فیجیبنی عن شیء آخر.و فی حدیثه نبره استهزاء،و کأنه یقول:

ان حجته ضعیفه.

[۲۶]لم یأبه موسی-علیه السلام-بسخریته،و التزم نهجه القویم فی التذکره بالرب،و تحطیم أغلال الجهل عن أنفسهم.

قٰالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبٰائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فهو اللّه الذی کان علی آبائکم التسلیم له،فلا یجوز التسلیم لآبائکم إن کانوا کافرین به، و لا ینبغی تقدیسهم،و الجمود علی أفکارهم الباليه،و إذا شمل آباءکم العذاب بسبب کفرهم بالرب فان ذات العذاب سینزل علیکم لذات السبب، هکذا فکّ غلّ عبودیه الآباء عنهم،و حذرهم من مغبّه الجحود.

[۲۷]و خرج فرعون عن طوره،و أتهم موسی بالجنون،مستخدما أسلوبه الساخر،إذ وجه الخطاب الی الملأ کی یثیر فیهم العصبیه.

قٰالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِی أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ هکذا بلغت الرعونه عند فرعون ذروتها حیث أتهم رسول رب العالمین بالجنون.

[۲۸]أما موسی الذی لم یرهب إعلام فرعون التضلیلی،و لم یغضب لنفسه، فقد مضی فی سبیله یدعو الی ربه بالتذکره تلو التذکره.

قالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ ما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ و هذا بذاته دليل صدق دعوته انه لم يقم لنفسه بل لربه،و لا يدعو الى ذاته بل الى اللّه،و هكذا ينبغى ان يتحمل الرساليون كل أذى،و لا ينهاروا بسبب تهم الطغاه انّى كانت كبيره.

[۲۹]و انقلب فرعون خائبا من أسلوبه التضليلى الساخر،فاتجه الى التهديد:

قالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ان الطغاه يرهبهم قوه المنطق فيلجئون الى منطق القوه،و يخافون على عروشهم فلا يتورعون عن ارتكاب ايه جريمه.

و لكن موسى-عليه السلام-و كل الدعاه الى اللّه سوف يبلغون مستوى عاليا من النصر عند ما يعرّون النظام من لباس التضليل،و يلجئونه الى استخدام آخر وسيله لهم للسيطره الا و هى الإرهاب.

[۳۰]و كما الجبل الأشمّ صمد موسى امام تهديد فرعون،كما صمد آنفا أمام سخريته و تهمه،فلم يزل يواجهه بسلاح المنطق.

قالَ أَ وَ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ فيه دلاله ملموسه،تكون أقرب إلى عقولكم المغلقه الجامده.

[۳۱]و هنا أيضا خسر فرعون الموقف،إذ طالبه فعلا بذلك الشيء المبين، ماضيا فى غروره و ظنه أنّ الباطل لا يغلب.

قالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ

[۳۲]استجاب النبی موسی للتحدی فورا.

فَأَلْقىٰ عَصٰاهُ فَإِذٰا هِيَ ثُعْبٰانٌ مُبِينٌ کان ثعبانا ضخما،قد فغر فاه،کاد یلتهم قصر فرعون بما فیه.

[۳۳] وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذٰا هِيَ بَيْضٰاءُ لِلنّٰاظِرِينَ و بهت فرعون،و فلحت حجه موسی،و ظهر برهانه.

ص:۳۵

[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۳۴ الی ۵۱]

اشاره

قالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هٰذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ (۳۴) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَماذا تَأْمُرُونَ (۳۵) قالُوا أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ ابْعَثْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ (۳۶) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحّارٍ عَلِيمٍ (۳۷) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (۳۸) وَ قِيلَ لِلنّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (۳۹) لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كانُوا هُمُ الْغالِبِينَ (۴۰) فَلَمّا جاءَ السَّحَرَةُ قالُوا لِفِرْعَوْنَ أَ إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنّا نَحْنُ الْغالِبِينَ (۴۱) قالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (۴۲) قالَ لَهُمْ مُوسىٰ أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ (۴۳) فَأَلْقَوْا حِبالَهُمْ وَ عِصِيَّهُمْ وَ قالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنّا لَنَحْنُ الْغالِبُونَ (۴۴) فَأَلْقىٰ مُوسىٰ عَصاهُ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ (۴۵) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ (۴۶) قالُوا آمَنّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ (۴۷) رَبِّ مُوسىٰ وَ هارُونَ (۴۸) قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (۴۹) قالُوا لا ضَيْرَ إِنّا إِلىٰ رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ (۵۰) إِنّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا أَنْ كُنّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (۵۱)

اللغه

۳۶[حاشرين]:هم الذين يحشرون السحره و يجمعونهم.

۴۹[من خلاف]:كأن يقطع الرجل اليمنى و اليد اليسرى أو العكس.

۵۰[لا ضير]:أى لا ضرر علينا فيما تفعله بنا.

فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سٰاجِدِينَ

هدى من الآيات:

ازداد الصراع احتداما،و حاول فرعون أن يتّهم موسى بالسحر،و أثار فيهم حب الوطن زاعما:أنه يريد ان يخرج الناس من أرضهم،و استمالهم بالتشاور معهم لمعرفه رأيهم فى مصير موسى،فأشاروا عليه بحبسه،و بعث العملاء الى أطراف البلاد لجمع السحره الماهرين،فلما حشروا ليوم عيد دعوا الناس للاجتماع، محددين هدفه سلفا باتباع السحره،و جاء السحره طالبين من فرعون أجرهم فبالغ فى إعطاء الوعود لهم،فقال لهم موسى:القوا حبالكم،فلما فعلوا أقسموا بعزه فرعون انهم هم الغالبون.

و قد ترددت كلمه الغلبه فى الآيات مشيرا-فيما يبدو-الى حده الصراع و مصيريته.

و القى موسى عصاه فاذا بها تلتهم إفكهم، فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سٰاجِدِينَ، قٰالُوا:آمَنّٰا بِرَبِّ الْعٰالَمِينَ، رَبِّ مُوسىٰ وَ هٰارُونَ ،و انقلب السحر على الساحر.

ص:٣٨

أما فرعون(الذى لم ينقصه العناد)فقد قال لهم:لماذا آمنتم به قبل ان آذن لكم؟(و احتوى الهزيمه سريعا)و قال لهم:انه قائدكم،و أنتم تشاركون معه فى الثوره،و هددهم بأنه سوف يقطع أيديهم و أرجلهم،و ليصلبنّهم أجمعين.

و مره أخرى أثبتت الرساله قوتها حيث قال السحره: «لا ضَيْرَ إِنّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ» الذى نطمع ان يغفر لنا خطايانا،و ان يجعل مبادرتنا الى الايمان كفاره لذنوبنا.

بينات من الآيات:

جمع السحره:

[۳۴]لا بد ان يكون صاحب الرساله مستعدا أبدا لتطورات الصراع،و مضاعفه التحديات،حتى تبلغ الذروه.فهذا النبى العظيم موسى افتتح دعوته بقول ليّن، و استمر على ذلك النهج بالرغم من استفزاز فرعون بسخريته اللاذعه،و لكن فرعون توعده بالسجن فجاءه موسى بشيء مبين،و مضى فرعون فى طريق العناد فاتّهم موسى بالسحر.

قالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ و يبدو ان السحر كان منفورا منه بالرغم من انتشاره بين الناس يومئذ،و قد ألصق تهمه السحر بموسى و لكنه ما لبث أن استعان بالسحره،و وعدهم بأن يجعلهم من المقربين اليه،ثم لما آمنوا عاد و اتهم موسى بأنه كبيرهم.

و هكذا يتقلب الطغاه حسب مصالحهم،و هذا التقلب-بذاته-دليل زيفهم.

[۳۵]جبل الإنسان على حبّ أرضه التى نبت منها،و يستغل الطغاه هذا

الحبّ بصوره قذره،و يدّعون أبدا أنّهم حماه الأرض،و دعاه الأمن من الخطر الخارجى أو الداخلى.

و هكذا اتهم فرعون موسى بأنه مخلّ بالأمن،و أن هدفه النهائى طرد الأقباط من أرضهم،فقال:

يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ و لم يكن فرعون يأبه بآراء الناس لأنه كان يزعم أنه الأهم،و ربهم الأعلى، و كيف يجوز للرب ان يستشير المربوبين؟! و لكنه حين خاف انهيار عرشه بادر الى المشوره،لا لكى ينتفع بعقولهم و تجاربهم،أو لا ترى كيف كان يبادر بالجواب قبلئذ دون استشاره؟و انما يستميلهم،و يمنع من تأثير حجج موسى البالغه فيهم،و أيضا لكى يشاركوه فى جريمته التى نوى ارتكابها بحق النبى موسى فلا تأخذهم به رأفه من بعد تنفيذها.

هكذا خاطب من حوله قائلا:

فَمَا ذا تَأْمُرُونَ و هكذا الطاغوت أبدا لا يريد آراء الناخبين ليخضع لها،بل بحثا عن الأهداف التاليه:

أ-الإيحاء إلى الناس بأنهم يضعون القرار لأنفسهم حقا،و ليس هو وحده.

ب-جس نبض الشعب،و معرفه مدى تأثير أعلامه فيهم،و مدى قوه معارضيه،و مكامن نفوذهم ليقوضهم.

ج-لإضفاء الشرعيه الكاذبه على حكمه،كذلك تراهم يبادرون الى الانتخابات إذا بلغ بهم الخوف مداه،و على الرساليين ان يعوا هذه اللعبه،و ان يقوموا بتوعيه الناس سلفا بما يقوم به الطغاه لخداعهم،و الاستمرار فى التسلط عليهم.

[۳۶]كانت الثقافه الفاسده،و الاعلام المضلل و لا زالت أعظم ركيزه لسيطره الطغاه،و لقد كانت آثار الإغواء و الفتنه و التضليل أبلغ بكثير من آثار السجن و القتل و التعذيب.

و يبدو ان نظام فرعون كان يستخدم السحر و وسيله لتكريس سلطته،و قد كان السحر منتشرا بين الاقباط يومئذ،و السحر نهايه مطاف الحضاره،و انتشاره يدل على وصول الناس الى أدنى مستوى من العلم و المعرفه.أنه ليس إلّا اثاره للخيال عبر مجموعه حركات و أصوات و العاب خادعه،و لا يتأثر به إلا من سلّم نفسه لتأثيراته.

و يبدو ان مركز تأثير السحر هو أعصاب الناس عبر منبهات صوتيه،و حركات متناغمه،و حركات بهلوانيه.

هكذا أشار الملأ من حول فرعون عليه ان يستغل السحره لمواجهه آيه موسى بعد اعتقاله و أخاه.

قالُوا أَرْجِهْ وَ أَخاهُ اى ابقهما رهن الاعتقال،و بالرغم من أن مستشارى فرعون لم ينصفوا رسولهم،و لكنهم كانوا أقرب رشدا من مستشارى نمرود حيث أمروه رأسا بحرق نبيهم إبراهيم-عليه السلام-و فى الحديث:أن أولئك كانوا أولاد زنا بينما كان هؤلاء رشده.

و

فی روایه أخری عن أبی عبد اللّه الصادق علیه السلام قال:

کان فرعون إبراهیم و أصحابه لغیر رشده،فإنهم قالوا لنمرود: «حَرِّقُوهُ وَ انْصُرُوا آلِهَتَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ فاعِلِینَ» و کان فرعون موسی و أصحابه لرشده،فإنّه لما استشار أصحابه فی موسی قالوا: «أَرْجِهْ وَ أَخاهُ وَ ابْعَثْ فِی الْمَدائِنِ حاشِرِینَ* یَأْتُوکَ بِکُلِّ سَحّارٍ عَلِیمٍ» (۱) وَ ابْعَثْ فِی الْمَدائِنِ حاشِرِینَ أرسل إلی أطراف البلاد من یجمع السحره،و هکذا أعلن فرعون-حسب هذا الرأی-حاله الاستنفار القصوی لجهازه الثقافی و الاعلامی لإحساسه بمدی خطوره التحدی.

[۳۷]و هکذا أمروه بتعبئه کل المهره من السحره.

یَأْتُوکَ بِکُلِّ سَحّارٍ عَلِیمٍ

فوقع السحره ساجدین:

[۳۸] فَجُمِعَ السَّحَرَهُ لِمِیقاتِ یَوْمٍ مَعْلُومٍ و لعله کان یوم عید قومیّ لهم.

[۳۹]کان بإمکان فرعون أن یجری الصراع علی حلبه قصره،بین النبی موسی و السحره من أنصاره،و لکنه دعا الناس جمیعا لیشهدوا المنافسه،کما فعل من قبل نمرود حیث لم یکتف حین أراد حرق إبراهیم-علیه السلام-بقلیل من الحطب،

۱- ۱) بحار الأنوار/ج(۱۲)/ص(۳۲).

بل أشعل نارا كانت تلتهم الطير على بعد أميال.لماذا؟ لأن الطغاه يعيشون أبدا حاله الهلع،فإن قلوبهم تهتز من أدنى معارضه، فيتظاهرون بالقوه لتعديل توازن أنفسهم،و لكى يرهبوا الناس أن يتأثروا بإعلام المعارضه،و هكذا فعل فرعون:

وَ قِيلَ لِلنّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ كان التعبير-هذه المره-رقيقا،لما أحس به فرعون من خطر محدق،فأراد استماله الجماهير.

بلى..ان الطغاه يريدون تمرير قراراتهم من خلال رأى الناس،لكى يوهموهم أنهم هم أصحاب القرار،و مسكينه هذه الشعوب الجاهله كم و كم تمر عليها هذه اللعبه و حتى هذا اليوم.

[۴۰]لم يكن هدف حشد الناس جعلهم الحكم بين النظام و المعارضه، ليختاروا ما يرونه حقا.كلا..انما كان الهدف تكريس سلطه فرعون،لذلك قالوا:

لَعَلّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَهَ إِنْ كانُوا هُمُ الْغالِبِينَ و لعل هذه الآيه تشير الى الهجمه الإعلاميه التى قامت بها أجهزه السلطه ضد موسى-عليه السلام-و صنعت أجواء رفض رساله اللّه،و اتباع السحره حتى قبل نزولهم الى حلبه التنافس.

[۴۱]و جاء السحره،و اجتمع الناس،و عبّئت الأجواء لتأييد فرعون،و تكونت فرق التشجيع على أطراف الحلبه لصالح السحره،و دقّت الطبول،و استعد الجلادون

لإنزال أقسى العقوبات بموسى و أخيه،و التنكيل ببنى إسرائيل،و خنق كل صوت للمعارضه،و تمثل السحره أمام فرعون يطلبون أجرا.أو ليسوا قد سخروا طوال الفتره للعمل فى البلاط بلا أجر،أو لم يكن عمل السخره شائعا فى عهد فرعون.أو لم تنتشر على أطراف أهرامات مصر التى بناها الفراعنه قبور المحرومين على امتداد أميال،من أولئك الذين كان يجمعهم النظام من أطراف مصر ليبنوا مقابر لأركانه، و ليعلو بذلك مجده،ثم يسخرهم بلا أجر فى ظروف قاسيه،فاذا ماتوا أهال عليهم حفنه من التراب و جاء بغيرهم؟!آه كم استخف الظالمون بأرواح البشر،و الى اليوم،و الى متى؟! كلّا..هذه المره نطالبه بأجر.فرعون هذا اليوم يختلف عنه بالأمس،انه مضطرب.دعنا نستغل ذلك لمطالبته بأجر على الأقلّ.

فَلَمّا جاءَ السَّحَرَةُ قالُوا لِفِرْعَوْنَ أَ إِنَّ لَنا لَأَجْراً إِنْ كُنّا نَحْنُ الْغالِبِينَ فاذا كان الأمر كذلك فسوف نبذل المزيد من الجهد للغلبه.

لقد اهتز ضميرهم منذ اللحظه الأولى التى واجهوا فيها موسى.

فمن هذا الراعى الذى جاء بعصاه يتحدى أكبر طاغوت،و أعظم امبراطور، و لماذا عجز فرعون عن التنكيل به كما ينكل بألوف الناس من بنى قومه؟! و جاء فى تفسير على ابن إبراهيم:«ان السحره حين بصروا بموسى،رأوه ينظر إلى السماء،قالوا لفرعون:انا نرى رجلا ينظر الى السماء،و لن يبلغ سحرنا الى السماء». (۱)

۱- ۲) تفسير نور الثقلين/ج(۴)/ص(۵۱).

[۴۲]فرعون يعرف-كما سائر الطغاه-بان العرش انما يصنعه هؤلاء (ادعياء الدين و العلم)الذين يسرقون سلاح الرفض من أيدى المحرومين،و يزرعون فيهم الخوف و الخنوع،و انه لا بد من شراء ضمائر هذه الطائفه المخاسره بأى ثمن.

لذلك...

قالَ نَعَمْ وَ إِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ان القيمه الحقيقيه لهذه الضمائر الخائنه هى المشاركه فى الملك،و هذا ما تبرع به فرعون،و وعد به السحره،أو ليسوا قد شاركوا فى صنع العرش و فى كل الجرائم التى يرتكبها صاحبه،فلما ذا لا يشاركونه فى غنائمه.

و لكن العلماء الفسقه لا يعرفون عاده القيمه الحقيقيه لما يبيعونه،فتراهم يرضون بالثمن الزهيد،فيخسرون اَلدُّنْيا وَ الْآخِرَهَ ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ .

[۴۳]من أعظم صفات الأنبياء عليه السلام التى تشهد بصدقهم:تحديهم لقوى أعظم منهم-كبشر-أضعافا مضاعفه،مما يشهد باعتمادهم على رب القدره و العظمه سبحانه.

هكذا تحداهم موسى.

قالَ لَهُمْ مُوسىٰ أَلْقُوا ما أَنْتُمْ مُلْقُونَ و ما عسى ان ينفعكم ما تلقون أمام قدره الرب؟! [۴۴]و لم يكن يملك أولئك البؤساء غير مجموعه حبال و عصى فألقوها.

فَأَلْقَوْا حِبالَهُمْ وَ عِصِيَّهُمْ

و قد استنفدوا كل جهدهم بذلك،و أضافوا اليه القول قسما:

وَ قالُوا بِعِزَّهِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغالِبُونَ كانت عزه فرعون-فى زعمهم-منتهى القوه الموجوده فى الأرض،فأقسموا بها،و حين يصل الإنسان الى الاعتزاز بقوه ماديه بهذه الدرجه التى يحلف بها فان نهايته قد آنت.أو ليس من أعتز بغير اللّه ذلك؟!

جاء فى الحديث القدسى:

«العظمه ردائى و الكبرياء ازارى فمن نازعنى فيها لعنته » [۴۵]هنالك أمر اللّه موسى بأن يلقى عصاه.

فَأَلْقىٰ مُوسىٰ عَصاهُ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُونَ [۴۶-۴۷]خلق الإنسان على الفطره التى تتجلى فيها آيات اللّه،و لو لم تلوث الصفحه البيضاء،التى يتكون منها قلب البشر بالتربيه الفاسده،و النظام الفاسد،و الشهوات و..و..فسوف تنعكس عليها تجليات الرب.

و حتى لو تورط الإنسان فى الذنوب فإن نفسه تظل تلومه،و فى لحظات خاصه يتعرض القلب لشلال من نور الحقيقه يكاد ينصدع به،حيث يستيقظ فيه ذلك الوجدان،و ينهض متحديا حجب الذنوب،و إذا وفقه اللّه حدث فيه تحول مبارك و عظيم.

و هكذا خرّ السحره ساجدين للّه،فى وسط دهشه الجميع.

فَأُلْقِيَ السَّحَرَهُ سٰاجِدِينَ* قالُوا آمَنّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ

هکـذا ینبغی علی من یحمـل مشـعل الثقافه الرساليه الا یهن،و لا ینی یهاجم الظلام الشـیطانی.ذلک أن النور سـیطوی الظلام أنّی کان متراکبا.

[۴۸]و لأـن السـحره آمنوا بـاللّه بـدلاله موسـی،و حیث تجلت آیه اللّه علی یـده، فـإنهم ذکروه،و لأـن هارون-بـدوره-کان وزیرا لموسی فقد جاء ذکره عند هذه اللحظه.لحظه المفاجئه الکبری.

رَبِّ مُوسیٰ وَ هٰارُونَ هکذا یقدّر الرب أعمال عباده الصالحین.

[۴۹]کان فرعون موغلا فی الضلاله و الجحود،فلم یهتد بکل تلک الآیات، بل ظل یعاند بما أوتی من قوه.

قٰالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَکُمْ إِنَّهُ لَکَبِیرُکُمُ الَّذِی عَلَّمَکُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ و توعـدهم بالعـذاب الأليم،حیث لم یبق أمامه حجه یبرر بها مخالفته للرساله، فقال:

لَأُقَطِّعَنَّ أَیْدِیَکُمْ وَ أَرْجُلَکُمْ مِنْ خِلاٰفٍ یدا من الیسار،و رجلا من الیمین.

وَ لَأُصَلِّبَنَّکُمْ أَجْمَعِینَ [۵۰]کان العقاب شدیـدا،و لکن التقـدیر قضـی ان یسـتقبله أولئک الـذین کانوا الی عهـد قریب من رکائز النظام،لکی لا یرتاب أحد فی صدق إیمانهم،و بالتالی

صدق الرساله،و تتم حجته على الناس.

قالُوا لا ضَيْرَ إِنّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ کیف بلغ السحره هذه الذروه من الإیمان باللّه و رسالاته فی لحظه،کیف أیقنوا بالنشور الی درجه استساغوا الشهاده،و اعتبروها عوده الی اللّه؟! حین تتساقط حجب حب الذات،و عباده الأهواء،و الخضوع للطاغوت،فان الحقائق تتجلی مباشره للقلب،و یکون للعلم بها علما شهودیّا،و الیقین صادقا.

[۵۱]ثم لأن السحره طالما مشوا فی ارض اللّه، و انقلبوا فی نعمه،یأکلون رزقه، و یعبدون غیره،فلما تذکروا کانت الصدمه فی نفوسهم قویه فأرادوا تکفیر ذنوبهم التی أحسوا الآن بثقلها علی کواهلهم،و تطهیر صفحه حیاتهم بدم الشهاده،فقالوا:

إِنّا نَطْمَعُ أَنْ یَغْفِرَ لَنا رَبُّنا خَطایانا أَنْ کُنّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِینَ و نستوحی من هذه الآیه ان هناک مؤمنین آخرین اتبعوا نهج السحره التائبین، و انما کان هؤلاء طلائع فی مسیره الایمان.

[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۵۲ الی ۶۸]

اشاره

وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (۵۲) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ (۵۳) إِنَّ هؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (۵۴) وَ إِنَّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ (۵۵) وَ إِنّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ (۵۶) فَأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ (۵۷) وَ كُنُوزٍ وَ مَقامٍ كَرِيمٍ (۵۸) كَذلِكَ وَ أَوْرَثْناها بَنِي إِسْرائِيلَ (۵۹) فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (۶۰) فَلَمّا تَراءَا الْجَمْعانِ قالَ أَصْحابُ مُوسى إِنّا لَمُدْرَكُونَ (۶۱) قالَ كَلاّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (۶۲) فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (۶۳) وَ أَزْلَفْنا ثَمَّ الْآخَرِينَ (۶۴) وَ أَنْجَيْنا مُوسى وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (۶۵) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (۶۶) إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۶۷) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (۶۸)

اللغه

۵۴[لشرذمه]:الشرذمه العصبه الباقيه،من عصب كثيره، و شرذمه كلّ شيء بقيته القليله.

۶۴[و أزلفنا]:و الازدلاف الادناء و التقريب،و منه المزدلفه.

كَذٰلِکَ وَ أَوْرَثْنٰاهٰا بَنِی إِسْرٰائِیلَ

هدی من الآیات:

تتابع آیات سوره الشعراء فی بیان الصراع الحضاری الذی کسبه رسل اللّه بأیدی الرب،لما تتجلی فیه صفتا العزه و الرحمه الالهیتان.

هکذا أوحی اللّه إلی موسی بالهجره الجماعیه،فقاد بنی إسرائیل ناحیه البحر، و انبأهم بان فرعون یتّبعهم.

أما فرعون فقد عبّأ کلّ قواه،حیث حشر جنوده من مدائنه،و أضلهم بالقول:

ان بنی إسرائیل خلیط مختلف و قلیل،و انهم أغضبونا بتصرفاتهم(سرقوا أموالنا، و خرجوا عن دیننا)فأخرجناهم من بلادنا التی تتمتع بالبساتین و العیون و موارد و مساکن محترمه.بلی..و لکن اللّه أعاد بنی إسرائیل إلیها،و أورثهم إیّاها.

فزحف جیش فرعون تلقاء بنی إسرائیل عند الشروق،فلما اقترب الجمعان قال أصحاب موسی:انهم سیدرکوننا بقواتهم العظیمه،قال لهم موسی:کلا..ان اللّه

معی،و هو سیهدینی طریق النجاه،فأوحی اللّه الی موسی أن اضرب بعصاک البحر الذی وصلوا الیه،فلما ضربه بعصاه انقسم البحر،و انکشفت فیه طرق یابسه، فاستدرج الرب آل فرعون فی البحر أیضا،و لکنه أنجی بنی إسرائیل(الذین خرجوا من الطرف الآخر)و أغرق الآخرین(الذین لم یزالوا فیه حین عادت المیاه الی طبیعتها).

ان فی هذا الإعجاز آیه لعظمه الرب و قدرته،کما لرحمته و عطفه،و لکن أکثر الناس لا یؤمنون.

و ان اللّه عزیز ینتقم من الجبارین،و رحیم ینصر المستضعفین.

بینات من الآیات:

و کانوا هم الوارثین:

[۵۲]لقد فشل فرعون فی مواجهه الرساله بتضلیله،و بالرغم من تعبئه کل إمکاناته الاعلامیه لذلک،فعقد العزم علی التنکیل بهم،و لکن هدی اللّه سبق کیده،و هزم مکره،حیث أمر اللّه نبیه بان یقود بنی إسرائیل فی سبیل الهجره.

وَ أَوْحَیْنٰا إِلیٰ مُوسیٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبٰادِی إِنَّکُمْ مُتَّبَعُونَ ان ثقافه الشعراء التی تمثلت هنا بثقافه السحره تخدم الطغاه،و تضلل الناس، و هی اداه بید الجبارین لقهر المحرومین،بینما رسالات اللّه تبیّن للناس الحقائق، و فیها قرارات واضحه تهدف نجاه المحرومین من أیدی الظالمین،فلقد جاء الأمر بالهجره،و بیّن سبب هذا الأمر و هو وجود خطر یحدق بالناس،هذا نموذج لرسالات اللّه.

[۵۳]و بعث فرعون رسله الى مدائن مصر الكثيره و المتفرقه،و كان هدفه تعبئه قواه العسكريه لمواجهه خطر بنى إسرائيل،و يبدو أنه قام بالنفير العام،و لكن لماذا؟ هل انه حين أضمر السوء ببنى إسرائيل فخرجوا أحس بالخطر من أن يكون خروجهم تمهيدا لمقاومته عسكريا،فاستنفر جيشه؟أم أنه قرر ذلك قبل خروج بنى إسرائيل،و انما أراد بحشد قواه التظاهر بالقوه لكى لا يفكر أحد بالثوره عليه،فلربما كانت فى مصر قوى معارضه أخرى تنتظر دورها فى الثوره ضد فرعون؟ من خلال السياق يبدو ان الاحتمال الاول هو الأقوى.

فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ اى من يجمع له القوه العسكريه.

[۵۴]فلما عبأ جيشه ماديّا بدأ بتعبأتهم معنويا بالأساليب التاليه:

أولا:هوّن فى نظرهم قوه المعارضه،و قال:

إِنَّ هؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ فهم ليسوا قوه متماسكه،و فى ذات الوقت فهم قليلون.

و لا ريب ان تهوين شأن العدو من أساليب التعبئه المعنويه،و الذى يقوم به أبدا الطغاه ضد الثائرين.

[۵۵]ثانيا:بيّن سبب محاربته لبنى إسرائيل.إذ ان الطغاه يبحثون أبدا عن تبرير لإشعال نار الحرب ضد معارضيهم،فقال:

وَ إِنَّهُمْ لَنا لَغائِظُونَ فقد أثاروا غيظنا،بسبب تمردهم علينا،و خروجهم عن ديننا،و لان بنى إسرائيل استعاروا من قبل الحلّى من أهل مصر،و ذهبوا به كما يقول المفسرون.

[۵۶]ثالثا:كشف فرعون لهم عن مدى استعداده لمقاومتهم،و انه يحذر غلبتهم بالرغم من قله عددهم الآن.

وَ إِنَّا لَجَمِيعٌ حاذِرُونَ اى نحن جميعا نستعد لمواجهتهم،و لعلّه أراد بذلك إبعاد خوف الهزيمه عن جنوده بأنهم قد استعدوا جميعا لمقاومه هذا العدو،و أن على كل فرد ان يقوم بدوره فى مواجهه الخطر المحدق.

[۵۷]رابعا:طفق يبيّن خيرات بلاده،التى يجب الدفاع عنها،فقال:

فَأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ انه زعم امتلاكه لكل مقومات الحضاره،من زراعه تروى بالعيون مما تجعلها بعيده عن الأخطار المحتمله،و من المعروف ان حضاره آل فرعون كانت زراعيه، و كانت متقدمه بالقياس الى موازين تلك الحقبه القديمه،و كان يعتز بها فرعون كثيرا،و يعتقد بأنها دليل سلامه نهجه.

[۵۸] وَ كُنُوزٍ وَ مَقامٍ كَرِيمٍ ان وجود ذخائر ماليه مثل العمله الصعبه اليوم و الكنوز قديما،معلم من معالم التقدم الحضارى،كما أن المساكن الآمنه التى يحترم أهلها،و يكرمون فيها معلم

آخر من معالم الحضاره التى افتخر بها فرعون.

و لعل فى التعبير ب«أخرجناهم»تهديدا ضمنيّا للجيش،بأن من لا يطيع الأوامر يفقد هو الآخر هذه المكاسب.

و يبدو ان الجنات و العيون يعكس الوفاء (۱)بالضروريات،بينما الكنوز و المقام الكريم،يعكس التقدم الذى يوفر الأمن الاقتصادى و السياسى.

[۵۹]رسالات اللّه لا تعارض التقدم الحضارى،انما تعارض الظلم الذى يرتكب باسمه،و انما التقدم الحضارى الثابت و المستقر حق لأهل الحق،لأنهم هم الذين يضعونه فيسرقه الطغاه منهم،فيعيده اللّه عليهم.هكذا انبأنا اللّه سبحانه، فقال:

كَذٰلِكَ هكذا قال فرعون لقومه،و هكذا أعتز بما يملك، و لكن كيف كانت العاقبه؟ اسمعوا:

وَ أَوْرَثْنٰهٰا بَنِى إِسْرٰائِيلَ لقد أهلك اللّه آل فرعون،و عاد بنو إسرائيل الى مصر،و تنعموا بالجنات، و العيون،و الكنوز،و المقام الكريم،و هكذا يورث اللّه الأرض لعباده الصالحين، فلا ينخدع المحرومون بما فى أيدى الطغاه،و لا يذلوا أنفسهم لقاء فتات الطعام،أو فضاله الشراب،ان الخير كل الخير لهم،و عليهم ان يقطعوا أيدى السارقين حتى يهنأوا به.

۱- ۱) الوفاء من و فى الشىء وفاء فهو وافى.

[۶۰]كان فرعون المبادر الى الحرب،فهو الذى هاجم بنى إسرائيل عند الشروق.

فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ [۶۱]جدّ جيش فرعون فى السير حتى لحقوا بهم،و صار على مقربه منهم، يرى كل فريق الفريق الآخر.عندئذ أحس قوم موسى أن الخطر قد أحدق بهم.

فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ [۶۲]عند ما بيّن النبى موسى-عليه السّلام-لربه جوانب ضعفه فى حمل الرساله،سمع من اللّه كلمه عظيمه هى:«كلّا»و ها هو يكررها لقومه عند ما أحسوا بضعفهم فى مواجهه فرعون و قومه.

قَالَ كَلَّا هناك أخبره اللّه بأنه معه هو و أخيه هارون،يسمع و يرى،و هنا أيضا أنبأهم موسى بأن اللّه معه.

إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ما أعظم إيمان موسى بربه،و ما أشد يقينه بنصر اللّه،و ما أجدر بنا ان نقتبس من قصه حياته و مضه يقين،و نفحه إيمان.أمواج البحر أمامه و أمواج الجيش الكافر وراءه،و هو لا يملك سوى قوم مستضعف فيهم النساء و الأطفال و العجزه،و قد انهارت إرادتهم بفعل طول الاستعباد،و لكنه يتحدى كل خوف متوكلا على اللّه، واثقا من نصره.أو ليس اللّه معه فلما ذا يخشى،بل كيف يتسرب الخوف الى قلب موقن بأن اللّه معه؟!

[۶۳]و هبط الوحی علی قلبه الشریف:

فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ انقسم البحر علی نفسه لیکشف عن اثنی عشر سبیلا،مستقلّا لاثنی عشر سبطا من أسباط بنی إسرائیل.

فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ کل جانب منه کان کما الجبل العظیم،تراکمت المیاه علی بعضها،و تجمدت الأمواج فوق الأمواج.

[۶۴]و دخل بنو إسرائیل السبل التی فتحت لهم فی البحر الذی لا یدری هل هو النیل أم أنه البحر الأحمر؟ و بلغ آل فرعون البحر فوجدوا أعداءهم فی منتصف الطریق،فاندفعوا وراءهم -سبحان اللّه-کیف یهبط الإنسان إلی هذا الدرک الأسفل من العصبیه.إنه یری المعاجز رأی العین،فلا یتبصر بل یستمر فی غیّه،لقد رأی فرعون آیه العصی و التی أسجدت السحره للّه،و رأی آیه الید البیضاء و سبع آیات أخری،و الآن یجد البحر قد انفلق،و تراکمت میاهه کالجبال و لا یزال یعاند،کیف یمکن ذلک؟! الواقع:ان الذنب یقسی القلب،و کلما زادت الذنوب کلما تحجرت القلوب أکثر فأکثر،و اللّه سبحانه یعاقب المذنبین لقسوه قلوبهم،و یستدرجهم الی مصیرهم الأسود،و هکذا یقول ربنا:

وَ أَزْلَفْنا ثَمَّ الْآخَرِينَ

لقد أهلكهم اللّه فى البحر أجمعين،و لكن لم أهلك اللّه كل الجيش،و لم يهلك فقط فرعون و هامان؟ الجواب:

ان الدنيا دار ابتلاء لجميع الناس،حاكمين و محكومين،و اتّباع المحكومين للطغاه يوردهم موردهم،بل سكوتهم عنهم يشركهم فى جرائمهم و عقوباتهم.

و لقد وفر اللّه لقوم فرعون أسباب الهدايه،إذ وقع السحره لربهم ساجدين، و أخذهم اللّه جميعا بألوان البلاء لعلهم يتضرعون،و إذ وقفوا على شاطئ البحر ينظرون الى القوم المستضعفين،يقودهم راعى غنم لا يحمل إلاّ عصا، و قد انفلق البحر لهم بهذه الصوره،فهل بقيت حجه لهم،كلّا..بل للّه الحجه البالغه عليهم، فان أهلكهم فانما بعد البينه و إتمام الحجه.

[۶۵]المعجزه كانت واحده و هى انفلاق البحر و لكن العاقبه اختلفت،حيث يقول الرب سبحانه:

وَ أَنْجَيْنا مُوسى وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ [۶۶] ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ فهل هى صدفه ان تقع ظاهره واحده ترحم هؤلاء،و تعذب أولئك؟! [۶۷] إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَهً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ بالرغم من قوه الحجه فان العيون مغلقه،و القلوب محجوبه،و لا يجوز ان نجعل الناس مقياسا للحق و الباطل.

جاء فی الحدیث عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله :

«لا تکن امعه تقول:ان أحسن الناس أحسنت،و ان أساؤا اسأت،و لکن وطنوا أنفسکم،ان أحسن الناس ان تحسنوا و ان أساؤا ان تجتنبوا إساءتهم » [۶۸] وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ عزیز ینتقم من الکفار،و رحیم ینصر المؤمنین.

ص:۵۹

[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۶۹ الی ۱۰۴]

اشاره

وَ اُتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرٰاهِيمَ (۶۹) إِذْ قٰالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ مٰا تَعْبُدُونَ (۷۰) قٰالُوا نَعْبُدُ أَصْنٰاماً فَنَظَلُّ لَهٰا عٰاكِفِينَ (۷۱) قٰالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (۷۲) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (۷۳) قٰالُوا بَلْ وَجَدْنٰا آبٰاءَنٰا كَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ (۷۴) قٰالَ أَ فَرَأَيْتُمْ مٰا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (۷۵) أَنْتُمْ وَ آبٰاؤُكُمُ اَلْأَقْدَمُونَ (۷۶) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاّٰ رَبَّ اَلْعٰالَمِينَ (۷۷) اَلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (۷۸) وَ اَلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَ يَسْقِينِ (۷۹) وَ إِذٰا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (۸۰) وَ اَلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (۸۱) وَ اَلَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ اَلدِّينِ (۸۲) رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَ أَلْحِقْنِي بِالصّٰالِحِينَ (۸۳) وَ اِجْعَلْ لِي لِسٰانَ صِدْقٍ فِي اَلْآخِرِينَ (۸۴) وَ اِجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ اَلنَّعِيمِ (۸۵) وَ اِغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كٰانَ مِنَ اَلضّٰالِّينَ (۸۶) وَ لاٰ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (۸۷) يَوْمَ لاٰ يَنْفَعُ مٰالٌ وَ لاٰ بَنُونَ (۸۸) إِلاّٰ مَنْ أَتَى اَللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (۸۹) وَ أُزْلِفَتِ اَلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (۹۰) وَ بُرِّزَتِ اَلْجَحِيمُ لِلْغٰاوِينَ (۹۱) وَ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (۹۲) مِنْ دُونِ اَللّٰهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (۹۳) فَكُبْكِبُوا فِيهٰا هُمْ وَ اَلْغٰاوُونَ (۹۴) وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (۹۵) قٰالُوا وَ هُمْ فِيهٰا يَخْتَصِمُونَ (۹۶) تَاللّٰهِ إِنْ كُنّٰا لَفِي ضَلاٰلٍ مُبِينٍ (۹۷) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (۹۸) وَ مٰا أَضَلَّنٰا إِلاَّ اَلْمُجْرِمُونَ (۹۹) فَمٰا لَنٰا مِنْ شٰافِعِينَ (۱۰۰) وَ لاٰ صَدِيقٍ حَمِيمٍ (۱۰۱) فَلَوْ أَنَّ لَنٰا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ (۱۰۲) إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۰۳) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ اَلْعَزِيزُ اَلرَّحِيمُ (۱۰۴)

اللغه

۹۰[و أزلفت]:أی قربت.

۹۱[و برّزت]:و التبریز الإظهار.

۹۴[فکبکبوا]:أصله کببوا،أی دهدهوا.

ص:۶۱

بَلْ وَجَدْنٰا آبٰاءَنٰا كَذٰلِکَ يَفْعَلُونَ

هدى من الآيات:

فى سياق تبيان الصراع بين رسالات اللّه و ثقافه الشعراء يضرب لنا الرب مثلا من قصه إبراهيم و قومه،و كيف أوحى اللّه اليه بمقاومه الفساد العريض الذى تردوا فيه،فعبدوا الأصنام،و حين سألهم عن ذلك إبراهيم لم يملكوا حجه،بل قالوا:انا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون،فأعلن البراءه منهم و من آبائهم و من أصنامهم، و توجه الى عباده رب العالمين،الذى أعطاه خلقه و هداه،و طعامه و شرابه و شفاه، و هو يميته و يحييه،و يرجو مغفرته يوم يلقاه،و تضرع اليه:ان يهب له الحكم، و يلحقه بمن مضى من الصالحين،و يجعله فاتحه عهد صالح،و ان يرزقه الجنه،و يغفر لأبيه لأنه كان من الضالين،و لا يخزيه يوم البعث بالنار.إنّه يوم لا تنفع الأصنام، كما لا يغنى اتباع الآباء شيئا،فلا ينفع فيه مال و لا بنون الاّ من أتى اللّه بقلب سليم.فى ذلك اليوم تزلف الجنه ليدخلها المتقون،و تبرّز النار ليدخلها الغاوون، الذين يسألون: أَيْنَ مٰا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ ،فأين ذهبت أصنامكم،و اين

تولى آباؤكم.هل هم قادرون اليوم على نصركم أو نصر أنفسهم؟!فلما فلم يحيروا جوابا أقحموا فى النار مع الغاوين،و جنود إبليس أجمعين.

و هناك تبيّن مدى ضلالتهم،حيث اختصموا فى النار،فقال الكفار لأوليائهم:انا كنا فى ضلال مبين إذ نجعلكم سواء مع رب العالمين،و أنحوا باللائمه على الذين أضلوهم-لعلهم عنوا بهم ادعياء الدين و العلم-و نعتوهم بالإجرام،و قالوا:لا أحد يشفع لنا و لا يصدقنا،و يهمّه أمرنا،و تمنوا لو كانت لهم كره حتى يكونوا مؤمنين.

و يختم القرآن هذا الدرس،كما ختم قصه موسى عليه السلام بان كل ذلك آيه،و لكن أكثر الناس لا يؤمنون، ثم يذكرنا باسمى العزه و الرحمه لربنا العظيم.

بينات من الآيات:

[٧٠-٦٩]نستوحى من قصص سيدنا إبراهيم-عليه السّلام-أن فطرته الإيمانيه تجلت حتى قبل ان يوحى اليه،فاذا به يواجه أكبر فساد استشرى فى قومه و هو عباده الأصنام،و اتباع الاباء على غير هدى.

يبدأ انحراف البشر بسبب همزات الشيطان،و دفعات الشهوات،و لكنه سرعان ما يلبس ثياب الشرعيه،و يضفى عليه أدعياء الدين و العلم و بأمر من المترفين القداسه الدينيه،و كذلك كانت عباده الأصنام عند قوم إبراهيم.

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْراهِيمَ* إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ ما تَعْبُدُونَ ان إبراهيم يتحدى أولا أباه،الذى لم يكن والده انما كان عمه آزر الذى تبناه،و لعل السبب يتلخص فى أمرين:

أولا-ان أباه كان هو المسؤول المباشر عنه،و الذى كان ينفذ عليه تعاليم مجتمعه،و من خلاله كان يتعرض إبراهيم لضغط المجتمع الفاسد،و دفعه باتجاه عباده الأصنام.

ثانيا:ان إبراهيم كان فى مجتمع رجعى يقلّد الآباء،و لذلك كان ينبغى أن يبدأ تحديه لهم حتى يصبح قدوه لكل من يعيش فى مثل هذا المجتمع المتخلف.

[٧١]لقد اعترفوا بفسادهم،و أنهم إنّما يعبدون أصناما لا تضر و لا تنفع.

قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ نصلى لها،و نديم عبادتها،و لعل هذا التعبير يوحى بأنهم كانوا فى شك من جدوائيه عبادتهم لها،و انما مضوا عليها اقتداء بالسابقين.

[٧٢]ان نظام الحياه قائم على النفع و الضر،و ان فطره الإنسان تهديه إلى الربّ فى أوقات الشده و عند الحاجه،و هكذا سألهم إبراهيم:هل تستجيب هذه الأصنام عند الشده،حيث ينقطع رجاء الإنسان من الوسائل المتاحه له(كما يستجيب الرب سبحانه)أو هل تنفع أو تضر فى الأوقات العاديه؟! قالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ فى حال الشده تتساقط الأوهام،و يتعلق القلب بالخالق فلا يدعو غيره،و هذا أكبر برهان على بطلان عباده الأصنام.

[٧٣] أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ هكذا ألقى إبراهيم حجرا كبيرا فى محيط قلوبهم الراكد،و أحدث فيها أمواجا

متلاحقه من الشک،و الواقع:إنّ زرع الشک فی القلب بالنسبه إلی الوضع الفاسد خصوصا عند أولئک الجامدین یعتبر أکبر إنجاز.

ففی حوار بین طبیب هندی ملحد،و الإمام الصادق-علیه السلام-یلقی الامام الشک فی روعه فیما یتعلق بعقائد الطبیب الفاسده،فیقول:لا ادری لعل فی بعض ما ذکرت مدبرا،و ما ادری لعله لیس فی شیء من ذلک؟

فیقول له الامام:

«اما إذا خرجت من حد الإنکار الی منزله الشک،فانی أرجو أن تخرج الی المعرفه » (۱)[۷۴]و لم یملک القوم حجه،فأحالوا القضیه إلی التراث الذی هو آفه المتدینین، حیث یختلط بالدین فی ذهن الناس بما یصعب فکاکه عنه.

قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا کَذلِکَ یَفْعَلُونَ [۷۵]هناک تجلی تحدی إبراهیم لقومه،فأعلنها صراحه:أننی براء منکم و مما تعبدون،لأن تلک الأصنام عدوه لی:

قالَ أَ فَرَأَیْتُمْ ما کُنْتُمْ تَعْبُدُونَ و هذا التعبیر بالغ درجه کبیره من الاستخفاف و السخریه.

[۷۶] أَنْتُمْ وَ آباؤُکُمُ الْأَقْدَمُونَ

۱- ۱) بحار الأنوار/ج(۳)/ص(۱۵۵).

ای أننی لا أتحدی فقط آباءکم القریبین إلیکم،بل حتی أولئک الأکثر قداسه عندکم و هم الأقدمون.ألیس المجتمع الرجعی یکتسب فیه القدیم قیمه تتنامی مع مرور الزمان کأنه الخل أو الخمر؟! [۷۷] فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِی أننی أعادیه بصراحه،لأنه هو الذی یعادینی.

لقد کانت تلک کلمه البراءه.أزال بها إبراهیم الحصانه التی خلعها أولئک الرجعیون علی الأصنام،و لعل إبراهیم علیه السلام استهدف أیضا من ذلک أمرین آخرین:

أولا:إثبات عدم قدره الأصنام علی الإضرار بأحد اثبت ذلک عملیّا،حیث کان أولئک الجهله یحذرون الأصنام،و یتهیّبون ترک عبادتها،فکان قدوه فی الرفض،و هکذا من یتبع نهج إبراهیم من المؤمنین الصادقین،یرفضون التسلیم للطغاه،و یصبحون قدوه فی ذلک،حیث یثبتون بعملهم ان الطغاه لیسوا بمعجزین فی الأرض.

ثانیا:إن الأصنام رمز النظام السیاسی و الاقتصادی،و تقدیسها حجر الزاویه فی البناء الثقافی للمجتمع الجاهل،و أن الاستمرار فی عبادتها یعنی استمرار الوضع الفاسد الذی یضر بالإنسان،فالأصنام عدوه للإنسان فعلا،و علی الإنسان أن یتخذها عدوا.

و لا یکفی رفض الأصنام،بل لا بد من التوجه الی اللّه،لذلک قال إبراهیم علیه السلام :

إِلاّ رَبَّ الْعالَمِینَ

[۷۸] اَلَّذِی خَلَقَنِی فَهُوَ یَهْدِینِ لقد خلق اللّه کل شیء خلقا متینا،و أجری فیه سننا بالغه الدّقه،و هدی الإنسان الی تلک السنن بالغرائز،و الفطره،و العقل،و الوحی،و تطابق الوحی و السنن أکبر شهاده علی صدق الرساله،و أبلغ حجه علی حکمه الرب،و حسن تدبیره سبحانه.

[۷۹]و البشر مفطور علی تقدیر من یطعمه و یسقیه،و لکن یخطأ فی معرفه المصدر الحقیقی للطعام و الشراب.انه ینظر إلی الوسیله و لا ینظر الی المصدر،یری الرافد و یغفل عن الینبوع،یحس بید الخبّاز و لکنه یجهل أو یتجاهل عشرات الأیدی من قبلها و ید الغیب من ورائها جمیعا.

أما صاحب الفطره النقیه التی تتحدی سلطه المجتمع،و لا یضیّع انسانیّته بالتسلیم للفساد الثقافی السائد علیهم،فهو الذی یهتدی إلی لبّ الحقائق،و غیب الظواهر،کمثل إبراهیم إذ قال:

وَ الَّذِی هُوَ یُطْعِمُنِی وَ یَسْقِینِ [۸۰]لقد جعل اللّه فی جسم الإنسان نظام مناعه،یقاوم الجراثیم،و یساعد علی التغلب علی المرض،و مدی قدره هذا النظام أو ضعفه،و مدی قدره الجرثومه و ضعفها خاضع لتقدیر اللّه سبحانه،و هکذا یموت أو یطیب المریض بما لا یتحکم فیه البشر مهما أوتی من علم.

و لو أفقد اللّه الجسم مناعته،فلا أحد قادر علی حفظه حتی و لو شرب أطنانا من الأدویه المضاده.

هکذا عرف إبراهیم بفطرته النقیه الحقیقه هذه،فقال:

وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ یَشْفِینِ ان الشفاء بید اللّه،و اللّه أودع فی جسم الإنسان ما یتغلب به علی المرض، و أفضل العلاج مقاومه المرض بقوه الجسم،و قد أکدت النصوص الاسلامیه علی هذه الضروره.

و جاء فی الحدیث:

«امش بدائک ما مشی بک »

و جاء فی حدیث مأثور عن الامام الصادق علیه السلام انه قال:

«من ظهرت صحته علی مرضه فتعالج بشیء فمات فأنا إلی اللّه منه بریء » (۱)و ربما لکی یتحمل آلام المرض،و لا یسرع الی مقاومته مما یفقده مناعته،جاءت نصوص تؤکد ثواب المرض للمؤمن.

جاء فی حدیث مأثور عن عبد اللّه بن مسعود انه قال:

بینما نحن عند رسول اللّه(صلی اللّه علیه و آله)إذ تبسم فقلت له:مالک یا رسول اللّه؟قال:

«عجبت من المؤمن و جزعه من السّقم،و لو یعلم ماله فی السّقم من الثواب لأحب الّا یزال سقیما حتی یلقی ربه عز و جل » (۲)

۱- ۲) نور الثقلین/ج(۴)/ص(۵۵).

۲- ۳) المصدر/ص(۵۶).

و ندب الشرع كتمان الألم ثلاثا،و انبأنا أن فى ذلك ثوابا عظيما،

فقد روى عن الإمام الباقر عليه السّلام قال:

«قال اللّه تبارك و تعالى:ما من عبد ابتليته ببلاء فلم يشك الى عواده،إلا أبدلته لحما خيرا من لحمه،و دما خيرا من دمه،فإن قبضته قبضته إلى رحمتى، و ان عاش عاش و ليس له ذنب » (۱)[۸۱]فى خضم المشاكل اليوميه التى يواجهها البشر ينسى الحقائق الكبرى، كمن يعالج شجره فى طريقه فتحجبه عن الغابه، و إنما المهديون من عباد اللّه يتذكرون أبدا تلك الحقائق الكبيره.من أين والى أين و من المدبر؟ و الموت و الحياه هما أخطر ظاهرتين يمر بهما البشر،و إذا كشفت عن بصره غشاوه الغفله فانه يهتدى إلى من يقهر الناس بالموت،ثم يبعثهم للحساب،قال إبراهيم عليه السلام :

وَ الَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ [۸۲]علاقه البشر بأى شىء أو شخص تنتهى بالموت،و لكنها تستمر مع الرب الى يوم الدين،حيث لا تنفع علاقه أخرى.

وَ الَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ ان القلب الواعى تنكشف له الحقائق حتى يبلغ ذروتها،المتمثله فى اليقين بالبعث و النشور،و هكذا كان عند إبراهيم عليه السّلام.

۱- ۴) المصدر.

[۸۳]لقد تجلت الحقائق لقلب إبراهيم عليه السلام حيث سلم لرب العالمين،ففاضت يقينا و سكينه،و نطقت بتطلعات ساميه من وحى تلك الحقائق،فمن آمن برب العالمين،و عرف أنه الخالق الهادى،و المطعم الساقى،و الشافى،و المحى المميت، و الغافر للذنوب فلا يملك نفسه أن يتضرع اليه،و يطلب حاجاته.

و تطلعات الإنسان كبيره،لأن اللّه خلق الإنسان فى أحسن تقويم،و أكرمه، و فضلّه،و أودع فى نفسه روح النمو و التسامى،إلّا أن عباده الأصنام تكبت النفس و تذلها و تميت تطلعاتها،أما إبراهيم-عليه السّلام-الذى تحرر من هذه العباده فقد انفتحت قريحته بالدعاء،و أعظم به و أعظم بمن دعا و أعظم بما دعا،إذ قال:

رَبِّ هَبْ لِى حُكْماً هذا طلب عظيم ان تسأل اللّه ان يجعلك خليفته فى الأرض،و يبدو أن الحكم هنا النبوه أو العلم،و مما يدعو المؤمنون به قولهم:

«رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّيّاتِنا قُرَّهَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً» . (۱)

وَ أَلْحِقْنِى بِالصّالِحِينَ و أكرم الصالحين هم الأنبياء،و يبدو أن إبراهيم عليه السلام طلب بذلك الاستقامه على الطريقه حتى النهايه ليلتحق بالصالحين،و ذلك لعلمه أن الأمور بخواتيمها،و على الإنسان ان يوطّن نفسه لمقاومه الضغوط حتى يحظى بعاقبه حسنى.

[۸۴]قد ينتهى الإنسان،و يمحى أثره،و ينسى ذكره إلاّ أنّ النفس السويّه تتطلع الى بقاء ذكره الحسن من بعده،كذلك قال إبراهيم:

۱- ۵) الفرقان/(۷۴).

وَ اجْعَلْ لِی لِسٰانَ صِدْقٍ فِی الْآخِرِینَ و کان رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله -هو دعوه إبراهیم کما قال،فهو -إذا -لسان صدق فی الآخرین،حیث جدد شریعته،و أعلی ذکره.

کما فعل ذلک الإمام علی -علیه السّلام -حیث جاء فی تفسیر علی بن إبراهیم فی تفسیر هذه الآیه انه أمیر المؤمنین علیه السلام. (۱)

و قد حرص الإسلام علی البحث عن الذکر الحسن لیس باعتباره تطلعا مشروعا فقط،و إنما أیضا لأنه یعکس کمال النفس و تکاملیتها.

جاء فی نهج البلاغه أن أمیر المؤمنین علیه السلام قال:

«الا و ان اللسان الصالح یجعله اللّه للمرء فی الناس خیر له من المال،یورثه من لا یحمده » (۲)[۸۵]ما شر بشر بعده الجنه،و منتهی رغبه النفس السویه الحصول علی الجنه، التی هی دار من ارتضاه الرب و أرضاه.

وَ اجْعَلْنِی مِنْ وَرَثَهِ جَنَّهِ النَّعِیمِ [۸۶]أول من تحدّی إبراهیم علیه السلام هو أبوه آزر،و لعله کان یحس ان له علیه حقا،فلا بد من ان یبر الیه،فدعا له بالهدایه ثم بالمغفره،فقال:

وَ اغْفِرْ لِأَبِی إِنَّهُ کانَ مِنَ الضّٰالِّینَ

۱- ۶) المصدر/ص(۵۷).

۲- ۷) المصدر.

و لعل الاستغفار للضال الذى لم يبلغ درجه الجحود حسن،لا سيما إذا كان له حق،و معنى الاستغفار هنا هدايته فيما يبدو.

و كان إبراهيم قد وعد أباه بأن يستغفر له، فقال: «سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى إِنَّهُ كانَ بِى حَفِيًّا» . (۱)

و لكن إبراهيم تبرأ منه لما تحول من الضلاله الى العناد و الجحود،فقال ربنا سبحانه:

«وَ ما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاّ عَنْ مَوْعِدَهٍ وَعَدَها إِيّاهُ فَلَمّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْراهِيمَ لَأَوّاهٌ حَلِيمٌ» . (۲)

[۸۷]لم يكن إبراهيم مذنبا،انه كان نبيا عليّا،عصمه اللّه من الذنوب، و لكنه حين وجد نفسه فى حضره ربه وجدها حافله بالنقص،فلم يملك سوى الاستغفار،و طلب المزيد من الطهاره و الكمال،و ليست هناك لغه بين القلب و الرب أبلغ فى الحب و الهيام من لغه كلغه التذلل و الاعتراف و طلب العفو.فقال إبراهيم عليه السلام:

وَ لا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ان الخزى ثمه بالنار حيث يقول المؤمنون: «رَبَّنا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَ ما لِلظّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ» . (۳)

۱- ۸) مريم/(۴۷).

۲- ۹) التوبه/(۱۱۴).

۳- ۱۰) آل عمران/(۱۹۲).

[۸۸] يَوْمَ لاٰ يَنْفَعُ مٰالٌ وَ لاٰ بَنُونَ و أعظم ما يستعبد البشر فى الدنيا حبّ المال و البنين،فاذا تحرّر من عبادتهما فقد فاز.

[۸۹] إِلاّٰ مَنْ أَتَى اللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ فاذا سلم القلب سلمت الجوارح،و سلامه القلب بتطهيره من حب الدنيا،لأن حب الدنيا رأس كل خطيئه،كما أخبر الرسول-صلى اللّه عليه و آله-.

و جاء فى الحديث المأثور عن الامام الصادق-عليه السلام-فى تفسير الآيه:

«القلب الذى سلم من حب الدنيا » (۱)[۹۰]فى ذلك اليوم تؤتى الجنه و تزف الى المتقين كما العروس تزف الى زوجها،أما النار فتبرز للكفار و يعلمون انهم مواقعوها.

وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّهُ لِلْمُتَّقِينَ [۹۱] وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغٰاوِينَ الذين ضلوا و أضلوا بعد علم.

[۹۲]الوحى يفك العلاقات الاجتماعيه الفاسده التى قد تتحول الى أقفال فى القلب و أمراض،و تمنعه السلامه،و لكى ننظم علاقاتنا على أحسن وجه لا بد ان نجعل يوم القيامه المقياس،و نتساءل:هل نستفيد من هذه العلاقه فنحافظ عليها،

۱- ۱۱) مجمع البيان/ج(۵)/ص(۱۶۱،طبعه بيروت).

أم لا فنتحرر منها،قال اللّه:

وَ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ [۹۳] مِنْ دُونِ اللّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ كلا..فلا ينصرون أحدا،و لا هم أنفسهم ينصرون.

[۹۴]تتلاحق أمواج الكفار وراء بعضها لتلقى فى جهنم الذين ضلوا و الذين أضلوهم،لا أحد ينصر أحدا.

فَكُبْكِبُوا فِيها هُمْ وَ الْغاوُونَ أى دهدهوا،و طرح فيها بعضهم على بعض.

و يبدو ان هناك ثلاث فرق هما الجماهير،و الطغاه،و من يؤيّدهم.

جاء فى الحديث المأثور عن الامام الباقر-عليه السلام-قال:

«هم قوم وصفوا عدلا بألسنتهم ثم خالفوه الى غيره » (۱)[۹۵] وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ و هذا الفريق-كما يبدو-هم الذين أيّدوا الطاغوت،فالذين يكبكبون فى النار-بالتالى-ثلاث فرق:من اتّبعوا من عامه الناس،و من اتّبعوا من ولاتهم،و من ساعدوا من جنودهم.

[۹۶]و تتقطع فى يوم الحسره أسباب العلاقه بين التابعين و المتبوعين،بل تجدهم

۱- ۱۲) نور الثقلين/ج(۴)/ص(۵۹).

يتلاومون و يتلاعنون.

قالُوا وَ هُمْ فِيها يَخْتَصِمُونَ [۹۷] تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ [۹۸] إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ لقد اعترفوا بمدى ضلالتهم عن الحق و بعدهم عن الصواب،إذ جعلوا أندادهم سواء مع رب العالمين.

[۹۹]و لكن من المسؤول عن ضلالتهم هذه؟انى كان فهو قد ارتكب جريمه كبرى بحقهم.

وَ ما أَضَلَّنا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ اختلف المفسرون فى المجرم فقالوا:الذين اقتدوا بهم من الطغاه،أو الشياطين، أو الكفار السابقين،الذين دعوهم الى الضّلال.

و الواقع:أن كلّ أولئك ينطبق عليه هذا الوصف،و لكن أحقهم جميعا بهذه الصفه هم أدعياء الدين و العلم الذين يشتغلون بتضليل الناس.

[۱۰۰]و اليوم أين أولئك المجرمون؟! فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ [۱۰۱] وَ لا صَدِيقٍ حَمِيمٍ فلا أحد من هؤلاء المجرمين يشفعون لبعضهم،و لا حتى الصداقات الحميمه

تنفع ذلك اليوم.

بلى..ان المؤمنين يشفع بعضهم لبعض كما جاء فى نصوص صريحه.

فالنبى-صلى اللّه عليه و آله-يشفع لأمته،و الأئمه-عليهم السلام- يشفعون لشيعتهم،و المؤمنون يشفعون لبعضهم.

جاء فى الحديث:عن أبّان بن تغلب قال:سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«ان المؤمن ليشفع يوم القيامه لأهل بيته فيشفع فيهم حتى يبقى خادمه، فيقول-و يرفع سبابتيه-:يا رب خويدمى كان يقينى الحر و البرد،فيشفّع فيه » (۱)[۱۰۲]ثم تقطع الحسره نياط أفئدتهم ان لو كانت لديهم فرصه أخرى حتى يكونوا مؤمنين.

فَلَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً رجعه الى الدنيا.

فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ [۱۰۳] إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً وَ مٰا کانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ بالرغم من تظافر الآيات.

۱- ۱۳) بحار الأنوار/ج(۸)/ص(۶۱).

[۱۰۴] وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ هذه هی الحقیقه التی نستوحیها من کل تلک القصص التی یقصها ربنا فی سوره الشعراء.هدی و نورا.ان ربک عزیز یأخذ الکافرین بقوه،و هو رحیم

ص:۷۷

ينصر المؤمنين بفضله و منّه.

[سوره الشعراء (۲۶): الآيات ۱۰۵ الى ۱۲۲]

اشاره

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ اَلْمُرْسَلِينَ (۱۰۵) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَ لاٰ تَتَّقُونَ (۱۰۶) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (۱۰۷) فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۰۸) وَ مٰا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّٰ عَلىٰ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (۱۰۹) فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۱۰) قٰالُوا أَ نُؤْمِنُ لَكَ وَ اِتَّبَعَكَ اَلْأَرْذَلُونَ (۱۱۱) قٰالَ وَ مٰا عِلْمِي بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۱۱۲) إِنْ حِسٰابُهُمْ إِلاّٰ عَلىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (۱۱۳) وَ مٰا أَنَا بِطٰارِدِ اَلْمُؤْمِنِينَ (۱۱۴) إِنْ أَنَا إِلاّٰ نَذِيرٌ مُبِينٌ (۱۱۵) قٰالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يٰا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ اَلْمَرْجُومِينَ (۱۱۶) قٰالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (۱۱۷) فَافْتَحْ بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ فَتْحاً وَ نَجِّنِي وَ مَنْ مَعِيَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ (۱۱۸) فَأَنْجَيْنٰاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي اَلْفُلْكِ اَلْمَشْحُونِ (۱۱۹) ثُمَّ أَغْرَقْنٰا بَعْدُ اَلْبٰاقِينَ (۱۲۰) إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۲۱) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ اَلْعَزِيزُ اَلرَّحِيمُ (۱۲۲)

اللغه

۱۱۱[الأرذلون]:هم السفله و الأوضاع و الرّذل الوضيع،و الرذيله نقيض الفضيله.

۱۱۸[فافتح]:الفتح الحكم،و الفتاح الحاكم لأنه يفتح على وجه الأمر بالحكم الفصل.

وَ ما أَنَا بِطارِدِ الْمُؤْمِنِينَ

هدى من الآيات:

الصراع الدائر بين رساله اللّه،و ثقافه الأرض،صراع ممتد عبر الزمن،لأن رسالات اللّه تهدف تغيير كلّ القيم الجاهليه،و إقامه كيان ثقافىّ جديد،فحين يدعو نوح قومه الى التسليم و الإيمان باللّه،فانه يدعوهم فى ذات الوقت الى التّسليم لكل القيم الإلهيه التى تحمل التحضر و التمدن لأولئك الناس الذين سلموا لخرافات الماضى،و فساد الواقع،و بالرغم من ان الرسل عليه السلام قد تحملوا الصعوبات فى سبيل تبليغ رسالاتهم،إلّا أنّهم استطاعوا أن يغيّروا أفكار البشر،حتى أن الأفكار الصحيحه التى نجدها فى الأقوام الجاهليه لا بد أن يكون مصدرها الرسل،لأن الرسل كانوا بحق المحرك الأساسى للبشريه،و إلّا فإن البشريه كانت تسير بشكل طبيعى نحو النهايه.

و من الصعب على بشر عادّى،أن يربّى جيلا كاملا و يرفعه الى سماء القيم، لأن ذلك يستوجب ان يبث فيهم وعيا و ثقافه و روحا إيمانيّا يستحيل على البشر

العادى امتلاكه،فكيف ببثّه فى جيل كامل،و عليه أيضا ان يتحدى الثقافه الموجوده،و من يقف خلفها.

و يجب أن نقف إجلالا لذلك الفكر الذى يصيغ أجيالا مؤمنه.أن نقف إجلالا أمام صبر الرسل و تضحياتهم كنوح على نبينا و آله و عليه أفضل الصلاه و السلام.

كان يعيش مجتمع نوح الطبقيه و التجبر فى الأرض،فكانوا يحتجون على نوح عليه السلام بقولهم:كيف نؤمن لك و اتّبعك الأرذلون؟!و كانوا يهددون نوحا-عليه السلام -و من اتبعه بالرجم تجبرّا و علوّا فى الأرض.

و اتباع الأرذلين لنوح ليست مبرّرا لعدم الإيمان،فان كانوا ارذلين،فربهم أولى بحسابهم،و على كل حال فلم تكن نهايه قوم نوح بأفضل من نهايه قوم فرعون أو قوم إبراهيم حيث دعا نوح ربه عليهم،و سأله أن يفتح بينه و بينهم فتحا،فأغرقهم اللّه و نجّى نوحا و من معه من المؤمنين.

و مره أخرى تجلت عزه اللّه بالانتقام من قوم نوح،كما تجلت رحمته بنجاه المؤمنين،و كان فى ذلك أعظم آيه،و لكن أكثر الناس لا يؤمنون.

بينات من الآيات:

[١٠٥] كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ الأنبياء خطّ واحد و متكامل،أرسلوا كلهم من قبل رب واحد،و تقف رسالاتهم جميعا،من ناحيه المبادئ العامه،و تفترق فى المحتوى الاجتماعى، فموسى جاء لإزاله طاغوت زمانه،و إنقاذ أمّه مستضعفه،و نوح جاء لإزاله الطبقيه و التجبر،و مجرد التكذيب برسول واحد يقتضى التكذيب بسائر الرّسل جميعا.

و ربما معنى هذه الآيه أنّ اللّه أرسل فى قوم نوح أنبياء كثيرين كان آخرهم نوح عليه السلام .

[۱۰۶]لقد أرسل اللّه الى قوم نوح الجبارين أخا لهم فى النسب لكى لا تمنعهم عصبيتهم من اتباع رسالات اللّه،و فى هذا غايه المنّه عليهم.

إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَ لا تَتَّقُونَ ألا تحفظون أنفسكم من غضب الرب بترك الفساد،و يبدو أنّ قومه كانوا قد بالغوا فى عمل السيئات.

[۱۰۸-۱۰۷] إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ* فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِيعُونِ أمرهم بطاعته باعتباره رسول اللّه إليهم،و هكذا الرسل هم قاده فعليّون للمجتمع،و يعارضون القيادات الفاسده.

[۱۰۹]و فرق كبير بين قياده الرسول لقومه و القيادات الأخرى،إذ أنّه- بخلافهم-لا يكتسب شيئا من قومه و لا يطلب أجرا.

وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ [۱۱۰] فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِيعُونِ [۱۱۱] قالُوا أَ نُؤْمِنُ لَكَ وَ اتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ هذه هى الطبقيه،أن يتحول المستضعفون إلى أراذل،و يمتنعون عن الإيمان لمجرد أن هؤلاء قد بادروا إليه.

و جاء فی تفسیر علی بن إبراهیم:إنهم عنوا بالأرذلین الفقراء،و جاء فی تفاسیر أخری معان مشابهه کأصحاب المهن الدنیئه أو المساکین.

[۱۱۳-۱۱۲] قالَ وَ ما عِلْمِی بِما کانُوا یَعْمَلُونَ* إِنْ حِسابُهُمْ إِلاّ عَلی رَبِّی لَوْ تَشْعُرُونَ أی إنّی لا أعلم عنهم إلاّ خیرا،فقد دعوتهم فاستجابوا لی،و ما انا بمحاسبهم ان حسابهم الا علی ربی.

[۱۱۴] وَ ما أَنَا بِطارِدِ الْمُؤْمِنِینَ لست مستعدا للخضوع إلیکم بطرد المؤمنین،و إنّما أنا نذیر لکل الناس.

و هنا نلاحظ أن نبی اللّه نوح علیه السلام رفض ان یکون دینه دین المستکبرین، فالمستضعفون إن کانوا مؤمنین مخلصین فهم خیر من المستکبرین،و الدین لیس ملکا لنوح علیه السلام انه ملک للّه،فلا یحق له طرد المؤمنین.

[۱۱۵] إِنْ أَنَا إِلاّ نَذِیرٌ مُبِینٌ هذه حدود مسئولیاتی،ما أنا إلاّ نذیر مبین،و من دخل فی رحاب اللّه فاللّه أولی به.

[۱۱۶] قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ یا نُوحُ لَتَکُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِینَ انتهی دور الحجه،و جاء دور التهدید،فهددوه علیه السلام بأنه ان لم یکفّ عن دعوته لیکونن من المرجومین،لأنه یلحق الضرر بکیانهم الاقتصادی،و الاجتماعی-فی زعمهم-إذ کان یحرض-فیما یبدو- صغار القوم علی کبارهم-لأنه کان

ينادى بإزاله الطبقيه-و يبدو-انهم كانوا حسّاسين كما غيرهم من الكفار تجاه الرساله و أفكارها،فلذلك ناصبوها العداء.

[۱۱۸-۱۱۷] قالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِی كَذَّبُونِ* فَافْتَحْ بَيْنِی وَ بَيْنَهُمْ فَتْحاً وَ نَجِّنِی وَ مَنْ مَعِیَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ای اقض بيننا قضاء بالعذاب.

[۱۱۹] فَأَنْجَيْناهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِی الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ

جاء فی الحديث المأثور عن الامام الباقر عليه السلام ان المراد من الفلك المشحون:

«المجهز الـذی قـد فرغ منه،و لم يبق الا دفعه» (۱) [۱۲۰] ثُمَّ أَغْرَقْنا بَعْدُ الْباقِينَ بعـد ان يستيئس الرسل و متبعوهم،أو يظنوا يقينا أنهم كذبوا آنئذ يأتيهم نصـر اللّه،لأن إراده اللّه اقتضت أن ينصـر رسله و الذين آمنوا فی الحياه الدنيا،و يعذب من كذب،و لكن اللّه لا ينصر إلّا بعد جهد جهيد،و هذه سنه اللّه.

[۱۲۲-۱۲۱] إِنَّ فِی ذٰلِكَ لَآيَهً وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ* وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ إنّ اللّه لا تغرّه كثره الكافرين،و إنّ أغلب الناس لا يتعظون بالعبره،و لا يؤمنون بالرسل،و لا يستفيدون من أخطاء الماضين.

۱- ۱) المصدر/ص(۶۲).

و مره أخرى تتجلى العزه الإلهيه بإغراق الكافرين،كما تتجلى الرحمه الالهيه بنجاه المؤمنين.

ص:٨٥

[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۱۲۳ الی ۱۴۰]

اشاره

كَذَّبَتْ عادٌ اَلْمُرْسَلِينَ (۱۲۳) إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَ لا تَتَّقُونَ (۱۲۴) إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (۱۲۵) فَاتَّقُوا اَللّهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۲۶) وَ مٰا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاّٰ عَلىٰ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (۱۲۷) أَ تَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَهً تَعْبَثُونَ (۱۲۸) وَ تَتَّخِذُونَ مَصٰانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (۱۲۹) وَ إِذا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبّٰارِينَ (۱۳۰) فَاتَّقُوا اَللّهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۳۱) وَ اِتَّقُوا اَلَّذِى أَمَدَّكُمْ بِمٰا تَعْلَمُونَ (۱۳۲) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعٰامٍ وَ بَنِينَ (۱۳۳) وَ جَنّٰاتٍ وَ عُيُونٍ (۱۳۴) إِنِّى أَخٰافُ عَلَيْكُمْ عَذٰابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (۱۳۵) قٰالُوا سَوٰاءٌ عَلَيْنٰا أَ وَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ اَلْوٰاعِظِينَ (۱۳۶) إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ خُلُقُ اَلْأَوَّلِينَ (۱۳۷) وَ مٰا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (۱۳۸) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنٰاهُمْ إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَهً وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۳۹) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ اَلْعَزِيزُ اَلرَّحِيمُ (۱۴۰)

اللغه

۱۳۷[خلق]:أی عاده من أخلاق.

وَ تَتَّخِذُونَ مَصٰانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ

هدی من الآیات:

بعث اللّه لعاد من أنفسهم رسولهم هودا،فکان یدعوهم الی رسالات اللّه،و نبذ قیم الأرض-و ثقافه الشعراء-و بالرغم من أن هودا کان من نفس الوسط الاجتماعی لقوم عاد إلاّ أنه کان حنیفا عن ثقافه قومه،و لم یتأثر بها لأنه اتصل مباشره بالوحی،فتحول من بشر عادی إلی بشر رسول.

و لقد أعطی اللّه لقوم عاد نعما و قوه، فکانوا ینحتون من الجبال بیوتا،و یتّخذون مصانع لعلهم یخلدون،فطغوا و بغوا،فکانوا إذا بطشوا بطشوا جبارین.و فی مقابل عاد کانت الجزیره العربیه ملیئه بقبائل لا تستطیع ان تؤمن معیشتها.

و فی نهایه القصه یتعرض القرآن الی نفس العاقبه التی یختتم بها القصص فی هذه السوره،و من ثم تستنتج نفس العبره و هی ان اللّه عزیز رحیم.

ص:۸۸

بينات من الآيات:

[۱۲۳] كَذَّبَتْ عادٌ الْمُرْسَلِينَ كما أسلفنا أنّ التكذيب برسول يعنى التكذيب بسائر الأنبياء،فخط هود هو خط كلّ الأنبياء من قبله،مع الاختلاف فى المحتوى الاجتماعى لكل رساله بسبب اختلاف الظروف،و ليس اختلاف رسالات اللّه.

[۱۲۴] إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَ لا تَتَّقُونَ كان هود من وسط قومه،فلذلك سمّى اللّه هودا أخا لقومه.

[۱۲۵] إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ أحمل رسالته إليكم بأمانه و صدق.

و الأمين كلمه تتميز عن كلمه حفيظ،فالحفيظ هو الحافظ للشىء،بينما الأمين هو الذى يؤتمن و يحفظ و يؤدى.

[۱۲۶] فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِيعُونِ أوصاهم بتقوى اللّه،و تطبيق مناهجه،و التسليم لولايته و قيادته.

[۱۲۷] وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ أى لا أطمع فى التسلّط عليكم،و لا أريد منكم أجر تبليغ رساله اللّه.

[۱۲۸] أَ تَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَهً تَعْبَثُونَ

الريع هو المرتفع من الأرض،و جمعه رياع،و كانوا يتخذون لهم بيوتا عاليه للهوهم و عبثهم على المرتفعات من الأرض.

[۱۲۹] وَ تَتَّخِذُونَ مَصٰانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ كانوا يشيدون المصانع(القصور)كما فى اللغه،و بمراجعه مشتقات الكلمه (صنع-يصنع-صنعا-مصنوع-صانع)يتبين ان قوم عاد قد بلغوا نوعا من التقدم،و قد بين اللّه سبحانه ذلك فى سوره الأحقاف حينما قال سبحانه: وَ لَقَدْ مَكَّنّاهُمْ فِيمٰا إِنْ مَكَّنّاكُمْ فِيهِ . (۱)

و يبدو ان الآله كان لها أثر كبير على حضاره قوم عاد،و استخدام الآله فى خدمه الإنسان أو فى تسخير الطبيعه شىء حميد،إلّا أنّ الاستخدام السىء للآله هو استخدامها بغرض الخلود.

[۱۳۰]و تمنى الخلود أو مجرد تصوره يدعو الإنسان الى الطغيان،فلذلك بنى قوم عاد مساكنهم على الأرياع،و شيدوا لهم القصور،فاغتروا بما صنعوا،و عند ما اغتروا تجبّروا و تكبّروا،فوجهوا قواهم و بطشهم لمن حولهم،قال تعالى:

وَ إِذٰا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبّٰارِينَ ان بطشكم ليس على المخطئين،و لكن بطشكم من أجل نشر تسلّطكم،و نشر الرعب فى قلوب الآمنين.

[۱۳۱] فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ

۱- ۱) الأحقاف/(۲۶).

كرر اللّه عن لسان هود عليه السلام كلمه التقوى أربع مرات،و هذه الآيه هى المره الثالثه،و ربما يتساءل البعض:لماذا كرر اللّه التقوى أربعا؟ و الجواب:ان التقوى كلمه ليست ذات بعد واحد،فأمام كل ذنب تقوى، فالتقوى فى الكذب ترك الكذب،و فى الكفر الايمان،و فى الاجرام الترك،و فى الاعتداء التورع.

و على هذا فالتقوى فى هذه الآيه تتمثل فى ترك العبثيه،و إبعاد فكره الخلود، و اجتناب البطش بالناس نكايه بهم،و هكذا قوم هود كلما ذكر انحراف عندهم أمرهم بالتقوى فى اللّه لأن الانحراف يؤدى الى العذاب الإلهى الذى لا بد من اجتنابه،أما التقوى فى الآيه التاليه فلعل المراد منها الشكر،و ترك الكفر بنعم اللّه بعدم أداء حقوقها.

و قد أرفق هود بكلمه التقوى كلمه«و أطيعون»للدلاله على أنّ الإصلاح يمر عبره،لأنه يمثل خلافه اللّه فى الأرض.

[۱۳۳-۱۳۲] وَ اتَّقُوا الَّذِى أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ* أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَ بَنِينَ ربما تشير هاتين الآيتين الى مرحله البداوه التى مرّ بها قوم عاد،و يشير اللّه إليها بقوله:« بِأَنْعَامٍ وَ بَنِينَ »و هذه النعم عاده ما تكون لأهل الصحراء.

[۱۳۴]أما المرحله الثانيه التى مر بها قوم عاد فهى مرحله التحضر،و ذلك فى قوله سبحانه:

وَ جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ

حيث ان الزراعه نوع من التقدم فى مسيره البشريه.

[۱۳۵] إِنِّی أَخٰافُ عَلَیْکُمْ عَذٰابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ أشفق هود على قومه أن يحلّ عليهم عذاب يوم عظيم،و لعل الفرق بين العذاب العظيم و عذاب يوم عظيم الذى ذكره القرآن هو:ان العذاب إذا نسب الى اليوم فكأنه يستوعبه،و يستمر بامتداده،و لعله يكون أكثر من نوع واحد من العذاب.

فحذرهم ذلك اليوم.

[۱۳۶] قٰالُوا سَوٰاءٌ عَلَیْنٰا أَ وَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَکُنْ مِنَ الْوٰاعِظِینَ كلاهما سواء، وعظت أم لم تعظ،لن نؤمن لك.

[۱۳۷] إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ خُلُقُ الْأَوَّلِینَ وسم قوم عاد نبيّهم هودا عليه السلام بالرجعيه،و الأفكار المتخلفه عند ما قالوا: «إِنْ هٰذٰا إِلاّٰ خُلُقُ الْأَوَّلِینَ» و ذلك لأن نبى اللّه نوح عليه السلام أوصى بنيه بأن سيكون بعده نبى من ذريته،و أعلمهم صفاته،و أوصاهم بطاعته؛فكانت هذه الوصيه تراثا يتوارثها الأجيال،و كان عندهم عيد يقيمونه كل عام،يذكّرون أنفسهم بوصيه جدهم نوح عليه السلام و عند ما جاءهم هود كفروا به،فلعنه اللّه على الكافرين.

جاء فى الحديث عن الامام الصادق عليه السلام انه قال:

«ان نوحا عليه السلام لما انقضت نبوّته،و استكمل أيّامه أوحى اللّه اليه:يا نوح!قد قضيت نبوتك،و استكملت أيامك،فاجعل العلم الذى عندك،و الإيمان، و الاسم الأكبر،و ميراث العلم،و آثار علم النبوه فى العقب من ذريتك،فانى لن أقطعها كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء،الذين كانوا بينك و بين آدم عليه السلام و لن

أدع الأرض إلّا و فيها عالم يعرف به دينى،و تعرف به طاعتى،و يكون نجاه لمن يولد فيها بين قبض النبى الى خروج النبى الآخر» قال عليه السلام :

«و بشر نوح ساما(ابنه)بهود عليه السلام» (۱) [۱۳۸] وَ مٰا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ أى لسنا بمعذبين لكرامتنا عند اللّه،و ربما تصوّروا أنهم ليسوا بمعذبين لاستحاله العذاب.

[۱۳۹] فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنٰاهُمْ يختصر اللّه المسافه بين التكذيب و الإهلاك بقوله: «فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنٰاهُمْ» لأن هذه الفتره ينساها من يحل عليه العذاب،فتكون عنده الحياه يوما أو بعض يوم، و لحقارتهم أيضا عند اللّه عمهم بالجمله،مختصرا كل حياتهم و ما بنوا و ما بطشوا و ما كفروا فى هاتين الكلمتين.

إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَهً وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ أى فى إهلاكهم آيه،و لكن أكثر الناس عند ما تمرّ عليهم مثل هذه العبر لا يؤمنون بها،فيجرى عليهم اللّه سنته بأن يهلكهم بعد الإنذار.

و لكن الذى يستفيد من العبر هو من آمن،و خاف وعيد اللّه،و صدق بأن للّه عقابا.

۱- ۲) نور الثقلين/ج(۲)/ص(۶۲).

[۱۴۰] وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ تتجلی عزّه اللّه بأن أخذ قوم عاد أخذ عزیز مقتدر،و تتجلی رحمته أنه نجّی هودا و من آمن معه.

ص:۹۴

[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۱۴۱ الی ۱۵۹]

اشاره

كَذَّبَتْ ثَمُودُ اَلْمُرْسَلِينَ (۱۴۱) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَ لاٰ تَتَّقُونَ (۱۴۲) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (۱۴۳) فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۴۴) وَ مٰا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّٰ عَلىٰ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (۱۴۵) أَ تُتْرَكُونَ فِي مٰا هٰاهُنٰا آمِنِينَ (۱۴۶) فِي جَنّٰاتٍ وَ عُيُونٍ (۱۴۷) وَ زُرُوعٍ وَ نَخْلٍ طَلْعُهٰا هَضِيمٌ (۱۴۸) وَ تَنْحِتُونَ مِنَ اَلْجِبٰالِ بُيُوتاً فٰارِهِينَ (۱۴۹) فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۵۰) وَ لاٰ تُطِيعُوا أَمْرَ اَلْمُسْرِفِينَ (۱۵۱) اَلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي اَلْأَرْضِ وَ لاٰ يُصْلِحُونَ (۱۵۲) قٰالُوا إِنَّمٰا أَنْتَ مِنَ اَلْمُسَحَّرِينَ (۱۵۳) مٰا أَنْتَ إِلاّٰ بَشَرٌ مِثْلُنٰا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ اَلصّٰادِقِينَ (۱۵۴) قٰالَ هٰذِهِ نٰاقَةٌ لَهٰا شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (۱۵۵) وَ لاٰ تَمَسُّوهٰا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذٰابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (۱۵۶) فَعَقَرُوهٰا فَأَصْبَحُوا نٰادِمِينَ (۱۵۷) فَأَخَذَهُمُ اَلْعَذٰابُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۵۸) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ اَلْعَزِيزُ اَلرَّحِيمُ (۱۵۹)

اللغه

۱۵۷[فعقروها]:العقر هو قطع شیء من بدن الحی.

وَ لاٰ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ

هدى من الآيات:

عاش قوم ثمود،و هم عشر قبائل فى أطراف الجزيره العربيه،فى إحدى الواحات،عند سفح جبل منيع(مدائن صالح)و صنعوا بيوتهم فيه،و كانوا يزرعون أسفل الوادى،فازدهرت حضارتهم،و انحرفوا عن فطرتهم بعد ما بطرت معيشتهم، و البطر جعل قوم ثمود طبقتين:طبقه غنيه متسلطه،و أخرى فقيره مسحوقه، ففسدوا و أفسدوا معهم المستضعفين.

فجاء نبيهم صالح عليه السلام لينهى الناس عن إطاعه أمر المسرفين،المفسدين فى الأرض،الذين لا يصلحون،و آنئذ اتهموه بأنه من المسحّرين،فأت بأيه إن كنت من الصادقين،فجاءهم بالناقه لها شرب و لهم شرب يوم معلوم،خانوا اللّه فيها فعقروها فأصبحوا نادمين.

و أخيرا يتعرض اللّه لنفس النتيجه التى يكررها فى كل درس.

ص:٩٧

بينات من الآيات:

خصائص الرسول:

[۱۴۱] كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ الذى يكذب برسول ما،لو فكر قليلا لرأى ان سنه اللّه فى الحياه ان يبعث رسلا،و إرسال صالح الى قومه ثمود لم يكن خارجا عن تلك السّنه،قال تعالى:

وَ إِنْ مِنْ أُمَّهٍ إِلاّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ . (۱)

[۱۴۲] إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صالِحٌ أَ لا تَتَّقُونَ و التقوى هنا الحذر من العذاب الذى يتوقّع نزوله بسبب فسادهم فى الأرض.

و لعل تكرار استخدام هذه الكلمه فى هذه السوره يهدف زرع نبته التقوى فى القلب،إذ أنّ السياق يربط بين هلاك القوم بذنوبهم و بين أعمالهم،لعل التالى للذكر-انا و أنت-يزداد إيمانا بهذه الحقيقه:إن الجزاء سيتّبع العمل،فلا يختار عملا سيئا مهما كان صغيرا،ذلك أن سنه اللّه واحده فى الحقائق الكبيره و الصغيره،فالنار هى النار،طبيعتها واحده فى قليلها و كثيرها.

[۱۴۳]و للداعيه الى اللّه شرطان:رساله يعيها تماما،و أمانه يحافظ عليها.

إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ [۱۴۴-۱۴۵]و هكذا تنتظم الحياه اليوم بفقه الدين(الرساله)و الالتزام به، و الاتسام بالعداله الشرعيه(الأمانه).

۱- ۱) فاطر/(۲۴).

و مسئوليه الناس تجاه الرساله تقوى اللّه،و تجاه حامل الرساله طاعته.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ* وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ تأكيد للّه-سبحانه و تعالى-على هاتين الآيتين فى هذه السوره يبيّن لنا أن من صفات الرسل أنهم يتّخذون رسالتهم وسيله للتقرب الى اللّه،بيد أنّ الشعراء يتخذون شعرهم وسيله للاكتساب.

[۱۴۸-۱۴۷-۱۴۶] أَ تُتْرَكُونَ فِي ما هاهُنا آمِنِينَ* فِي جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ* وَ زُرُوعٍ وَ نَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ أ تحسبون أنكم متروكون..تتمتعون بالنعم و الأمن،و حولكم جنات و عيون، و زرع و نخيل طلعها جميل جذاب و منسق.

فلا تحسبوا أنّ النعم و الأمن تدوم لكم،و أنتم مخلدون فيهما،فقد يأخذكم عذاب بئيس،فلا تستطيعون صرفا و لا نصرا.

[۱۴۹]و كذلك لا يأخذكم الغرور بقوتكم لأنكم تبنون لكم بيوتا فارهه،غايه فى القوه و المتانه و الإبداع.

وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً فارِهِينَ لقد بلغت حضاره ثمود مبلغا من التقدم،حيث اهتموا بالزراعه،كما اهتموا ببناء المصائف و المدن الجبليه،و قد وصف اللّه بيوتهم التى ينحتونها بأنها فارهه، و هذه ليست من عاده المناطق الجبليه،و انما يبنون الواسع من البيوت فى سفوح الجبال لأنهم استكبروا فى الأرض.

[۱۵۱-۱۵۰] فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِيعُونِ* وَ لاَ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ للإسراف أبعاد:إما فى المال،أو فى الظلم،أو فى المعاصى،و هذا يؤكد انه كان فى قوم ثمود كثير من الطواغيت المتكبرين.

و الملاحظه الأخرى أنّ الطبقيه كانت منتشره فيهم،إذ قال نبيهم صالح عليه السلام لهم: «وَ لاَ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ» حيث يبدو أن هذه الطبقه أضحت طائفه خطيره تزحف نحو القياده.

و قال لهم نبيهم صالح عليه السلام اطيعونى،و لا تطيعوا أمر المسرفين،و قد سبّق طاعته بتقوى اللّه و قال: «فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِيعُونِ» لكى يبرر طاعته للناس بأن طاعته امتداد لطاعه اللّه.

و يبدو أن جوهر الفساد،أو العامل الرئيسى له هو الإسراف،فاذا زادت النعمه على الإنسان أسرف فى تلك التى أعطاها اللّه إيّاها،و بالتالى جعلها مادّه لفساده، فقد يعطى اللّه إنسانا نعمه الجمال فيفسد بها،أو نعمه الجنس فيفسد بها،أو نعمه المال و الولد فيتجبر بهما و يطغى على من هو دونه...و هكذا.

فبدل أن يصل بهذه النعم إلى رضوان اللّه،و إصلاح المجتمع،و عماره الأرض، إذا به يصل إلى عباده ذاته،و بالتالى الإفساد فى الأرض.

ان اللّه يرزقنا النعم كى نستفيد منها فى عماره الأرض،و البلوغ الى جنانه و مرضاته-سبحانه-فقد رزقنا اللّه اليد لنأخذ بها حقّنا لا ان نبطش بها،و العين لنبصر بها لا ان ننظر الى الحرام،و اللسان كى نسمع الناس الحكمه لا ان نتطاول به بالغيبه و البهتان و السباب...و هكذا.

و فی یوم القیامه یحتج اللّه علی العباد،فیأتی بیوسف حجه لمن فسد بجماله، و بمریم لمن باعت نفسها،و بأیوب لمن لم یصبر عند البلاء.

[۱۵۲]من هم المسرفون؟ بعد ان کانت ثمود تعمر الأرض بالزراعه و البناء،نمت فیها طبقه المسرفین الذین أصبحوا بؤره الفساد،و عند ما تنحرف مسیره المجتمع،و یتسنّم ذروه القرار فیها أناس همّهم الإفساد،فان خطاهم نحو النهایه سوف تتسارع،و فی هذه اللحظات الحاسمه من تاریخ الأمم یبعث اللّه رسله لعلهم یتوبون الیه،و یتقونه و یطیعون رسله.

اَلَّذِینَ یُفْسِدُونَ فِی الْأَرْضِ و إذا غلب علی الإنسان حاله الإفساد فانه لن یکون مصلحا،و ما یتظاهر به من الدعوه الی الإصلاح هواء،و هذا شأن المسرفین.

وَ لا یُصْلِحُونَ و الیوم یصنع المستکبرون وسائل إباده البشریه جمیعا،ثم ینادون بالسلام أو بحقوق الإنسان و هم کاذبون.

و لعل من معانی الإسراف بالاضافه الی الإسراف بالمال،الإسراف بالفساد، و سفک الدماء.

جاء فی الحدیث عن الامام الباقر علیه السلام :

«المسرفون هم الذین یستحلون المحارم،و یسفکون الدماء » (۱)

۱- ۲) میزان الحکمه/ج(۴)/ص(۴۴۷).

[۱۵۳] قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ای أنه قد أصیب بسحر،و یبدو ان هذا الکلام تهمه خفیفه بالجنون!

فأت بآیه:

[۱۵۴] ما أَنْتَ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا أنت بشر مثلنا،و صحیح ان الرسول بشر مثلهم إلاّ أنّه یوحی إلیه،و قد کانوا یتصورون-کما فرعون و کفار قریش-أنّ الرسول یجب ان یکون متمیّزا علیهم، بأن یکون معه الملائکه،أو یلبس الذهب،أو یملک الخزائن،أو أنهم من جنس آخر غیر جنس البشر،و إنما أرسل اللّه الرسل من جنس البشر لکی یکون الایمان به بحریه،و عن یقین و علم تامیّن،فلو أرسل اللّه الرسل کما یتصورون إذا لانتفی أساسا الاختبار.

فَأْتِ بِآیَهٍ إِنْ کُنْتَ مِنَ الصّادِقِینَ یؤمن بعض الناس بمجرد رؤیه شواهد الرساله،کأن یؤمنون لأنّ رسلهم السابقین أشاروا الی هذا النبی،بینما یؤمن بعضهم لما یراه من صفات الرّسل،و هناک أناس لا یؤمنون الا بالمعجزه،و یبدو أن قوم ثمود کانوا یعرفون رسولهم،و لکنهم یفقدون الثقه به،فهم یحتاجون الی دلیل صارخ علی صدقه.

[۱۵۵] قالَ هذِهِ ناقَهٌ لَها شِرْبٌ وَ لَکُمْ شِرْبُ یَوْمٍ مَعْلُومٍ أتی لهم صالح بمعجزه الناقه و فصیلها التی تشرب الماء یوما،و یشربون الماء یوما،و فی الیوم الذی تشرب فیه تدر علیهم اللبن.

[۱۵۶] وَ لٰا تَمَسُّوهٰا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذٰابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ و أمرهم بأن لا يمسوا الناقه بسوء،فيأخذهم اللّه بعذاب يوم عظيم.

فالانضباط،و التزام الأوامر لهما الفضل الأكبر فى ديمومه الحضاره،و بعكسها التسيّب و الاعتداء،لأنهما يخالفان سنن الحياه الطبيعيه.

[۱۵۷] فَعَقَرُوهٰا فَأَصْبَحُوا نٰادِمِينَ انهم شعروا بالندم على قتلهم الناقه(و القتل من الذنوب التى تورث الندم)كما فى الحديث الذى استدل بقوله فى قصه ابنى آدم:«فقتله فَأَصْبَحَ مِنَ النّٰادِمِينَ» .

[۱۵۸] فَأَخَذَهُمُ الْعَذٰابُ نزل بهم العذاب،و كان طاغيه عليهم.

إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَهً وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ فهل من معتبر؟!فبالرغم من ان إهلاك القوم نذير صاعق الّا أن آذان أكثر الناس تصمّ دون هذا النذير.

[۱۵۹] وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ جمع فى نفسه العزه و الرحمه،فهو شديد العقاب،و لكن رحمته سبقت عذابه الا على القوم الكافرين عند ما يسلط عليهم العذاب،فآنئذ لا محل لرحمته.

[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۱۶۰ الی ۱۷۵]

اشاره

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ اَلْمُرْسَلِينَ (۱۶۰) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَ لاٰ تَتَّقُونَ (۱۶۱) إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (۱۶۲) فَاتَّقُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۶۳) وَ مٰا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاّٰ عَلىٰ رَبِّ اَلْعٰالَمِينَ (۱۶۴) أَ تَأْتُونَ اَلذُّكْرٰانَ مِنَ اَلْعٰالَمِينَ (۱۶۵) وَ تَذَرُونَ مٰا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوٰاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عٰادُونَ (۱۶۶) قٰالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يٰا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ اَلْمُخْرَجِينَ (۱۶۷) قٰالَ إِنِّى لِعَمَلِكُمْ مِنَ اَلْقٰالِينَ (۱۶۸) رَبِّ نَجِّنِى وَ أَهْلِى مِمّٰا يَعْمَلُونَ (۱۶۹) فَنَجَّيْنٰاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (۱۷۰) إِلاّٰ عَجُوزاً فِى اَلْغٰابِرِينَ (۱۷۱) ثُمَّ دَمَّرْنَا اَلْآخَرِينَ (۱۷۲) وَ أَمْطَرْنٰا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَسٰاءَ مَطَرُ اَلْمُنْذَرِينَ (۱۷۳) إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مٰا كٰانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۷۴) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ اَلْعَزِيزُ اَلرَّحِيمُ (۱۷۵)

اللغه

۱۶۸[القالين]:القالى هو المبغض.

أَ تَأْتُونَ الذُّكْرٰانَ مِنَ الْعٰالَمِينَ

هدى من الآيات:

فى سياق بيان رسالات اللّه و اهدافها الاصلاحيه يبين ربنا قصه قوم لوط الذين انحرفوا جنسيا،فأرسل اللّه إليهم رسولا من أنفسهم انبأهم بأنه يحمل إليهم رساله ربهم بأمانه،و أمرهم بتقوى اللّه و طاعته و قال:بأنه لا يطلب منهم اجرا،و لكنه يعمل لهم فى سبيل اللّه الذى يرجو ان يعطيه الأجر الوافى،ثم واجه انحرافاتهم الكبرى و هى الاباحيه و الشذوذ الجنسى،حيث كانوا يأتون الذكران من أىّ قوم كانوا،و يذرون ما خلق اللّه لهم من أزواجهم،و نعتهم بالتعدى عن الحق و الجور.

فهددوه بالإخراج ان لم ينته من معارضتهم،و لكنه تبرّأ من عملهم،و سأل اللّه ان ينقذه من ذلك العمل القبيح،فنجاه اللّه و أهله جميعا سوى زوجته العجوز التى هلكت و أضحت عبره.

و دمر اللّه الآخرين،و ذلك بان أمطر عليهم مطر السوء،و بئس المطر كان

لأولئک الذین تم سلفا إنذارهم و بقیت من قصتهم آیه و علامه لعل الناس یهتدون، الا أن أکثر الناس لا یؤمنون.و خلاصه الحقیقه التی یمکن معرفتها بهذه الآیه هی ان اللّه عزیز رحیم.

و هکذا تختلف صور الفساد و نهایته واحده مهما اختلفت صوره،و لعل السبب الرئیسی للفساد هو الإسراف.

بینات من الآیات:

أَ تَأْتُونَ الذُّکْرْانَ ؟

[۱۶۴-۱۶۰] کَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِینَ* إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَ لا تَتَّقُونَ* إِنِّی لَکُمْ رَسُولٌ أَمِینٌ* فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِیعُونِ* وَ ما أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِیَ إِلاّ عَلی رَبِّ الْعالَمِینَ ذات الکلمات،و ذات النبره نسمعها من لوط علیه السلام ،لان جوهر الانحراف عند کل قوم واحد،بالرغم من اختلاف صوره،فلا بد ان یکون جوهر الرسالات واحدا،بالرغم من اختلاف کل رساله عن غیرها فی مجال الإصلاح الذی یستتبع نوع الانحراف.

[۱۶۵] أَ تَأْتُونَ الذُّکْرْانَ مِنَ الْعالَمِینَ و لعل هذه الآیه تشیر الی طبیعه فساد الاباحیه و الشذوذ الجنسی حیث إنه ینتشر و یتعدی حدود البلد،و قد انتشر فعلا الفساد الخلقی عند قوم لوط حتی قال آسفا:

ألیس منکم رجل رشید؟!،و تعدی فعل الفاحشه الی کل العالمین.

[۱۶۶] وَ تَذَرُونَ ما خَلَقَ لَکُمْ رَبُّکُمْ مِنْ أَزْواجِکُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ

عادُونَ عادون:ای تتعدون.

کان ترکهم الأزواج و إقبالهم علی الذکران تعدیا و تجاوزا،بل و تمردا علی الفطره التی فطر الناس علیها،و لم یکن هدفهم-و اللّه أعلم-إشباع شهوتهم،بالرغم من ان اللّه یلقی علی الملاط به-و العیاذ باللّه-شهوه النساء،فمقاربه النساء أکثر شهوه من مقاربه الرجال،و لذا سماهم اللّه سبحانه بالعادون.

و الزواج فی الإسلام ضمان من الانحراف،و هو صمام أمان لمثل هذه الانحرافات و التی صارت تجتاح البشریه بشکل مریع.

انی من القالین:

[۱۶۷] قالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ یا لُوطُ لَتَکُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِینَ هددوا نبیهم بالنفی و الإخراج،لأنهم صاروا لا یتحملون کلمه وعظ أو إرشاد،بل ان الشذوذ الجنسی صار عرفا اجتماعیا،و کل من ینتقد هذا العرف یعتبر شاذا،فالغارق فی الشهوه،لا یحب من یکدّر صفو شهوته.

[۱۶۸] قالَ إِنِّی لِعَمَلِکُمْ مِنَ الْقالِینَ رافضا لعملکم،متحد لعاداتکم.فهو أراد الابتعاد النفسی عن عملهم، و معروف ان من رضی بعمل قوم حشر معهم،و من رفض عملهم لن یحشر معهم.

و المیل النفسی المجرد لعمل قبیح سبب من أسباب ممارسته،بینما تقبیح العمل،و العزوف النفسی عنه یمنعان من ممارسته،و الانغماس فیه.

و التحدى من صفات الأنبياء العظام عليه السلام ،إذ أنهم يتحدّون الانحرافات بقوه و صراحه،و لا يخشون بطش مجتمعاتهم.

[۱۶۹] رَبِّ نَجِّنِی وَ أَهْلِی مِمّٰا یَعْمَلُونَ تبرّأ إلى اللّه سبحانه من عملهم،و رجاه بان لا يكونوا شركاء قومه فى فواحشهم،فهو يخاف على عائلته ان يصيبهم مثل ما أصاب قومه،فلوط عليه السلام ذلك الأب الذى يحاول ان يجنب أهله الفساد،و يحصنهم بالتربيه،و ليس هو ممن يترك لأولاده الحريه المطلقه،و يترك تربيتهم على أمثالهم أو على الناس.

[۱۷۱-۱۷۰] فَنَجَّیْنٰاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِینَ* إِلاّٰ عَجُوزاً فِی الْغٰابِرِینَ عند ما يأتى الضيوف للوط عليه السلام -و كان مضيافا-كانت امرأته تشعل النار على سطح بيته ليلا،أو تنفخ الدخان نهارا،لتعلم قومها بأن فى بيتها ضيوفا،فيهرع قومه الى بيته،يطلبون الفاحشه من ضيوفه، و كان لوط يستغل مثل هذه المناسبات ليعظ قومه من أجل ذلك كانت زوجته فى الغابرين،و الغابر من الغبار المتخلف عن الكنس،و نستوحى من هذا التعبير انها ألقيت فى مزبله التاريخ.

[۱۷۲] ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِینَ التدمير هو الاباده التامه،و كان تدمير اللّه لهم قويا،بحيث إنه لم يترك حجرا على حجر،و كانت قرى لوط سبعا.

[۱۷۳] وَ أَمْطَرْنٰا عَلَیْهِمْ مَطَراً فَسٰاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِینَ ما هو هذا المطر؟

يبدو ان هذا المطر أحد شيئين،إما حجاره من السماء كالنيازك و الشهب،و هو أمر مستبعد نوعا ما،لان السماء لا تسقط بهذه الكثافه من الحجاره حتى تدمر سبع قرى كامله،و ان كان ذلك ليس على اللّه ببعيد.أو ان المطر هو انفجار بركانى، من قمه جبل قريب منهم،و هو احتمال يمكن ان يكون صحيحا.

[۱۷۵-۱۷۴] إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً وَ مٰا کٰانَ أَکْثَرُهُمْ مُؤْمِنِینَ* وَ إِنَّ رَبَّکَ لَهُوَ الْعَزِیزُ الرَّحِیمُ ما أرحم اللّه بعباده،حتى بعد انحرافهم و فسادهم لا يأخذهم حتى يبعث فيهم رسولا،و يقيم عليهم الحجه بعد الحجه.

و ما أعزه من اله مقتدر جبّار،يأخذهم إذا تمردوا على رسله بأشد العذاب فى الدنيا،و لعذاب الآخره أشد و أخزى.

و مع كل تلك الآيات ترى أكثر الناس لا يؤمنون،حتى يحل بهم العذاب مباشره.

[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۱۷۶ الی ۱۹۱]

اشاره

كَذَّبَ أَصْحابُ اَلْأَيْكَهِ اَلْمُرْسَلِينَ (۱۷۶) إِذْ قالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَ لا تَتَّقُونَ (۱۷۷) إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (۱۷۸) فَاتَّقُوا اَللّهَ وَ أَطِيعُونِ (۱۷۹) وَ مآ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاّ عَلى رَبِّ اَلْعَالَمِينَ (۱۸۰) أَوْفُوا اَلْكَيْلَ وَ لا تَكُونُوا مِنَ اَلْمُخْسِرِينَ (۱۸۱) وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ اَلْمُسْتَقِيمِ (۱۸۲) وَ لا تَبْخَسُوا اَلنّاسَ أَشْيآءَهُمْ وَ لا تَعْثَوْا فِى اَلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (۱۸۳) وَ اِتَّقُوا اَلَّذِى خَلَقَكُمْ وَ اَلْجِبِلَّهَ اَلْأَوَّلِينَ (۱۸۴) قالُوا إِنَّمآ أَنْتَ مِنَ اَلْمُسَحَّرِينَ (۱۸۵) وَ مآ أَنْتَ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا وَ إِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ اَلْكاذِبِينَ (۱۸۶) فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسَفاً مِنَ اَلسَّمآءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ اَلصّادِقِينَ (۱۸۷) قالَ رَبِّى أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ (۱۸۸) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذابُ يَوْمِ اَلظُّلَّهِ إِنَّهُ كانَ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (۱۸۹) إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَهً وَ ما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۹۰) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ اَلْعَزِيزُ اَلرَّحِيمُ (۱۹۱)

اللغه

۱۸۳[و لا تبخسوا]:لا تنقصوا،و البخس هو النقص فيما يجب على الإنسان إعطاؤه.

[و لا تعثوا]:العثىّ أشد الفساد.

۱۸۴[الجبله]:الخليقه.

وَ لاٰ تَعْثَوْا فِی الْأَرْضِ مُفْسِدِینَ

هدی من الآیات:

و أصحاب الأیکه أیضا کذبوا الرسل،إذ قال لهم نبیهم شعیب علیه السلام :أوفوا الکیل و لا تکونوا من المفسدین،وزنوا بالقسطاس المستقیم،و لا تعثوا فی الأرض مفسدین،فکذبوا رسولهم،و تحدّوه ان یأتیهم بآیه،فأخذهم اللّه بعذاب یوم الظله، انه کان عذاب یوم عظیم.

و أصحاب الأیکه هم قوم یسکنون جانبا من غابه خضراء،و الأیکه هی الأشجار الملتفه حول بعضها.

إنهم أصبحوا سباعا علی بعضهم البعض،کل یبحث عن الرزق من غیره، فبدل ان یتعاونوا مع بعضهم من أجل استخراج خیرات الطبیعه،و استثمار تلک الغابات أصبحوا یطففون المیزان،و عصوا رسولهم شعیب.

بينات من الآيات:

وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ:

[۱۷۶] كَذَّبَ أَصْحابُ الْأَيْكَهِ الْمُرْسَلِينَ الأيكه و جمعها أيائك و هى الغياط و الحدائق الكثيفه.

[۱۷۷-۱۸۰] إِذْ قالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَ لا تَتَّقُونَ* إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ* فَاتَّقُوا اللّهَ وَ أَطِيعُونِ* وَ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاّ عَلى رَبِّ الْعالَمِينَ كل الأنبياء جاؤوا بمحتوى عقائدى واحد،و لذلك فالتكذيب برسول تكذيب بكل الرسل،و لعل تأكيد الأنبياء على أنهم لا يطالبون بأجر يعتبر بمثابه إسقاط حقوقهم سلفا.

[۱۸۱] أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ لا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ [۱۸۲] وَ زِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ زنوا بالعدل و القسط.و القسطاس هو الميزان،و ليس ميزانا فحسب بل ميزانا مستقيما،و يبدو ان الواجب هو العطاء بمقدار الوزن لا زياده و لا نقصان،و جاءت الروايات لتجعل الوفاء بالميزان من المستحبات،فواجبك ان تعطى مستقيما،و لكن من المستحب ان تزيد فى الكيل.

[۱۸۳] وَ لا تَبْخَسُوا النّاسَ أَشْياءَهُمْ وَ لا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ

كانت علاقه أصحاب الأيكه ببعضهم علاقه إفساد،فبدل ان يتعاونوا على الانتاج،إذا بهم يفسدون فى الأرض،و كان البعض يأكل من الآخر،فكان الزارع لا يعتمد على زراعته،و المنتج لا يعتمد على انتاجه،لأنهما كلما زرعا و انتجا أكل ريعهما الرأسماليون الجشعون،فكانوا مضطرين ان ينضموا الى هذا الكيان الفاسد اقتصاديا،و يبدو أنّ السلطه كانت للسارقين شأنهم شأن الانظمه الرأسماليه اليوم و الواقع:نفسيه الحريص هى نفسها نفسيه الفاتح العسكرى،الامبراطور و..و.، و نفسيه هؤلاء و غيرهم هى نفسيه الاستعلاء،قال تعالى: وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ» (۱)

و جاء فى الحديث:

«ان ابن آدم لو كان يملك مثل أحد ذهبا لتمنى آخر » و هذه النفسيه قد تكون عند الفقير،فهناك فقراء متكبرين،و

جاء فى قصه: ان الرسول صلى الله عليه و آله مرّ و بعض أصحاب أحد طرقات المدينه،و إذا بامرأه عجوز شمطاء دميمه الخلق،تملّ رزقها من القمامه،فقيل لها:افسحى الطريق لرسول اللّه صلى الله عليه و آله فقالت:ان الطريق ليس ضيقا،فنهرها الاصحاب،فقال لهم الرسول صلى الله عليه و آله :

«دعوها فانها امرأه جباره » [۱۸۴] وَ اتَّقُوا الَّذِى خَلَقَكُمْ وَ الْجِبِلَّهَ الْأَوَّلِينَ اتقوا اللّه الذى خلقكم و الذين من قبلكم،و لا تتعاملوا بينكم بالتطفيف.

[۱۸۵] قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ لماذا قالوا إنك من المسحرين،اى المسحورين؟

۱- ۱) العاديات/(۸).

قالوا ذلک لأنهم کانوا یحترمون شعیبا علیه السلام و کان فیهم مرجوا،و کانوا یعقدون الآمال علیه لسعه عقله.

قال تعالی: قالُوا یا شُعَیْبُ أَ صَلاتُکَ تَأْمُرُکَ أَنْ نَتْرُکَ ما یَعْبُدُ آباؤُنا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِی أَمْوالِنا ما نَشؤُا إِنَّکَ لَأَنْتَ الْحَلِیمُ الرَّشِیدُ . (۱)

فما نسبوه الی الجنون،و انما قالوا:أنت متأثر بسحر الآخرین.

[۱۸۶] وَ ما أَنْتَ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنا وَ إِنْ نَظُنُّکَ لَمِنَ الْکاذِبِینَ أنت بشر مثلنا،فهل یمکن ان تکون رسولا؟!انا نظنک من الکاذبین.

[۱۸۷] فَأَسْقِطْ عَلَیْنا کِسَفاً مِنَ السَّماءِ إِنْ کُنْتَ مِنَ الصّادِقِینَ لم یصدقوا ان اللّه قادر علی ان یزیل النعم عنهم،فتحدوا رسولهم ان یسقط علیهم کسفا من السماء،فکیف یؤمن من عاش محاطا بالنعم بعذاب من عند اللّه؟! و یبدو ان شعیبا علیه السلام خوّفهم عذاب اللّه،و هل هو الا نذیر بین یدی عذاب مبین؟! [۱۸۸] قالَ رَبِّی أَعْلَمُ بِما تَعْمَلُونَ لم یدع علی قومه بالعذاب،و انما أو کل أمرهم الیه سبحانه،فهو أعلم بهم، و أعلم بما هو الأصلح،ان شاء هداهم و ان شاء عذبهم.

۱- ۲) هود/(۸۷).

[۱۸۹] فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كانَ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ فلما كذبوا رسولهم أخذهم اللّه بعذاب يوم الظله،إذ أصيبوا بحر شديد،و استمر ذلك الحر سته أيام،فمات الكثيرون،و لم تنفعهم ايائكهم و غياطهم،فلما كان يوم السابع،أرسل اللّه عليهم سبحانه تظللهم،فصاروا يمشون معها كلما مشت، فلما توسطوا الصحراء،أنزل اللّه عليهم من السحابه صاعقه،فاذا هم خامدون، نعم كلما أحدث الناس ذنبا أحدث اللّه لهم بلاء مناسبا لذلك الذنب،و يبدو ان نوع العذاب الذى نزل على أصحاب الايكه كان متناسبا مع ذنبهم،حيث انخدعوا بالسحابه بمثل ما غشّوا بعضهم،و طففوا فى الميزان.

[۱۹۰] إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَ مٰا كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ كل انحراف فى أيه أمه يتبعه نوع محدد من العذاب،و كل انحراف فى الماضى هناك ما يشابهه فى الحاضر،و كل عذاب هو آيه لمن يمارس نفس الانحراف.

[۱۹۱] وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۱۹۲ الی ۲۱۲]

اشاره

وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ اَلْعالَمِينَ (۱۹۲) نَزَلَ بِهِ اَلرُّوحُ اَلْأَمِينُ (۱۹۳) عَلىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ اَلْمُنْذِرِينَ (۱۹۴) بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (۱۹۵) وَ إِنَّهُ لَفِي زُبُرِ اَلْأَوَّلِينَ (۱۹۶) أَ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمٰاءُ بَنِي إِسْرٰائِيلَ (۱۹۷) وَ لَوْ نَزَّلْنٰاهُ عَلىٰ بَعْضِ اَلْأَعْجَمِينَ (۱۹۸) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مٰا كٰانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (۱۹۹) كَذٰلِكَ سَلَكْنٰاهُ فِي قُلُوبِ اَلْمُجْرِمِينَ (۲۰۰) لاٰ يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتّٰى يَرَوُا اَلْعَذٰابَ اَلْأَلِيمَ (۲۰۱) فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ (۲۰۲) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (۲۰۳) أَ فَبِعَذٰابِنٰا يَسْتَعْجِلُونَ (۲۰۴) أَ فَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنٰاهُمْ سِنِينَ (۲۰۵) ثُمَّ جٰاءَهُمْ مٰا كٰانُوا يُوعَدُونَ (۲۰۶) مٰا أَغْنىٰ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يُمَتَّعُونَ (۲۰۷) وَ مٰا أَهْلَكْنٰا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاّٰ لَهٰا مُنْذِرُونَ (۲۰۸) ذِكْرىٰ وَ مٰا كُنّٰا ظٰالِمِينَ (۲۰۹) وَ مٰا تَنَزَّلَتْ بِهِ اَلشَّيٰاطِينُ (۲۱۰) وَ مٰا يَنْبَغِي لَهُمْ وَ مٰا يَسْتَطِيعُونَ (۲۱۱) إِنَّهُمْ عَنِ اَلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ (۲۱۲)

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ

هدى من الآيات:

محتوى رسالات اللّه واحد،و انما اختلفت حسب الظروف،لانّ كل رساله استهدفت إصلاح الفساد المستشرى فى المجتمع الذى أنزلت فيه،و كذب كل قوم رسولهم،فانتصر اللّه للرسول و للمؤمنين،و أهلك الآخرين بعذاب شديد.

هذا ما استوحيناه مما مضت من آيات ربنا،أما هذا الدرس الذى هو خلاصه حقائق السوره-هو و الدرس التالى و الأخير-فانه يحدد معالم الرساله الالهيه و خصائصها المميزه:

الف:لا تخص رسالات اللّه بقوم أو أرض أو زمن.أ ليست هى من رب العالمين فهى كالغيب تشمل بركاته كل بقعه؟.

باء:انها رساله حق تعكس حقائق الحياه المشهوده و المغيبه،الماديه و المعنويه، و تمتد من الدنيا الى الآخره،و تتجاوز المصالح العاجله الى المنافع الآجله،أ ليس قد

نزل بها الروح الأمين؟ جيم:انها تهدف الإصلاح الجذرى الذى،يتم باقتلاع جذور الفساد و الانحراف.

دال:و تخاطب الناس بلغتهم،و لغتها ليست كلغه الشعراء غامضه معقده،انما هى لغه الواقع التى تكشف الحقائق جليّه واضحه «بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» .

هاء:خطها ممتد عبر العصور من آدم عليه السلام الى النبى الخاتم محمد صلى الله عليه و آله فهى فى زبر الأولين،و يعلمه علماء بنى إسرائيل.

و انما يتمرد عليها الجاهلون بعصبيتهم،فلو أنزل على بعض الأعجمين ما كانوا به مؤمنين.

و شأنها شأن الرسالات الاولى،لا يؤمن بها المجرمون حتى يروا العذاب الأليم،الذى يأتيهم فجأه فيطلبون فرصه أخرى بينما هم اليوم يستعجلون عذاب الرب.

و حتى لو تطاول بهم العمر سنين فما ذا ينفعهم حين يأتيهم العذاب،و يختم عمرهم بسوء؟ و لكن الرب لا يعذبهم حتى يبعث من ينذرهم،كذلك سنه اللّه فى كل قريه يعذبها،و ما كان اللّه ظلاما للعبيد.

و ليست الرساله من وحى الشياطين،و لا يتناسب معهم،و لا يقدرون على ذلك،لأنهم معزولون عن السمع.

بينات من الآيات:

[۱۹۲]من أعظم شواهد الحق فى رسالات الأنبياء انها تتجاوز الحواجز الماديه بين الإنسان و نظيره الإنسان،مما يشهد على أنها تنزيل من اللّه الذى خلق العالمين و دبر أمره.

وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ الضمير المتصل فى«انه»يرجع الى القرآن أو الى الوحى،الذى هبط مره على آدم و من بعده نوح،و هود،و صالح،و إبراهيم،و..و..،لان جوهر الرسالات واحد،و أما تفضيل القرآن عليها جميعا،فلأنه خاتم للرسالات،و مهيمن عليها جميعا.

[۱۹۳] نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ نزل به جبرئيل عليه السلام الذى كان أمينا على وحى اللّه.و لعلنا نستوحى من هذه الكلمه:ان الرساله هى فوق ماديه،و انها دقيقه حيث تعكس الحقائق بلا أيه زياده أو نقيصه.

[۱۹۴] عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ الإنذار هو محاربه الوضع المنحرف بقوه،و الإنذار هو التخويف مع التحذير، فالقرآن جاء منذرا قبل ان يكون مبشرا،و قد جاءت بعض الآيات تحصر عمل النبى فى الإنذار.

[۱۹۵] بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ

تأكيد اللّه على كلمه العربى للقرآن،يدل على أهميه هذه اللغه و ضروره تعلمها،لأنها لغه القرآن،و العربيه هى أوسع اللغات لتقبل مثل هذا القرآن.

و قد جاء فى معاجم اللغه:ان اعراب الكلام إيضاح فصاحته،و العربى المفصح،و الاعراب-بالكسر-البيان.

و فى الحديث عن قول اللّه تبارك و تعالى: «بِلِسٰانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» قال:

«يبين الألسن،و لا تبينه الألسن » (۱)و لعل معناه ان اللغات لا تترجم-بدقه-العربيه و ليس العكس.

[۱۹۶] وَ إِنَّهُ لَفِى زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ان من شواهد صدق رساله النبى صلى الله عليه و آله توافقها مع رسالات اللّه السابقه،و تبشير الأنبياء بها،و تعاهد المؤمنين على التواصى بها جيلا بعد جيل.

[۱۹۷] أَ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَهً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمٰاءُ بَنِى إِسْرٰائِيلَ أو ليس دليلا كافيا أن يؤمن به بعض علماء بنى إسرائيل مثل عبد اللّه بن سلام،و أسيد بن خضير،و غيرهم؟و ايمان مثل هؤلاء حجه قويه،أولا:لأنهم من بنى إسرائيل،و ثانيا:لأنهم من علمائهم و تقاتهم،و قد أكد اللّه فى سوره الأحقاف مضمون هذه الآيه عند ما قال: «قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ كٰانَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَ كَفَرْتُمْ بِهِ وَ شَهِدَ شٰاهِدٌ مِنْ بَنِى إِسْرٰائِيلَ عَلىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَ اسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَهْدِى الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ» .

[۱۹۹-۱۹۸]و بعد ان يبين السياق شواهد الصدق فى رساله الإسلام شرع

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج(۴)/ص(۶۵).

يبين عوامل الكفر بها من قبل أولئك الجاهلين،و من أبرزها:

أولا:العصبيه.

وَ لَوْ نَزَّلْناهُ عَلى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ* فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ما كانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ لو نزل هذا القرآن على نبى اعجمى ما كانوا ليؤمنوا به إذ تستبد بهم العصبيه، فمنّ اللّه عليهم إذ أرسل فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته،

و جاء فى الحديث عن أبى عبد الله عليه السلام انه قال فى تفسير الآيه:

«لو نزلنا القرآن على العجم ما آمنت به العرب، و قد نزل على العرب فآمنت به العجم،فهذه فضيله العجم » (۱)ثانيا:العامل الثانى لكفرهم ارتكابهم الجرائم.

[۲۰۰] كَذلِكَ سَلَكْناهُ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ الجريمه من أهم الأسباب التى تمنع قبول الرساله،لان الذى سقط فى وحل الجريمه،و سمح لنفسه ان يكون طعمه للشهوات الرخيصه لا يؤمن بالرساله،لان الرساله أعلى من ان يطولها،كمن هو فى بئر عميقه ظلماء،كيف يرى نور الشمس،بل كيف يستوعب معنى نور الشمس؟! فحينما يكون عقل الإنسان محكوما بشهواته،و مضروبا على قلبه بالأسداد، مليئا بالهوى،ينزاح عنه الحق لان قلبه أصلد من ان يستقبلها.

۱- ۲) المصدر.

و قال بعض المفسرين:ان معنى الآيه،كما أنزلنا القرآن عربيا مبينا أمررناه و أدخلناه و أوقعناه فى قلوب الكافرين،بأن أمرنا النبى صلى الله عليه و آله حتى قرأه عليهم و بينه لهم. (۱)

و يبدو ان سياق الآيات يوحى بالتفسير الاول كما جاء فى آيه كريمه: وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مٰا هُوَ شِفٰاءٌ وَ رَحْمَهٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لاٰ يَزِيدُ الظّٰالِمِينَ إِلاّٰ خَسٰاراً (۲) و كما جاء فى آيه أخرى: وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيٰاناً وَ كُفْراً (۳)، و هكذا تكون كلمه سلكناه أجريناه بحيث أصبحت تلك سنه تجرى لا فكاك منها! [۲۰۱-۲۰۲]فطبيعه المجرمين انهم لا يؤمنون بهذا الرسول العربى-بغض النظر عن الاعجمى.هناك يتساءل المجرمون هل هناك فرصه أخرى لنا فهم:

لاٰ يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتّٰى يَرَوُا الْعَذٰابَ الْأَلِيمَ* فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَهً وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ [۲۰۳] فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ [۲۰۴] أَ فَبِعَذٰابِنٰا يَسْتَعْجِلُونَ

أما اليوم فتراهم لا يؤمنون حتى يأتيهم العذاب و كأنّهم يستعجلون العذاب.

[۲۰۷-۲۰۵] أَ فَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنٰاهُمْ سِنِينَ* ثُمَّ جٰاءَهُمْ مٰا كٰانُوا يُوعَدُونَ* مٰا أَغْنىٰ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يُمَتَّعُونَ

۱- ۳) مجمع البيان/ج(۵)/ص(۱۸۵).

۲- ۴) الإسراء/(۸۲).

۳- ۵) المائده/(۶۸).

لو أخّرنا عنهم العذاب،و متعناهم سنين، و جاءهم العذاب،هل تنفعهم هذه السنى و هذا التمتيع،فما اللّه بمزحزهم من العذاب ان يعمروا الف سنه،و اللّه بصير بما يعملون.

لقد عمر نوح عليه السلام ثلاثه آلاف سنه،و لم يبن له الا كوخا يستر نصفه،فجاءه عزرائيل و سأله:لم لم تبن لك بيتا يسترك؟قال:ان الذى أنت وراءه كيف يبنى بيتا.

[۲۰۸] وَ مٰا أَهْلَكْنٰا مِنْ قَرْيَهٍ إِلاّٰ لَهٰا مُنْذِرُونَ ان اللّه لا يعذب قريه الا بعد ان يرسل إليها منذرين،و بذلك تتجلى رحمه اللّه بأظهر ما يكون.قال تعالى: وَ مٰا كُنّٰا مُعَذِّبِينَ حَتّٰى نَبْعَثَ رَسُولاً . (۱)

[۲۰۹] ذِكْرىٰ وَ مٰا كُنّٰا ظٰالِمِينَ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرىٰ لِمَنْ كٰانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ ،و حين يعذبهم اللّه فليس بظالم،لأنه قد أرسل إليهم رسلا من قبل.

[۲۱۱-۲۱۰]إن جوهر الفكره التى يوحى بها اللّه تختلف عن جوهر الفكره التى يلقيها الشيطان،و يتناقض معه تناقضا كليّا،فمصدر هذا الهوى،و مصدر ذاك نور اللّه،و هذا يضلّ،و ذاك يهدى،و هذا يستثير الشهوات،و يأمر بالفحشاء و المنكر و البغى،و ذاك يثير العقل،و يأمر بالعدل.فكيف يختلطان؟ وَ مٰا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيٰاطِينُ* وَ مٰا يَنْبَغِي لَهُمْ وَ مٰا يَسْتَطِيعُونَ

۱- ۶) الإسراء/(۱۵).

لم تتنزل الشياطين و من اتبعهم من أدعياء المعرفه مثل هذا القرآن،و ما ينبغى لهم لأنه لا يتناسب و طبيعتهم،و لا يستطيعون ذلك لأنهم.

[۲۱۲] إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ اى سماع الوحى من اللّه سبحانه.

و بهذا نميّز بصائر الوحى عن تخرصات الشياطين.

ان الطريق للتمييز بينهما يتم بمعرفه مصدرهما،و كذلك بمعرفه آثارهما.

فبصائر الوحى التى من عند اللّه أو من عند رسوله و اولى الأمر من بعده تبعث فيك المسؤوليه،و تنير لك الطريق،و تهديك صراطا مستقيما،بعكس تخرصات الشياطين التى تبعث فيك التكذيب و الاستهزاء و الحقد و الانانيه و..و..

[سوره الشعراء (۲۶): الآیات ۲۱۳ الی ۲۲۷]

اشاره

فَلاٰ تَدْعُ مَعَ اَللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ اَلْمُعَذَّبِينَ (۲۱۳) وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ اَلْأَقْرَبِينَ (۲۱۴) وَ اِخْفِضْ جَنٰاحَكَ لِمَنِ اِتَّبَعَكَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ (۲۱۵) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمّٰا تَعْمَلُونَ (۲۱۶) وَ تَوَكَّلْ عَلَى اَلْعَزِيزِ اَلرَّحِيمِ (۲۱۷) اَلَّذِي يَرٰاكَ حِينَ تَقُومُ (۲۱۸) وَ تَقَلُّبَكَ فِي اَلسّٰاجِدِينَ (۲۱۹) إِنَّهُ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ (۲۲۰) هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلىٰ مَنْ تَنَزَّلُ اَلشَّيٰاطِينُ (۲۲۱) تَنَزَّلُ عَلىٰ كُلِّ أَفّاكٍ أَثِيمٍ (۲۲۲) يُلْقُونَ اَلسَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كٰاذِبُونَ (۲۲۳) وَ اَلشُّعَرٰاءُ يَتَّبِعُهُمُ اَلْغٰاوُونَ (۲۲۴) أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وٰادٍ يَهِيمُونَ (۲۲۵) وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مٰا لاٰ يَفْعَلُونَ (۲۲۶) إِلاَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ وَ ذَكَرُوا اَللّٰهَ كَثِيراً وَ اِنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مٰا ظُلِمُوا وَ سَيَعْلَمُ اَلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (۲۲۷)

اللغه

۲۲۷ [أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ] :أیّ مرجع یرجعون،و أی منصرف ینصرفون.

وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ الْأَقْرَبِينَ

هدى من الآيات:

تختم سوره(الشعراء)ببيان الفوارق الكبيره بين رسالات الرب و ما يوحيه الشيطان،و يبين السياق هنا ان محور رسالات اللّه التوحيد،و يمضى قدما فى بيان صفات الرسول النابعه من هذا المحور،فالرسول نذير لأقرب الناس اليه و هم عشيرته،و هو بالمؤمنين رؤف رحيم،و يعلن براءته من العصاه متوكلا على العزيز الرحيم،و يتهجد بالليل(و قد انحدر من سلاله طيبه)و اللّه يسمعه،و يعلم خبايا شؤونه.

و فى الجانب الآخر يهبط الشيطان الى كل كذّاب فاجر،و يوحى الشياطين فى أسماع تابعيهم و أكثرهم كاذبون.

أما الشعراء فان حزبهم التابعين لهم هم الغاوون،الذين يتبعون أهواءهم، و كلامهم غير مسئول،فتراهم فى كل واد يهيمون،ضالين ضائعين،و هم يقولون

ما لا يفعلون.

بلى.هناك فئه من الشعراء مؤمنه صالحه،و يذكرون اللّه كثيرا(لكى لا يخدعهم الشيطان)و إذا ظلمهم الجبارون لقولهم الحق فهم ينتصرون،و ان عاقبه الظلم الخيبه، وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ .

بينات من الآيات:

اشاره

[٢١٣]توحيد اللّه صبغه رسالاـته،فهو فى السياسه:العدل،و الإحسان، و الشورى،و الأمن،و الحريه،و هو فى الاقتصاد الإنصاف،و القوام،و فى السلوك:

الفضيله،و التقوى،و فى الثقافه:التثبّت،و اتباع أحسن القول،و الاستماع الى الناطق عن اللّه دون الناطق عن الشيطان.

و من شواهد صدق رساله النبى صلى الله عليه و آله دعوته الخالصه للرب،و حبه الشديد، و تفانيه فى سبيل اللّه.

[فلا تدع مع اللّه إلها ءاخر فتكون من المعذّبين] [٢١۴]و من خصائص الرسول و شواهد صدقه تعاليه عن الضغط من أىّ مصدر يأتى،و لذلك فهو يؤمر بإنذار عشيرته أولا.

وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ و هكذا فعل الرسول و تحدى أول ما تحدى عشيرته الأقربين، كما فعل إبراهيم عليه السلام إذ واجه برساله اللّه أباه أولا.دعنا نستمع الى حديثين فى هذا الشأن:

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

لما نزلت: «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» أی رهطک المخلصین،دعا رسول اللّه صلی الله علیه و آله بنی عبد المطلب و هم إذ ذاک أربعون رجلا-یزیدون رجلا-أو ینقصون رجلا-فقال أیّکم یکون أخی،و وارثی،و وزیری،و وصیی،و خلیفتی فیکم بعدی؟فعرض علیهم ذلک رجلا-رجلا-کلهم یأبی ذلک،حتی أتی علیّ فقلت:انا یا رسول اللّه،فقال:یا بنی عبد المطلب!هذا وارثی،و وزیری، و خلیفتی فیکم من بعدی،فقام القوم یضحک بعضهم الی بعض،و یقولون لأبی طالب:قد أمرک أن تسمع و تطیع لهذا الغلام (۱)

و فی روایه أخری:

انه لما نزلت هذه الآیه «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» صعد رسول اللّه صلی الله علیه و آله الصفا فقال:یا صباحا!فاجتمعت الیه قریش،فقالوا:مالک؟!فقال:أ رأیتکم إن أخبرتکم أن العدو مصبحکم أو ممسیکم ما کنتم تصدقوننی؟قالوا:بلی.

قال:فإنی لکم نذیر بین یدی عذاب شدید،قال أبو لهب:تبا لک أ لهذا جمعتنا، فأنزل اللّه: «تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ» (۲)و نستوحی من هذه الآیه أن عامل الرساله الإلهیه لا یعتمد علی أیه قوه أرضیه فی إبلاغ رسالات ربه،إنما یتوکّل علی اللّه،لذلک یستطیع ان یتحدی انحرافات الناس جمیعا،حتی و لو کانوا عشیرته الأقربین.

کما تشیر الآیه الی أن مجرد القرابه من رسول اللّه لا یخلّص الإنسان من نار جهنم.بالرغم من أن النبی صلی الله علیه و آله یشفع فی أمته،و قد قال له الرب سبحانه:

«وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى» أی من الشفاعه.

۱- ۱) علل الشرائع/الشیخ الصدوق/ص(۱۷۰).

۲- ۲) تفسیر مجمع البیان/ج(۷)/ص(۲۰۴).

جاء فی خبر مأثور عن أبی أمامه،فیما أخرجه الطبرانی و أبی مردویه قال:

لما نزلت «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» جمع رسول اللّه بنی هاشم فأجلسهم علی الباب،و جمع نساءه و أهله،فأجلسهم فی البیت،ثم اطلع علیهم،فقال:

«یا بنی هاشم!اشتروا أنفسکم من النار،و اسعوا فی فکاک رقابکم،و افتکوها بأنفسکم من اللّه،فإنی لا أملک لکم من اللّه شیئا» ثم أقبل علی أهل بیته فقال:

«یا عائشه بنت أبی بکر،و یا حفصه بنت عمر،و یا أم سلمه،و یا فاطمه بنت محمد،و یا أم الزبیر عمه رسول اللّه!اشتروا أنفسکم من اللّه،و اسعوا فی فکاک رقابکم فإنی لا أملک لکم من اللّه شیئا و لا أغنی... » (۱)[۲۱۵]و فی الوقت الذی ینذر عشیرته الذین هم أقرب الناس الیه،یؤمر بالرحمه للمؤمنین،حتی و لو کانوا بعیدین عنه،فهو کالطائر الذی یخفض جناحیه لأولاده الصغار.

وَ اخْفِضْ جَنٰاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ان هذا السلوک یساهم فی صنع المجتمع المبدئی المتسامی عن العلاقات المادیه، و نستوحی من هذه الآیه أهمیه التواضع و بالذات عند من یحمل رساله ربه.

جاء فی کتاب مصباح الشریعه المنسوب الی الامام الصادق علیه السلام :

و قد أمر اللّه أعز خلقه،و سید بریته محمد صلی الله علیه و آله بالتواضع،فقال عز و جل:

۱- ۳) تفسیر المیزان/ج(۱۵)/ص(۳۳۴).

«وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» و التواضع مزرعه الخشوع،و الخشيه، و الحياء،و أنهن لا تتبيّن إلا منها و فيها،و لا يسلم الشرف التام الحقيقى الا للمتواضع فى ذات اللّه (۱) [۲۱۶]و تتجلى مبدئيه الموقف فى التبرى ممن يخالف الشرع الإلهى.

فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِيءٌ مِمّا تَعْمَلُونَ ان الرسول لا يقدم تنازلات أمام رسالات ربه،و قد كان صلى الله عليه و آله شديدا إذا عصى اللّه،و كان يغضب بشده على من يحاول أن يشفع عنده فى حدّ.

و كذلك كان خلفاؤه الراشدون،فهذا أمير المؤمنين عليه السلام يقدم عليه أشراف قومه، و قيادات جيشه،يعرضون عليه العفو عمن ارتكب منه ما يستحق الحد،فيعدهم بأن يعطيهم ما يملك،ثم يقدمه و يضر به الحد،و حين يسألونه يقول:هذا مما لا أملكه.

[۲۱۷]و لكى يتابع مسيره الإصلاح بحزم و استقامه يتوكل الرسول على ربه الذكى يؤيد بقوته المؤمنين على الكافرين.

وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ان التوكل على اللّه لبّ استراتيجيه أصحاب الرساله،و كلّما كان إيمانهم برسالتهم أعمق،كلما كان للتوكل على اللّه فى استراتيجيتهم نصيب أكبر.

و من الواضح أن اسمى« اَلْعَزِيزِ الرَّحِيمِ »ذكرا فى فاتحه هذه السوره،و أيضا بعد بيان كل قصه من حياه النبيين عليه السلام .

۱- ۴) تفسير نور الثقلين/ج(۴)/ص(۶۹).

[۲۱۸]لقد جاء الجواب واضحا عند ما عدد موسى عليه السلام عند نزول تباشير الوحى على اللّه الصعوبات،و تبعهم فرعون و جنده «إِنّا لَمُدْرَكُونَ» جاء الجواب قويا و قال موسى لهم: «كَلّا إِنَّ مَعِى رَبِّى سَيَهْدِينِ» .

و هنا حين أمر اللّه رسوله بالتوكل على العزيز الرحيم أنبأه بأنه مهيمن عليه،يراه حين يقوم للتبتل اليه،و حين يقدم بمهامه الرساليه.

اَلَّذِى يَرٰاكَ حِينَ تَقُومُ [۲۱۹]و هكذا يراه حين يقوم للصلاه.

وَ تَقَلُّبَكَ فِى السّٰاجِدِينَ

جاء فى حديث مأثور عن الامام الباقر-عليه السلام-فى تفسير هذه الآيه:

«فى أصلاب النبيين صلوات اللّه عليهم » (۱) و اعتمادا على هذه الروايه فان الآيه توحى بطهاره مولد الرسول و آبائه و أمهاته، فقد اختار اللّه لنور محمد صلى الله عليه و آله أنقى الأصلاب،و أطهر الأرحام،ايمانا و شرفا و فضيله.

الأفّاكون و الشعراء:

[۲۲۰]كما لرسالات اللّه خصائصها و معالمها و شواهدها كذلك الثقافات الماديه،و الأفكار الجاهليه،و إذا تبصر الإنسان بسمات هذه و تلك اهتدى الصراط السوى،إذ أضحى قادرا بتوفيق اللّه و نوره ان يميز بين فكره خاطئه يوحى بها

۱- ۵) المصدر/.

الشيطان،و حقيقه يهتدى إليها بالوحى و العقل.

و الحق و الباطل يختلطان فى الدنيا لتكون الدنيا دار ابتلاء،ليس فقط لإراده البشر،و انما أيضا لوعيه،فمن عرف كيف يميّزها عن بعضهما آمن شر الضلاله، و أكثر الناس يضلون بأهوائهم.

دعنا نشرع من أصل تكوّن الفكره و مصدرها:القلب كصفحه بيضاء تنعكس عليها حقائق الخلق بما أعطاه اللّه من نور العقل و العلم،و لكن قد يتراءى للقلب أشياء و لكن من دون ان تكون لها-أساسا-حقيقه خارجيه.كيف يتم ذلك؟ دعنا نضرب مثلا:انك تعلم أن العين ترى الأشياء عبر الضياء،و لكن هل حدث لك ان اصطدمت بشىء فتراءى لعينك بريق شديد،أو هل داخ رأسك فرأت عينك مثل الأنجم. ما هذه؟انها ارتعاشه اعصاب العين،و ليست أشعه الأشياء تنعكس عليها،أنها-بالتالى- حركه ذاتيه للعين ترى حركتها الداخليه.أليس كذلك؟! و مثل آخر:هل أصبت بنزله برد،و هل حدثت لديك قشعريره شديده؟إن مصدرها الاعصاب فى الداخل،و ليست عاصفه ثلجيه فى الخارج.

و هؤلاء الذين يستخدمون المخدرات يرون أشياء كثيره ليس لها واقع.انما هى حركه أعصابهم من الداخل،كذلك فى داخل القلب مصدران للأفكار لا يمتّان إلى الحقائق بصله:

أولا:الأهواء:حيث ان السماح للهوى باحتلال كل القلب يجعله اسودا لا يبصر نورا،انما يبتدع الأفكار ابتداعا،و هذا هو الإفك بذاته.

ثانيا:الخيال:الذى هو بدوره حركه ذاتيه للقلب،لا شأن لها بالواقع

الخارجی،إلا أنه أخفّ وطأه من الإفک.

و لعل السیاق یشیر الی هاتین الطائفتین فی فاتحه حدیثه عن إیحاءات الشیطان، یقول ربنا:

هَلْ أُنَبِّئُکُمْ عَلیٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّیٰاطِینُ الشیطان کما یبدو من التدبر فی سیاق الآیات-التی ذکر فیها-هو کل غاو یغوی البشر،سواء کان من الجن أو الإنس.قال تعالی: «وَ کَذٰلِکَ جَعَلْنٰا لِکُلِّ نَبِیٍّ عَدُوًّا شَیٰاطِینَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ» . (۱)

و جاء فی آیه کریمه: «یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِی السِّلْمِ کَافَّهً وَ لاٰ تَتَّبِعُوا خُطُوٰاتِ الشَّیْطٰانِ» . (۲)

و قال اللّه تعالی: وَ إِذٰا خَلَوْا إِلیٰ شَیٰاطِینِهِمْ قٰالُوا إِنّٰا مَعَکُمْ إِنَّمٰا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ . (۳)

[۲۲۱] تَنَزَّلُ عَلیٰ کُلِّ أَفّٰاکٍ أَثِیمٍ قال العلامه الطبری:الأفاک الکذاب،و أصل الإفک القلب،و الأفاک الکثیر القلب للخبر،من جهه الصدق الی جهه الکذب،و الأثیم:الفاعل للقبیح،یقال:

انه یأثم إثما إذا ارتکب القبیح. (۴)

۱- ۶) الانعام/(۱۱۲).

۲- ۷) البقره/(۲۰).

۳- ۸) البقره/(۱۴).

۴- ۹) مجمع البیان/ج(۷)/ص(۲۰۷).

[۲۲۲] يُلْقُونَ السَّمْعَ اى يلقون الأفكار المسموعه فى قلب الأفاكين الآثمين.

[۲۲۳] وَ أَكْثَرُهُمْ كاذِبُونَ و يبدو ان الأفاكين هم أئمه الكفر،و قاده فتات الضلال،و هم المغضوب عليهم،الذين نسأل اللّه الا يجعلنا منهم،و هم الغاوون الذين يصفون العدل و لا يطبّقونه،و هم بالتالى صانعوا القرار فى معسكر المستكبرين.

إن مصدر أفكارهم اهواؤهم التى يعبدونها،و انحرافهم و فسادهم انما هو بوعى منهم،و سابق إصرار،و الشياطين يوحون إلى هؤلاء لأنهم أولياؤهم.

جاء فى الحديث المأثور عن الامام الباقر عليه السلام :

«انه ليس من يوم و ليله إلّا و جميع الجن و الشياطين تزور أئمه الضلال،و يزور إمام الهدى عددهم من الملائكه » (۱)و بالرغم من وجود بعض الصدق فى أقوالهم إلّا أن الصفه العامه لأحاديثهم هى الكذب.

و هكذا نعرف طبيعه هؤلاء بأمرين:

الاول:قلبهم للحقائق.

الثانى:ارتكابهم الإثم.

۱- ۱۰) تفسير نور الثقلين/ج(۴)/ص(۷۰).

[۲۲۴]و الفئه الضاله الثانیه هم الشعراء،الذین یستوحون خیالهم و تصوراتهم استیحاء.

یقول ربنا عنهم:

وَ الشُّعَراءُ یَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ و لعل تسمیه هذه الفئه بالشعراء جاءت:

أولا:لأن طبقه الشعراء فی ذلک العهد و أکثرهم فی العصور التالیه کانوا من هذه الفئه الضاله.

ثانیا:لأن الشعر یعتمد علی الخیال و التصور.

حقا ان المراد من الشعراء فی هذه الآیه لیس خصوص من أنشد شعرا،انما یشمل کل من أتبع خیاله و ترک وحی اللّه،و کان من هذه الفئه الضاله:فلاسفه الیونان و تابعوهم الذین اعتمدوا علی تصوراتهم فی معرفه حقائق الکون،دون إثاره من علم أو اتباع لإمام حق.

و العرفاء و المتصوّفه،و طائفه من المتکلمین،و بعض المتفقهین من علماء السوء- انصاف المثقفین-الذین یتبعون أهواءهم و أهواء من یدفع لهم،و یشتری أقلامهم.

کل أولئک و غیرهم من فئه الشعراء،و قد جاءت النصوص الاسلامیه تتری فی وصفهم،و البراءه منهم:

۱-«نزلت فی الذین غیروا دین اللّه،و خالفوا أمر اللّه-عز و جل-هل رأیت شاعرا قط یتبعه أحد؟!انما عنی بذلک الذین وضعوا دینهم بآرائهم،

فيتبعهم الناس على ذلك» (۱)۲-

عن الامام الباقر عليه السلام فى تفسير هذه الآيه قال:

«هل رأيت شاعرا يتبعه أحد؟!إنما هم قوم تفقهوا لغير الدين فضلّوا و أضلّوا » (۲)۳-

و روى عن الامام الصادق عليه السلام قال:

«هم قوم تعلموا-أو تفقهوا-بغير علم.فضلوا و أضلّوا » (۳)۴-

و فى حديث آخر عنه عليه السلام انه قال:

«هم القصّاص » (۴)و من هنا نعرف ان الذين يقولون الشعر دفاعا عن الحق ليسوا ضمن هذا الإطار،

فقد أثر عن الرسول صلى الله عليه و آله انه قال لحسان بن ثابت(الشاعر):

«أهجهم أو هاجهم و روح القدس معك » (۵)[۲۲۵]و من خصائص هؤلاء:استرسالهم فى الكلام دون التقيد بحدود المعرفه أو المصلحه.

أَ لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِی کُلِّ وٰادٍ یَهِیمُونَ

۱- ۱۱) المصدر/ص(۷۰)نقلا عن على بن إبراهيم.

۲- ۱۲) المصدر/.

۳- ۱۳) المصدر/.

۴- ۱۴) المصدر/ص(۷۱).

۵- ۱۵) المصدر/.

و الهائمه الضاله التی تمشی علی غیر هدی،و لعل الآیه تدل علی أنهم لا یملکون نهجا محددا فی مسیرتهم.

[۲۲۶]و من علاماتهم:أنهم یستعیضون الکلام عن العمل،و أن قولهم غیر مسئول.

وَ أَنَّهُمْ یَقُولُونَ مٰ لاٰ یَفْعَلُونَ ان دغدغه الأمانی،و إثاره الخیال،و صنع الأحلام الوردیه،کل ذلک من طبیعه الثقافات المادیه،و عاده ما یکون أصحاب هذه الثقافات أقل الناس التزاما بما یقولون،و السبب أن الکلام هو بدیل عن العمل فی تصورهم.

[۲۲۷]و فی الآیات الاخیره من هذه السوره یبین ربنا صفات صاحب الرساله حقا،فیقول:

إِلاَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ وَ ذَکَرُوا اللّٰهَ کَثِیراً ان صاحب الرساله یتعرض لضغط التیارات الثقافیه،و القوی الاجتماعیه المختلفه،و علیه أن یذکر اللّه کثیرا لکی لا تخور عزیمته،و لا تشوش رؤیته،بل یبقی نافذ البصیره برغم الشبهات و الدعایات،و صامدا برغم همزات الشیاطین، و ذکر اللّه حقّا هو ذکره فی القلب عند ما یعرض علیه الحرام فیجتنبه،و الحلال فینتفع به.

یقول الامام أمیر المؤمنین علیه السلام :

«من ذکر اللّه عز و جل فی السر فقد ذکر اللّه کثیرا.إنّ المنافقین کانوا یذکرون اللّه علانیه،و لا یذکرونه فی السر،فقال اللّه عز و جل: یُرٰاؤُنَ النّٰاسَ وَ لاٰ

يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاّ قَلِيلاً (۱)و لعل أظهر سمات صاحب الدعوه الإلهيه تحمله مسئوليه الجهاد ضد الظلم، كما أنّ أبرز سمات الشعراء: أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ .

وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ان مقاومه الظلم و عدم الاستسلام للظالمين تلازم الرسالى الصادق،الذى يتخذ من رسالته سلاحا ضد المنحرفين.

وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ هكذا تختم سوره الشعراء بشحنه أمل مباركه تعطيها للمظلومين،و صعقه إنذار شديده يخوف بها الظالمين،ليبقى قلب المؤمن مستقيما بين الأمل و الخوف،بين اسمى الرحمه و العزه لرب العالمين.

و قد تحققت هذه الآيه الكريمه فى حقّ ظالمى آل محمد صلى الله عليه و آله أجمعين،حيث أهلك اللّه الظالمين،و رفع ذكر أهل البيت عاليا عبر العصور.

۱- ۱۶) المصدر/ص(۷۳).

سوره النّمل

اشاره

ص:۱۴۱

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره:

عن كتاب ثواب الأعمال باسناده عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال:

من قرأ سور الطواسین الثلاث فی لیله الجمعه کان من أولیاء اللّه و فی جواره و کنفه،و لم یصبه فی الدنیا بؤس أبدا،و اعطی فی الآخره من الجنه حتی یرضی و فوق رضاه،و زوّجه اللّه مأه زوجه من الحور العین» (تفسیر نور الثقلین/ج(۴)/ص(۷۴)

و عن ابن عباس قال:قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و آله:

«و أعطیت طه و الطواسین من ألواح موسی» (المصدر)

ص:۱۴۳

الإطار العام

الاسم:

ذكر«النمل»فى قصه سليمان فجاءت السوره بهذا الاسم.أو ليس طريفا أن يقارن أكبر ملك آتاه اللّه لواحد من عباده باسم النمل؟!بلى.ان مملكه العدل الالهى لا بد أن تكون بحيث يشعر النمل بالأمان فى ظلها.إنّ هذا ما تبشّر به رسالات اللّه،و لعلّه لذلك سميت هذه السوره باسم«النمل».

لا- تخرج موضوعات هذه السوره عن الإطار العام للطواسين الثلاث(الشعراء و القصص بالاضافه الى سوره النمل)و هو بيان خصائص الوحى مع التركيز على بيان الأمثله من تاريخ رسالات اللّه الأولى،و كأنها جميعا تفصيلات لما ذكّر به القرآن فى سوره الفرقان.

تطلع علينا فاتحه السوره بذكر القرآن الذى جعله اللّه هدى و بشرى للمؤمنين، أما الذين يكفرون بالآخره فان اللّه زيّن لهم أعمالهم و سلبهم بصائرهم،و لهم سوء

العذاب.

و ان الرسول يلقّى القرآن من لدن حكيم عليم.

و يبدو ان هذين الاسمين الإلهيين يتجليان فى آيات هذه السوره كما تجلّى اسما العزيز الرحيم فى السوره السابقه«الشعراء».

و تلقى الآيات حزمه ضوء على قصه موسى:كيف تلقى الوحى،حين آنس نارا،فباركها اللّه و من حولها،و ناداه: إِنَّهُ أَنَا اللّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ،و أعطاه معجزه العصى و اليد البيضاء فى تسع آيات،و أمره بإبلاغ فرعون رسالات ربه.

فلما جحدوا بها-بعد ان استيقنتها أنفسهم-نبذهم فى اليمّ.

و بعدئذ يفصل القول فى قصه سليمان،و يبدو ان هناك تقابلين فيها:اولا:

بين فرعون أعظم ملك كافر،و سليمان أكبر ملك عادل،ثانيا:بين بلقيس الملكه العربيه التى آمنت،و ثمود القرى العربيه التى كفرت فدمرها اللّه شر تدمير.

و نقرأ فى قصه سليمان عن تسخير الجن و الطير،و عن مملكه النمل التى شملها عدل سليمان،و عن استخدام الهدهد و الريح وسيلتين حضاريتين،و أيضا الانتفاع بالاسم الأعظم فى نقل عرش بلقيس لتكتمل صوره مملكه الحق فى الأرض.

أما فى قصه بلقيس فنقرأ استشارتها قومها،و اتخاذها القرار الحكيم،الا أنّ حكمتها لم تجدها نفعا حين كفرت باللّه،و سجدت للشمس من دونه،و لكنها بالتالى آمنت مع سليمان باللّه رب العالمين.

أما فى قصه ثمود فنقرأ قصه الصراع بين المستضعفين و المستكبرين،و كيف أنّ الكفّار تطيّروا بصالح و من معه من المؤمنين،و كيف فسد ثمّه النظام القبائلى،

و بدل ان یکونوا حماه الضعفاء تآمروا علی نبیهم،و مکروا و مکر اللّه، و دمرهم أجمعین.

و یختم السیاق قصص المرسلین بقصه قوم لوط الذین نهرهم نبیهم عن شذوذهم الجنسی،فلما أرادوا ان یخرجوه و من معه أمطر اللّه علیهم مطر السوء.

و یبدو أنّ السوره تضرب لنا فی القسم الاول(۱-۵۸)أمثله عن النظم الاجتماعیه الفاسده التی لا بد ان تنزع عن فسادها(کما فعلت بلقیس)و الا دمرت شر تدمیر،و یقارنها بمثال رائع من النظام الالهی فی الأرض لا بد ان تتطلع الیه البشریه متمثلا فی قصه سلیمان و أما فی القسم الثانی فان الآیات تذکرنا بالقرآن بعد ان تهدینا الی آیات ربنا فی الخلق و التی تدل علی ان اللّه واحد لا شریک له،لا فی أصل الخلق و لا تقدیره و تدبیره.

اللّه هو الذی خلق السموات و الأرض و أجری فیهما أنظمه لحیاه البشر،و هو الذی یلجأ الیه المضطر فیجیبه و یکشف عنه السوء،و یهدی الناس فی ظلمات البر و البحر،و یرسل الریاح بشرا بین یدی رحمته.

ثم یذکّر بأنه عالم الغیب لا یعلمه الا هو،و انه مالک یوم الدین حیث یقف دونه علم الآخرین.

و یمضی السیاق قدما فی التذکره بالآخره،و یأمرهم بأن یسیروا فی الأرض لیعتبروا بمصیر المجرمین،و لا یستعجلوا العذاب فعسی أن یکون قریبا منهم،أما القرآن و خصائصه فهی التالیه:

أولا:یحتوی علی علم ما یغیب عن الناس.

ثانيا:يحل الخلافات التى لا زالت عند أصحاب الكتب السابقه.

ثالثا:انه هدى و رحمه للمؤمنين.

رابعا:يقضى بين الناس بالحق.

و يأمر اللّه رسوله بالتوكل عليه،و الا يأبه بأولئك الجاحدين الذين يشبههم بالموتى و الصم المدبرين،و يوجهه الى المؤمنين الذين هم لربهم مسلمون.

و يحذّر من حلول العقاب فى يوم يخرج اللّه لهم دابه من الأرض تكلمهم.

و حين يحشر بعض المجرمين و يسألون:لماذا كذبتم بآيات اللّه؟فيقع عليهم القول بما ظلموا.

ثم يذكّر القرآن باللّه،و كيف جعل الليل سكنا و النهار معاشا،و لكنه سوف يفزعهم بنفخه الصور،و لا ينجو من ذلك الفزع العظيم الا المحسنون،أما من جاء بالسيئه فهو يساق الى النار على وجهه.

و فى خاتمه السوره يوجه الخطاب الى الرسول باعتباره حامل رسالات اللّه،و انه يعبد اللّه وحده،و يتلو القرآن،فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه،اما الضالون فان الرسول لم يكلّف الا بإنذارهم.

و تختم السوره بحمد اللّه،و بإنذار مبطن لأولئك الجاحدين بان آيات اللّه الخارقه ستأتيهم بحيث يعرفونها،و ان اللّه ليس بغافل عما يعملون.

سوره النّمل

[سوره النمل (۲۷): الآیات ۱ الی ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . طس تِلْكَ آيٰاتُ اَلْقُرْآنِ وَ كِتٰابٍ مُبِينٍ (۱) هُدىً وَ بُشْرىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (۲) اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ اَلصَّلاٰةَ وَ يُؤْتُونَ اَلزَّكٰاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَهِ هُمْ يُوقِنُونَ (۳) إِنَّ اَلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ زَيَّنّٰا لَهُمْ أَعْمٰالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (۴) أُولٰئِكَ اَلَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ اَلْعَذٰابِ وَ هُمْ فِي اَلْآخِرَهِ هُمُ اَلْأَخْسَرُونَ (۵) وَ إِنَّكَ لَتُلَقَّى اَلْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (۶)

اللغه

۴[یعمهون]:العمه عمی القلب أی یمشون فی المعاصی کما یمشی الأعمی فی الطریق لا یهتدی سبیلا.

هُدىً وَ بُشْرىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ

هدى من الآيات:

تتمحور دروس سوره النمل-كما هى سوره الشعراء-حول الرسالات الالهيه،ميزاتها و خصائصها،و بالتالى الشواهد الفطريه و الوجدانيه التى تدل على صدقها.

و تبدأ السوره بالاشاره الى القرآن الحكيم،ذلك الكتاب الذى تكفينا الاشاره اليه و الى واقعه علما و معرفه بحقيقته،لأننا لسنا بحاجه إلى أكثر من الاشاره للحقائق الواضحه فى الكون-و التى حجبتنا عنها الأهواء و الغفله-لكى نعرفها، بالذات إذا كنا ممن يلقى السمع و هو شهيد،لان العقل و الوجدان و الفطره، و بالتالى لان الإنسان بما يمتلك من أدوات الفهم،و وسائل المعرفه،هو الذى ينبغى ان يتعرف على الحقائق،و انما الهادى و المنذر و المذكر ليس عليه سوى البلاغ و التذكره «فَذَكِّرْ إِنَّمٰا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ» و هكذا تبدأ كثير من سور

القرآن الحكيم بالإشاره الى القرآن ذاته.

ان فى القرآن آيات و تشريعات،فهو من جهه علامات و إشارات تهدينا الى اللّه،و الى أسمائه الحسنى،و الى السنن الكونيه و غيرها التى أجراها فى الحياه،و هو من جهه أخرى دساتير ثابته،و قوانين مستمره فى حياه الإنسان التشريعيه.

و فى البدء يهدينا القرآن الى اللّه عن طريق إعطاء الأمل و الهدايه «هُدىً وَ بُشْرىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ» ثم يأمرنا بمختلف الفرائض كالصلاه و الزكاه.

أما لماذا لا يؤمن فريق من الناس بالقرآن؟فلأن أعمالهم السابقه-اجرامهم و فسقهم و ضلالتهم-التى اكتسبوها باختيارهم تصبح حجابا بينهم و بين الحقيقه،و المشكله الحقيقيه إذا تحولت هذه الأعمال الى عاده،ذلك ان حجاب العاده من أمتن الحجب و أصعبها أمام الإنسان،و الذى ينتصر على عاداته و سابقيّاته الفكريه فانه يتجاوز سائر الحجب و المشاكل بسهوله،الا ان اختراق هذا الحجاب من أصعب الأشياء على البشر.

و فى الوقت الذى تشير هذه الآيات لهذا الحجاب تبين ان هذه سنه كونيه جعلها اللّه فى الحياه،فالذى يبدأ بالصلاه تخف صعوبتها عليه شيئا فشيئا حتى يصير من المستأنسين بها،و أما حين يقدم الإنسان على الفاحشه فانه يستوحش منها و يلاحقه تأنيب الضمير بسببها فى بادئ الأمر،و لكنه لو عاد إليها المره تلو الأخرى فسوف تتحول الى عاده عنده لا يحس حين ممارستها بأدنى تأنيب،و مثال على هذه الفكره هو إدمان الجريمه لدى الطغاه،فهم أول ما يقدمون على جريمه القتل يكون الأمر بالنسبه إليهم صعبا،و لكن حينما تتكرر منهم الجريمه يصل بهم الأمر الى حد يقول أحدهم:(لكى أبقى حاكما لا يضر لو قتلت ثلثى الشعب)و ليس لا يستقذر هذا العمل بل و يستأنس به،و تلك سنه الهيه ان يزين الشيطان للإنسان عمله.

و الشجاع الحق هو الذی یغلب نفسه و هواه،فیخترق سد العاده لیصل الی نور الحقیقه،و یتمسک بها حتی لو کلّفه ذلک التنازل عن کل سابقیاته الخاطئه.

ثم تشیر الآیات الی ان التدبر فی القرآن یصل بالإنسان الی معانی الحکمه و العلم التی یشتمل علیها،فآیات الحکمه و شواهدها واضحه فی القرآن عبر الأحکام التی نجدها فیه،فکل حکم یراعی کل الجوانب و الجهات من دون ان یحیف بأحد لحساب أحد،أو لجانب علی حساب جانب آخر،و أما حقائق العلم فهی باطن آیات الحکم،و من خلال هذا و ذاک یعرف المؤمنون اسمی الحکیم العلیم لربهم.

و فی نهایه هذه الآیات یضرب اللّه مثلا من واقع موسی علیه السلام فموسی کان طاهرا و نقیا،الا ان الوحی أو قد مصباح عقله بنور اللّه،إذ نزل علیه فی عمق الصحراء و فی اللیل المظلم،حیث البرد و الضیاع و الزوجه الحامل،و هکذا یهبط الوحی علی الأنبیاء عند لحظات النقاء و الطهر و التجرد و التی ترافق لحظات الشده و العسر.

ان الوحی الذی تلقاه موسی لم یکن لیعالج مشاکله الشخصیه،بل جاءه الوحی لیعالج مشاکل الامه کلها،و هذا دلیل علی انه اتصال غیبی من الأعلی،فلو ان الرساله التی جاء بها کانت من عنده کنا نجد فیها اثار الظروف الصعبه المحیطه به،و ما کان لیهتمّ بمشاکل الامه جمیعا بل البشریه کلهم،لان الثقافه الارضیه تنبع من وسط الإنسان و تتأثر به،أما موسی علیه السلام فانه یسمع نداء فی ذلک الحین:

اننی انا اللّه رب العالمین،و هنالک ینسی کل شیء،و یتوجه الی ربه خالصا، و یهدف حل مشاکل أمته،متجردا عن ذاته الی اللّه،و هذه هی خلاصه قصه الرساله:من جهه الخروج عن الوسط الذی یعیشه الفرد،و من جهه أخری تلقی فکره شامله مطلقه لا تحدها الظروف الخاصه التی یعیشها الفرد ذاته،و عبر هذه القصه و القصص المشابهه یکشف لنا القرآن الحکیم عن حقیقه الوحی،و جوهر فرقه

عن الثقافات البشريه.

بينات من الآيات:

[۱] طس تِلْكَ آياتُ الْقُرْآنِ وَ كِتابٍ مُبِينٍ «تلك»اشاره الى«طس»بأنها آيات القرآن الثابته من جهه(فالكتاب هو الشيء الثابت)و الواضحه من جهه أخرى،إذ عرّفتها الآيه بأنها مبينه.

[۲] هُدىً وَ بُشْرىً لِلْمُؤْمِنِينَ يحمل القرآن فى آياته الهدى و البشرى،و لكن ليس لكل أحد بل لمن يريد الهدايه و بالتالى البشرى،فمن ناحيه تتحرك أنت نحو القرآن فيتحرك القرآن نحوك،لتلتقى أنت و السعاده و الفلاح،أما إذا جلست دون حركه نحو القرآن فلن تتلقى الهدى و لا البشاره.

[۳] اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَهِ هُمْ يُوقِنُونَ الصلاه و الزكاه رمزان لجانبين من أعمال الإنسان،فالاولى رمز للعبوديه المطلقه للّه،و بالتالى التحرر المطلق من قيود الذات و الواقع السلبى،و الثانيه رمز للعطاء، و هذه هى العلاقه التى يجب ان تقوم بين الإنسان و نظيره الإنسان،و المفارقه بين العلاقتين واضحه،فمع اللّه تكون علاقه العبوديه،و مع الناس تكون علاقه الإحسان لا الشرك،و يعبّر القرآن عن هاتين العلاقتين فى آيه أخرى حين يقول: «وَ اعْبُدُوا اللّهَ وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً» (۱)

۱- ۱) النساء/(۳۶).

[۴] إِنَّ الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ زَيَّنّٰا لَهُمْ أَعْمٰالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ان الذى يضع لنفسه هدفا بعيدا كالآخره يكيف نفسه مع ذلك الهدف،فلا يتأثر بالعادات و الظروف المحيطه به،لأنه يجعل سائر اعمال الحياه وسيله لهدف اسمى،فلا يعبد ذلك العمل و لا يحبه أو يمارسه الا من أجل الهدف الذى يؤدى هذا العمل اليه،اما الذى لا هدف له فهو يحب الوسيله و يقف عندها كالذين لا يؤمنون بالآخره فهم يستمرون على اعمال الدنيا لان عملهم محدود بالظواهر فقط،و لعل قوله تعالى:« زَيَّنّٰا لَهُمْ أَعْمٰالَهُمْ »اشاره الى هذه الفكره،فالكافرون لا ينظرون الى الجوانب المختلفه من العمل،و انما يربطون أنفسهم بالعمل ذاته فيعمهون اى (يعمون)عن عواقبه.

[۵] أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذٰابِ وَ هُمْ فِى الْآخِرَهِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ و ان أعمالهم لا تورث لهم الا العذاب و الخسران.

[۶] وَ إِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ اللّه يلقى الكتاب على قلب الرسول،و الرسول يتلقاه بوعى و علم،و اللّه حكيم و القرآن آيه حكمته،و عليم يتجلى علمه فى القرآن.

و هكذا كان ظاهر القرآن حكما صائبا لأنه من اللّه الحكيم،و باطنه علما لأنه من اللّه العليم.

[سوره النمل (۲۷): الآیات ۷ الی ۱۷]

اشاره

إِذْ قالَ مُوسىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّی آنَسْتُ ناراً سَآتِیکُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ آتِیکُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ لَعَلَّکُمْ تَصْطَلُونَ (۷) فَلَمّا جاءَها نُودِیَ أَنْ بُورِکَ مَنْ فِی النّارِ وَ مَنْ حَوْلَها وَ سُبْحانَ اللّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ (۸) یا مُوسیٰ إِنَّهُ أَنَا اللّهُ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ (۹) وَ أَلْقِ عَصاکَ فَلَمّا رَآها تَهْتَزُّ کَأَنَّها جانٌّ وَلّیٰ مُدْبِراً وَ لَمْ یُعَقِّبْ یا مُوسیٰ لا تَخَفْ إِنِّی لا یَخافُ لَدَیَّ الْمُرْسَلُونَ (۱۰) إِلاّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّی غَفُورٌ رَحِیمٌ (۱۱) وَ أَدْخِلْ یَدَکَ فِی جَیْبِکَ تَخْرُجْ بَیْضاءَ مِنْ غَیْرِ سُوءٍ فِی تِسْعِ آیاتٍ إِلیٰ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ إِنَّهُمْ کانُوا قَوْماً فاسِقِینَ (۱۲) فَلَمّا جاءَتْهُمْ آیاتُنا مُبْصِرَةً قالُوا هٰذا سِحْرٌ مُبِینٌ (۱۳) وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَیْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِینَ (۱۴) وَ لَقَدْ آتَیْنا داوُدَ وَ سُلَیْمانَ عِلْماً وَ قالا الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِی فَضَّلَنا عَلیٰ کَثِیرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِینَ (۱۵) وَ وَرِثَ سُلَیْمانُ داوُدَ وَ قالَ یا أَیُّهَا النّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّیْرِ وَ أُوتِینا مِنْ کُلِّ شَیْءٍ إِنَّ هٰذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِینُ (۱۶) وَ حُشِرَ لِسُلَیْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّیْرِ فَهُمْ یُوزَعُونَ (۱۷)

اللغه

۷[تصطلون]:الاصطلاء الاستفاء بالنار،من یصلی،و أصله اصتلی.

۱۰[یعقب]:أی لم یرجع و لم یلتفت،فکأن الراجع و الملتفت یعقب الأمر السابق.

بُورِکَ مَنْ فِی النّارِ وَ مَنْ حَوْلَها

هدی من الآیات:

جاء موسی علیه السلام فی تلک اللیله الشاتیه لیقتبس شهابا من تلک النار التی آنسها من بعید،و لیهتدی علی أثرها،و یحمل الدفء و الهدی الی اهله،فاذا به یسمع نداء یبتدئ بالبرکه،و لعلها تعبیر عن التکامل و النمو.

إنّ لدی الإنسان صفات فطریه متنوعه و هی بحاجه الی التنمیه و التزکیه لتنتهی الی البرکه،فهو یملک العلم و الإراده و الصحه بالقوه-یعنی انه یملک امکانیه کل ذلک-و التربیه هی التی تتعهد هذه الصفات بالتنمیه و التزکیه،فاذا بامکانیه العلم تتحول الی علم،و امکانیه التعقل تتحول الی عقل،و امکانیه الصحه الی سلامه،و حسب التعبیر الفلسفی یتحول الشیء من القوه الی الفعل،و ذلک بحاجه الی منهج متکامل هو رسالات اللّه التی تفجر طاقات الإنسان و تنمیها و توجهها، لذلک تتکرر کلمه البرکه فی القرآن،فالقرآن برکه،و الرسول برکه،و البیت الحرام مبارک،و هکذا.

و أول ما تلقى موسى عليه السلام من الوحى هو الاشاره بالبركه: «أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النّارِ وَ مَنْ حَوْلَها» و ربما يقصد بمن فى النار اللّه تعالى،و من حولها موسى.

أما عن منطلق البركه فى حياه الإنسان فهو الايمان باللّه سبحانه و تعالى،لذلك يأتى النداء الآخر بعد ذكر البركه-و فيه تعبير عن التوحيد-فاللّه هو منشأ كل خير فى عالم الطبيعه،و الايمان باللّه هو منشأ كل خير فى عالم التشريع.

و بعد ان يشير السياق الى الآيات التى تجلت على يد موسى عليه السلام يتناول قصه سليمان عليه السلام الذى ورث العلم و الملك من داود،فأصبح ملكا نبيا،و ذلك ليبين لنا فكره هامه هى:ان الالتزام بالرساله لا يعنى تحمل المشاق و المتاعب الا انها بالطبع تؤدى بأصحابها الى النصر و الملك.

و القرآن الحكيم كثير ما يبين لنا أحكامه و أفكاره عبر الامثله التاريخيه و القصص،فبقصه يعقوب مع ولده يوسف عليه السلام يثير فينا عاطفه الابوه،و بقصه إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليه السلام -حين أراد ذبحه-يبين تحدى الإنسان لهذه العاطفه،أما من قصه سليمان عليه السلام فاننا نستوحى ان الدنيا و الآخره يمكن ان يجتمعا على صعيد واحد،فبإمكان الرسالى صياغه حياه ملؤها الفضيله و التقوى،و يجمع إليها القوه و النعم الدنيويه،و القصه تفيد أيضا ان التفكير السليم يمكّن من جمع الدنيا و الآخره،حسب مستوى الإنسان و طموحه و قدراته،و يستشف من القصه معنى البركه الذى جاء ذكره فى أوّل الآيات،فإنسان ما قد يصبح كسليمان نبيا، يتلقى الوحى من اللّه سبحانه مباشره،و فى الوقت ذاته يكون ملكا بملك لا ينبغى لأحد من قبله و لا لأحد من بعده.

بينات من الآيات:

[٧]لكى لا يستغرب أحد كيف يتلقى الرسول الوحى من لدن حكيم عليم،

و لکی یعرف المؤمنون مزیدا من خصائص الوحی و کیف یتلقاه الرسول،و ما هی ظروف التلقی!یبین ربنا قصص الأنبیاء،و ها هو موسی علیه السلام یسیر بأهله فیأنس نارا فیذهب لیأتی منها بخبر(عن الطریق)أو قبس لیصطلی و یستضیء به.

إِذْ قالَ مُوسی لِأَهْلِهِ إِنِّی آنَسْتُ ناراً سَآتِیکُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ آتِیکُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ لَعَلَّکُمْ تَصْطَلُونَ [۸] فَلَمَّا جاءَها حین اتجه موسی علیه السلام نحو النار و وصل علی مقربه منها.

نُودِیَ أَنْ بُورِکَ مَنْ فِی النّارِ وَ مَنْ حَوْلَها قال البعض ان من فی النار هم الملائکه،و من حولها هو موسی علیه السلام .

و قال البعض ان «مَنْ فِی النّارِ» هو اللّه الذی تجلی هنا لک ببعض أسمائه،و قد قال ربنا: «وَ سُبْحانَ اللّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ» و قد جاءت الخاتمه لبیان تقدیس الرب من الحلول فی مکان.

و یحتمل ان یکون المقصود بمن فی النار هو موسی،و من حولها الذین یقتبسون منه،و ینتهجون خطه.

وَ سُبْحانَ اللّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ ای تعالی اللّه ان یکون حالاّ فی النار،لأنه أکبر من ان یحدّه شیء.

[۹]ان النداء الذی تلقاه موسی علیه السلام هو المسؤولیه التی تتمثل فی الرساله الالهیه المنزله الیه،ینذر بها قومه،و یتحدی بها النظام الفاسد.

يا مُوسى إِنَّهُ أَنَا اللّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ و هذا هو المنطلق.

[۱۰] وَ أَلْقِ عَصاكَ فَلَمّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ يقول المفسرون ان الجان هى الحيه الصغيره سريعه الحركه،و لكنا نعلم ان عصى موسى عليه السلام تحولت الى ثعبان ضخم،و عليه فقد يكون التعبير بكلمه«جان» و هى الحيه الصغيره لبيان معنيين الاول:جانب الخفّه و السرعه فى الحركه حتى كأن هذا الثعبان الضخم فى خفته حيه صغيره،و الثانى:انه كان فى ضخامته كأنه الجن.

و موسى عليه السلام حين رأى هذا المنظر الرهيب:

وَلّى مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ اى هرب و لم يلتفت الى خلفه،أو لم يتعقب الأمر و يتابعه مرحله فمرحله و لحظه فلحظه،الا ان العنايه الالهيه تحوط موسى و تمده بالعون فى كل حين،لذلك جاءه النداء تثبيتا له:

يا مُوسى لا تَخَفْ إِنِّى لا يَخافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ الرساله هى عطاء الهى جديد يضاف الى الرسول،و ليست نبوغا فطريا،و لا نموا طبيعيا فى حياته،لذلك نجد موسى عليه السلام يخشى و يخاف من العصا التى ألقاها هو نفسه،إذ لم يكن يعلم انها ستتحول الى جان.

لقد سما موسى عليه السلام فى لحظه الى أفق النبوه،من حمله الرسالات الالهيه فأضحى ينفذ الأمر بلا خشيه و لا تردد،حقا ما أعظم التحول الذى ينشأوه الوحى فى هذا

البشر الضعيف.ان يعرج به الى قوه تتسامى فوق كل قوه ماديه لأنه يقر به الى رب القدره و الجبروت.

و الرسول يجب ان لا يخاف،لأنه يعتمد فى تحركه على قوه غيبيه مطلقه.

[۱۱] إِلاّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّی غَفُورٌ رَحِیمٌ الذى ينبغى ان يخاف امام اللّه ليس موسى عليه السلام و لا الأنبياء و المرسلون،و انما الظالمون بسبب ذنوبهم و سيئاتهم،و لماذا نخاف من اللّه و هو ارحم الراحمين؟!الا ان المشكله تبدأ منا و تنتهى إلينا بسبب الذنوب و المعاصى،فالطبيعه مثلا خلقها اللّه لنا فلا نخاف منها،بل نخاف من عدم قدرتنا على الاستفاده السليمه منها.

و حتى الظالم صاحب الذنوب يمكنه أن يتوب ليجد اللّه غفورا رحيما،فلا يبقى ما يقلقه أو يخيفه.

[۱۲] وَ أَدْخِلْ يَدَكَ فِی جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ قد يصيب البياض يد الإنسان بسبب البرص و هذا سوء،و لكن يد موسى لم يكن بها ذلك المرض،و انما خرجت بشعاع من نور.

فِی تِسْعِ آياتٍ سبع منها آيات إنذار و عذاب و هى:الدم،و القمّل،و الجراد،و الضفادع، و الطوفان،و الثعبان،و انفلاق البحر،و اثنتان منها آيتان للرحمه و هما:اليد البيضاء،و انبجاس عيون الماء من الصخره حين ضربها موسى عليه السلام بالعصا.

إِلى فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ

و الفسق هو تجاوز الحد،و انحراف السائر عن الطريق يسمّى فسقا.

[۱۳] فَلَمّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ الآيات كانت جليه و لا تقبل الشك،و لكنهم اتهموا موسى عليه السلام بالسحر ليبرّروا كفرهم بها،و لأنهم أرادوا ظلم الناس و الاستكبار فى الأرض فكانت الرساله الالهيه تمنعهم منها لذا فإنهم اتهموا الرساله بالسحر،و كفروا بها بعد ان أيقنت أنفسهم بصدقها،و أفسدوا،و أنهى اللّه كيانهم،و أغرقهم فى اليمّ،و جعلهم عبره للمؤمنين.

[۱۴] وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَهُ الْمُفْسِدِينَ [۱۵]ان فرعون و ملأه استكبروا،و حاولوا فرض سيطرتهم الفاسده على الناس،بينما داود و سليمان شكروا اللّه حينما منحهم العلم و الهدى و السلطه، و هذا هو الفرق بين البركه الالهيه و اتباع خط الشيطان فى نعم الدنيا.

وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَ سُلَيْمانَ عِلْماً وَ قالَا الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى فَضَّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ [۱۶] وَ وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وَ قالَ يا أَيُّهَا النّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ و بهذه الكلمه أعلن سليمان عليه السلام أنّه ملك الناس.لماذا؟ لأنه وصل الى أرفع مستوى من العلم،حتى صار يعلم منطق الطير،و لأنه صار لديه كل ما يحتاجه الناس كالإداره،و قياده الحرب،و هذا يدل على ان الإسلام

ينظر الى القياده من خلال الكفاءه لا النسب و الحسب،فسليمان لم يرث الحكم لو لم تكن لديه الكفاءه.

و يبدو من بعض النصوص:ان سليمان ورث أباه منذ صباه لما أودعه اللّه فيه من علم و كفاءه.

فى أصول الكافى عن بعض أصحابنا عن أبى جعفر الثانى عليه السلام قال قلت له:

انهم يقولون فى حداثه سنك؟فقال:«ان اللّه تعالى أوحى الى داود ان يستخلف سليمان و هو صبى يرعى الغنم،فأنكر ذلك عبّاد بنى إسرائيل و علماؤهم،فأوحى اللّه الى داود:أن خذ عصى المتكلمين و عصى سليمان و اجعلها فى بيت،و اختم عليهما بخواتيم القوم،فإذا كان من الغد فمن كانت عصاه قد أورقت و أثمرت فهو الخليفه،فأخبرهم داود عليه السلام فقالوا:قد رضينا و سلمنا »(۱)[۱۷] وَ حُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ و ربما كانت مهمه الطيور إيصال الرسائل كالحمام الزاجل،أو التجسس كما فعل الهدهد.

فَهُمْ يُوزَعُونَ اى يوزّعون حيث يقسّم سليمان المهام على جنوده،و الحشر لا يعنى انهم مجموعون بشكل فوضوى،بل انهم موزّعون بشكل منظم.

و يبدو ان الحضاره قد تطورت فى عهد سليمان عليه السلام و انه كان خبيرا بلغات شتى.

۱- ۱) نور الثقلين/ج(۴)/ص(۷۵).

جاء فی تفسیر علی بن إبراهیم عن الصادق علیه السلام :

«أعطی سلیمان بن داود-مع علمه-معرفه المنطق بکل لسان،و معرفه اللغات،و منطق الطیر و البهائم و السباع،و کان إذا شاهد الحروب تکلم بالفارسیه،و إذا قعد لعماله و جنوده و أهل مملکته تکلم بالرومیّه،و إذا خلا بنسائه تکلم بالسریانیه و النبطیه،و إذا قام فی محرابه لمناجاه ربه تکلم بالعربیه،و إذا جلس للوفود و الخصماء تکلم بالعبرانیه » (۱)

و جاء فی حدیث آخر:

«اعطی داود و سلیمان علیه السلام ما لم یعط أحد من أنبیاء اللّه من الآیات،علمهما منطق الطیر،و ألان لهما الحدید و الصفر من غیر نار،و جعلت الجبال یسبّحن مع داود علیه السلام » ۳

۱- ۲،۳) المصدر ص(۷۸).

[سوره النمل (۲۷): الآیات ۱۸ الی ۲۶]

اشاره

حَتّی إِذا أَتَوْا عَلی وادِ اَلنَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ یا أَیُّهَا اَلنَّمْلُ اُدْخُلُوا مَساکِنَکُمْ لا یَحْطِمَنَّکُمْ سُلَیْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا یَشْعُرُونَ (۱۸) فَتَبَسَّمَ ضاحِکاً مِنْ قَوْلِها وَ قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِی أَنْ أَشْکُرَ نِعْمَتَکَ اَلَّتِی أَنْعَمْتَ عَلَیَّ وَ عَلی والِدَیَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَدْخِلْنِی بِرَحْمَتِکَ فِی عِبادِکَ اَلصّالِحِینَ (۱۹) وَ تَفَقَّدَ اَلطَّیْرَ فَقالَ مالِیَ لا أَرَی اَلْهُدْهُدَ أَمْ کانَ مِنَ اَلْغائِبِینَ (۲۰) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِیداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَیَأْتِیَنِّی بِسُلْطانٍ مُبِینٍ (۲۱) فَمَکَثَ غَیْرَ بَعِیدٍ فَقالَ أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ وَ جِئْتُکَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ یَقِینٍ (۲۲) إِنِّی وَجَدْتُ اِمْرَأَةً تَمْلِکُهُمْ وَ أُوتِیَتْ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ وَ لَها عَرْشٌ عَظِیمٌ (۲۳) وَجَدْتُها وَ قَوْمَها یَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اَللّهِ وَ زَیَّنَ لَهُمُ اَلشَّیْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ اَلسَّبِیلِ فَهُمْ لا یَهْتَدُونَ (۲۴) أَلاّ یَسْجُدُوا لِلّهِ اَلَّذِی یُخْرِجُ اَلْخَبْءَ فِی اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ یَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وَ ما تُعْلِنُونَ (۲۵) اَللّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ رَبُّ اَلْعَرْشِ اَلْعَظِیمِ (۲۶)

اللغه

۱۹[أوزعنی]:أی ألهمنی،من وزع بمعنی کف.

۲۲[فمکث]:المکث البقاء الیسیر.

۲۵[الخبء]:الخبیء المخبوء،و هو ما أحاط به غیره حتی منع من إدراکه.

ص:۱۶۶

وَ جِئْتُکَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ

هدى من الآيات:

لقد ملك سليمان جنودا لم يملكها أحد قبله،و لن يملكها أحد بعده،و حشر له جنود منظّمون من الجن و الانس و الطير،و كانوا يسيرون فى الأرض،و يسعون فيها عمرانا و بناء.و فى بعض أسفارهم مرّوا بواد النمل فاذا بملكتهم تناديهم:ان يا أيّها النمل ادخلوا مساكنكم،فانّ سليمان و جنوده قادمون،و أخشى ان يحطموكم باقدامهم و حوافر خيولهم،فتبسم سليمان منها حين سمعها.

قد تكون للإنسان معارف و أفكار لا- تستثار الا بحوادث تطرأ على حياته،فينتبه لها،و قد يكون غافلا عن نفسه فاذا بظاهره أو حادثه طارئه تثيره لتفتح له أبواب المعرفه و العلم،فقد بدأ العالم المعروف(نيوتن)أبحاثه عن الجاذبيه لأنه شاهد تفاحه تسقط من الشجره الى الأرض،فتساءل:لماذا لا تصعد الى السماء؟! و انتهى الى نظريه الجاذبيه.

و قد بلغ سليمان عليه السلام من القوه و السلطه شأنا بعيدا،فغفل أو تغافل حدود سلطانه-و هذا هو شأن الأنبياء و الصالحين-فهم كلما زاد ايمانهم زاد تواضعهم للّه،و لم يأبه سليمان عليه السلام بالجوانب الماديه للملك ليخرجه عن توازنه و عبادته للّه- كما هو شأن سائر الملوك-بل لم يكن الملك بالنسبه اليه وسيله للتكبر و الاستعلاء،بل وسيله لإقامه العداله على الأرض،فقد كان يقضى النهار صائما و الليل قائما متعبدا للّه سبحانه،و لم يتذكر عليه السلام مدى سلطانه الى ان سمع خطاب النمله مما أثّر فيه،فاندفع نحو ربه شاكرا له على نعمه المتواليه،و هذا يؤكد حقيقه هامه و هى:انعكاس ما يحدث للإنسان على العوالم المحيطه به،فالعداله تشمل الإنسان و الطبيعه من حوله،و هكذا الظلم.و قد تعجب سليمان عليه السلام من خطاب النمله!فكيف به و هو العبد الضعيف ان تبلغ قوته حدا يخشاه حتى النمل!لذلك اندفع نحو الشكر للّه، خشيه ان يكون شعوره بالقوه سببا للكفران بالنعم و الطغيان.

لذلك بادر طالبا من اللّه التوفيق الى شكره،ليس فقط شكرا نفسيا و لفظيا بل و عمليا أيضا،و ذلك بأن يستخدم ما وهبه اللّه من القوه و المنعه و الملك فى سبيل عمل صالح يرضيه تعالى،فليس كل عمل صالح بذاته يرضى اللّه،فلو انقطع شخص للّه بالعباده صياما و صلاه و لكنه انعزل عن الناس و الكدّ على من يعولهم،فان هذا العمل لا يرضى اللّه و ان كانت الصلاه فى ذاتها عملا صالحا.

كما جرت لسليمان عليه السلام حادثه أخرى تكشف لنا عن ملكه و طريقته فى الحكم،حينما غاب الهدهد فظن فى بادئ الأمر انه خالف قواعد الانضباط، فهدّده و توعّده بالعذاب حتى يصير عبره لسائر الجنود،فلا يفكرون فى مخالفه النظام فتعمّ الفوضى فى الجيش،و كان من عاده سليمان عليه السلام نتف ريش الطائر المخالف و المتخلف،الا ان الهدهد فاجأ سليمان عليه السلام حين نقل له خبرا مفاده:انه رأى مملكه سبأ فى بلاد اليمن،و لم يكن لدى سليمان علم ظاهر بها،لأنه كان يعيش فى

فلسطين،إذ يجب ان تلتقى الحضارتان(و هذه سنه الحياه)و أضحى الهدهد هو الرابط.

بعد ذلك قرر سليمان عليه السلام ان يتبين الأمر،فان صدق أكرمه و الا أحلّ به العذاب،لذلك دفع اليه رساله و أمره ان يلقيها الى ملكه سبأ،و فى القصه عبر و دروس سنتعرض لها فى البيّنات.

بينات من الآيات:

اشاره

[١٨] حَتّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ و لم تقل النمله ان سليمان و جنوده لا يملكون الاحساس أساسا،و انما قالت بأن اهتمامهم بأشياء أخرى قد يجعلهم لا يدركون بأن تحت أرجلهم شيئا و هذه اشاره للإنسان المقتدر بأن لا ينسى النمله بل يهتم بها،لأنها ذات روح و شعور.

و الحاكم العادل يأخذ حساباته حتى بالنسبه لهذه النمله،و لنستمع إلى

كلمه الإمام على عليه السلام و هو يومذاك حاكم على إمبراطوريّه عظمى:

«و اللّه لو أعطيت الأقاليم السبعه بما تحت أفلاكها،على أن أعصى اللّه فى نمله أسلبها جلب شعيره ما فعلته،و إنّ دنياكم عندى لأهون من ورقه فى فم جراده تقضمها.ما لعلىّ و لنعيم يفنى،و لذّه لا تبقى » (١)أما الطغاه فإنهم يتجاهلون شعوبا بأكملها،فأمريكا تفكر ان تضغط على روسيا فى افغانستان ما دامت الاخرى تضغط عليها فى بولونيا و فى كلتا البلدين

١- ١) نهج البلاغه/خ(٢٢۴)/ص(٣۴٧).

شعب مستضعف الا ان المهم عندهم ان تمشی سیاستهم و مصالحهم و لو دفع ملایین المستضعفین الی الجحیم.

کما تزرع کلتا الدولتین صواریخها النوویه المرعبه بین ملایین البشر،و تسلبهم الراحه و الاطمئنان،فالمهم عندهم ان یکونوا أقویاء،و هذا هو الفرق بین مملکه الإیمان و إرهاب الطغاه.

[۱۹] فَتَبَسَّمَ ضاحِکاً مِنْ قَوْلِها قیل:ان سلیمان علیه السلام لما سمع کلام النمله،أمر الجیش بالتوقّف فی الصحراء حتی دخل النمل أجمعهم الی بیوتهم،فأمرهم بعد ذلک بمواصله المسیر،و فی الوقت ذاته تعجب سلیمان من کلام النمله،و عرف انه وصل ذروه رفیعه من القوه و السلطه،و انه استجیبت دعوته التی قال فیها: «رَبِّ اغْفِرْ لِی وَ هَبْ لِی مُلْکاً لا یَنْبَغِی لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِی إِنَّکَ أَنْتَ الْوَهّابُ» (۱)لذلک توجه بالشکر الی اللّه لکی لا تبطره النعمه فیطغی.

و هناک حدیث شریف ینقل حوارا بین سلیمان و النمله:

فی عیون الاخبار باسناده الی داود بن سلیمان الغازی،قال:سمعت علی بن موسی الرضا علیه السلام یقول عن أبیه موسی بن جعفر علیه السلام فی قوله: «فَتَبَسَّمَ ضاحِکاً مِنْ قَوْلِها» و قال:لما قالت النمله: «یا أَیُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساکِنَکُمْ لا یَحْطِمَنَّکُمْ سُلَیْمانُ وَ جُنُودُهُ» حملت الریح صوت النمله الی سلیمان علیه السلام و هو مارّ فی الهواء، فالریح قد حملته،فوقف و قال:علیّ بالنمله،فلما أتی بها قال سلیمان:یا أیتها النمله اما علمت انی نبی اللّه و انی لا أظلم أحدا؟!قالت النمله:بلی.قال

۱- ۲) سوره ص/(۳۵).

سلیمان:فلم تحذرینهم ظلمی و قلت: «یا أَیُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساکِنَکُمْ؟» قالت النمله:خشیت ان ینظروا الی زینتک فیقیسوا بها،فیبعدون عن اللّه عز و جل،ثم قالت النمله:أنت أکبر أم أبوک داود؟قال سلیمان:بل أبی داود، قالت النمله:فلم یزید فی حروف اسمک علی حروف اسم أبیک داود؟قال سلیمان:مالی بهذا علم،قالت النمله:لان أباک داود داوی جرحه بودّ فسمی داود،و أنت یا سلیمان أرجو ان تلحق بأبیک،ثم قالت النمله:هل تدری لم سخرت لک الریح من بین سائر المملکه؟قال سلیمان علیه السلام :مالی بهذا علم،قالت النمله:یعنی عز و جل بذلک لو سخرت لک جمیع المملکه کما سخرت لک هذه الریح لکان زوالها من یدیک کزوال الریح،فحینئذ تبسم ضاحکا من قولها (۱) وَ قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِی أَنْ أَشْکُرَ نِعْمَتَکَ الَّتِی أَنْعَمْتَ عَلَیَّ وَ عَلی والِدَیَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَدْخِلْنِی بِرَحْمَتِکَ فِی عِبادِکَ الصَّالِحِینَ لقد کان سلیمان ملکا و نبیا،کما کان أبوه ملکا و نبیا،و أمّه مؤمنه صالحه، و کان یعمل الصالحات التی یرضاها اللّه،و لکنه لم یکتف بتلک الصفات بل دعا اللّه ان یجعله مع الصالحین،فما ذا ینفع الإنسان ان یکون أبواه صالحین إذا لم یکن هو کذلک کما ینبغی علی من أوتی الحکم و النبوه و الصلاح ان لا یتخذ ما أوتی من الفضل اداه للتفرقه بینه و بین الصالحین الآخرین.

[۲۰] وَ تَفَقَّدَ الطَّیْرَ فَقالَ مالِیَ لا أَرَی الْهُدْهُدَ أَمْ کانَ مِنَ الْغائِبِینَ

۱- ۳) نور الثقلین/ج(۴)/ص(۸۲).

[۲۱]و لعله خشی ان خروجه من غیر إذن قد یشجّع الآخرین علی عدم الانضباط،لذلک توعّده بالعذاب.

لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِیداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَیَأْتِیَنِّی بِسُلْطانٍ مُبِینٍ ان کان غیابه لعذر،و الا فالعذاب الشدید أو الذبح العاجل ینتظره.

[۲۲] فَمَکَثَ غَیْرَ بَعِیدٍ عاد الهدهد فبادره سلیمان بالسؤال:این کنت؟! فَقالَ أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ وَ جِئْتُکَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ یَقِینٍ لا یقبل الشک.

تقول روایه شریفه:

«قال ابو حنیفه لابی عبد الله علیه السلام : کیف تفقد سلیمان الهدهد من بین الطیر؟ قال:لان الهدهد یری الماء فی بطن الأرض کما یری أحدکم الدهن فی القاروره،فنظر ابو حنیفه الی أصحابه،و ضحک قال ابو عبد الله علیه السلام :ما یضحکک؟قال:ظفرت بک جعلت فداک قال:و کیف ذلک؟قال:الذی یری الماء فی بطن الأرض لا یری الفخ فی التراب حتی یؤخذ بعنقه؟قال ابو عبد الله علیه السلام :یا نعمان اما علمت انه إذا نزل القدر أغشی البصر؟! » (۱)[۲۳] إِنِّی وَجَدْتُ امْرَأَهً تَمْلِکُهُمْ

۱- ۴) المصدر ص(۸۵).

ای تحکمهم و تقودهم.

وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ لديها أنواع الخير و الملك.

وَ لَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ نقل ان عرش بلقيس كان خمسه و عشرين ذراعا طولا و عرضا و ارتفاعا،و كانت مقدمته من الذهب،و كانت بلقيس بنت شرحبيل تحكم قومها بمجلس شورى، يضم أكثر من(۳۱۳)رجلا،يمثّل كل واحد منهم قبيله.

[۲۴] وَجَدْتُهَا وَ قَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ الناس نوعان:نوع يعمل بعد التفكير،و نوع يعمل من دون تفكير،و لو كان هؤلاء يفكرون قبل ان يتعبّدوا للشمس لاهتدوا الى الصواب،و لكنهم عطلوا تفكيرهم،و اكتفوا بالواقع الموجود أو المورث.

بلى.هو كما

قال الإمام على عليه السلام :

«و لو فكّروا فى عظيم القدره،و جسيم النعمه،لرجعوا إلى الطريق،و خافوا عذاب الحريق،و لكن القلوب عليله،و البصائر مدخوله! » (۱)وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ عبر التبرير و التضليل.

۱- ۵) نهج البلاغه/خ(۱۸۴)ص(۲۷۰).

فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاٰ يَهْتَدُونَ و کیف یهتدی من استسلم للشیطان،و جعله یفکّر و یخطط بالنیابه عنه؟! [۲۵] أَلاّ يَسْجُدُوا لِلّهِ الَّذِی يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ و لیس الشمس هی التی تخرج القوی و الطاقات الکامنه حتی نعبدها.

وَ يَعْلَمُ مٰا تُخْفُونَ وَ مٰا تُعْلِنُونَ [۲۶] اَللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الـذی لا یقاس به عرش بلقیس و سائر السـلاطین حتی نخضع لهم من دونه،و لا بسائر المخلوقات کالشمس حتی نؤلهها و نتصورها ربّا.

هکذا کانت البدایه للقاء حضارتین(حضاره عربیه و أخری عبریه).

دروس من القصه:

۱-ان الإنسان قـد یتقـدم و یتکامل فی حیاته الی درجه معرفه منطق الطیر، و الاسـتفاده منه،و هـذا یعنی اننا من أجل الوصول الی حضاره انسانیه متکامله فی المستقبل یجب أن نسعی للاستفاده من الأحیاء و الطبیعه من حولنا الی أقصی حد.

۲-ان الانضباط ضـروره و لا سـیما بالنسـبه للجندی فی الخط العسکری الا ان للمبادره أهمیتها أیضا،فاذا بادر الجندی الی مهمه ناجحه فعلی القائد أن یکرمه حتی لا تموت روح المبادره عند الجیش.

۳-ان الطیور کما البشر یعرفون الطریق الی اللّه،لذلک عرف الهدهد أن عباده الشمس انحراف و ضلال.

[سوره النمل (۲۷): الآیات ۲۷ الی ۳۴]

اشاره

قالَ سَنَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكاذِبِينَ (۲۷) اِذْهَبْ بِكِتابِي هذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ ما ذا يَرْجِعُونَ (۲۸) قالَتْ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ (۲۹) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (۳۰) أَلاّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَ أْتُونِي مُسْلِمِينَ (۳۱) قالَتْ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي ما كُنْتُ قاطِعَةً أَمْراً حَتّى تَشْهَدُونِ (۳۲) قالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَ أُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَ الْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي ما ذا تَأْمُرِينَ (۳۳) قالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها وَ جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً وَ كَذلِكَ يَفْعَلُونَ (۳۴)

اللغه

۳۲[قاطعه]:ممضیه أمرا.

أَلاّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَ أْتُونِي مُسْلِمِينَ

هدى من الآيات:

لقد ساعد غياب الهدهد على التقاء حضارتين عظيمتين فى زمانهما،و هما الحضاره العبريه و يمثّلها سليمان عليه السلام و هى الحضاره الالهيه التى تستمد قيمها من الوحى،و الحضاره العربيه و تمثلها بلقيس،و هى الحضاره الارضيه التى تستمد قيمها من عقل الإنسان حينا،و شهواته فى الأغلب.

و كما ان جوهر رساله اللّه يختلف عن واقع الثقافه الارضيه-حسبما ذكّرتنا به سوره الشعراء-فان سلوكيات الرسل و شخصياتهم تختلف عن شخصيات و سلوكيات أصحاب ثقافه الأرض،فمع ان سليمان عليه السلام كان ملكا و من عاده الملوك الاستعلاء و الفساد استجابه لاغراءات الملك،الا انه كان ملكا صالحا مترفّعا عن كل الرذائل،و هكذا يكون الملك حين يتّصل بالرساله الالهيه مثالا ساميا للسلوك الفاضل،و ان دلّ هذا على شىء فانما يدل على ان قدره الرساله تفوق الظروف،و ان الروح المعنويه التى تبعثها فى كيان الفرد،تجعله فوق المتغيّرات و المؤثرات السلبيه فى

الحیاه،و ان شئت فقل فوق ما یسمی بالحتمیات العلمیه.

فلو نظرت الی مصادر علم الاجتماع لوجدت قائمه من الحتمیات الاجتماعیه، و هکذا تجد أمثالها فی علم النفس و التاریخ،و لکن قد یأتی إنسان ما فیتجاوز هذه الحتمیات المدّعاه،و یحدث فی مجتمعه تغییرا یبدّل مجری التاریخ،و یخلق تیارا معاکسا لواقع المجتمع دون ان یخضع للمسیره التاریخیه-حسب نظریه مارکس- فبرغم انتمائه الطبقی و العائلی الا انه یصیر شیئا آخر تماما،و هذه من میزات النور الالهی الذی ینفذ فی قلوب الصادقین من عباد اللّه،و یضرب لنا اللّه مثلا بسلیمان علیه السلام .

لقد عامل سلیمان الهدهد-و هو طائر یعمل فی خدمته-معامله کریمه،حیث لم یعاقبه،بل منحه فرصه کی یکتشف مدی صحه ما جاء به،فکتب رساله و سلمها له،و أخذها الهدهد و ألقاها علی عرش ملکه سبأ،فلما بصرت بها امتلکها العجب.

فشهره سلیمان علیه السلام کانت قد سبقت رسالته إلیها،و کانت بلقیس علی علم بما یجری فی البلاد الاخری،و هی تدری بأن بلاد فلسطین و بلاد الشام یحکمها ملک کریم،و علی أثر استلامها کتاب سلیمان جمعت أعضاء مجلسها الاستشاری، و الذی کان حسب قول بعض المفسرین یضم(۳۱۳)رجلا،و أخبرتهم بأنها استلمت رساله کریمه مختومه بخاتم سلیمان،و فی داخلها أوامر حکیمه و رشیده، فیها دعوه للخضوع لملکه و سیطرته،و لکنه لا یفعل ذلک من أجل فرض سیطرته و هیمنته،و من أجل ضمّ ملکها الی ملکه،و إنّما لنشر رایه الحق و العداله الالهیه.

ثم طلبت بلقیس من مجلسها أن یشیر علیها بما یجب ان تفعله فی أمر خطیر کهذا، فترک المجلس المسأله إلیها،و أبدوا استعدادا لتنفیذ کل ما تقرره و تأمر به،فکان

القرار النهائی لبلقیس الاستسلام لسلیمان،لأنها عرفت أنه أکثر نفوذا و قوه منها، و انها ان لم تشتر استقلال بلادها بالتعاون مع سلیمان،فانه و جنوده سیدخلونها عنوه و یؤدی ذلک الی خرابها و دمارها.

و القرآن الحکیم لا یبیّن لنا الاحداث التاریخیه لمجرد العلم أو التسلیه بها،و إنما یبینها للاعتبار و الاتعاظ،کما أنّه لا یحتوی علی لغو و عبث،إذا فعلی کل جیل ان یستفید منه بما یتناسب و قدرته للاستیعاب.

و نستفید من القصه ان أفضل حکومه تقوم بین الناس هی الحکومه التی تجمع بین المشوره فی الرأی و الحزم فی القرار،ذلک لان الذی یحرک العالم أمران:العلم و الاراده.فیجب علی المرء ان یعرف الطریق ثم یقرر المضی فیه،إذ قد یکون القرار خاطئا و مهلکا بدون علم،و القرار الذی لا إراده معه سیکون هشّا،و السلطه یجب ان تکون مجسّده لهذین العاملین الأساسین لحرکه التاریخ.

ان الحکومات النیابیه التی یضیع فیها القرار بسبب اختلاف الإفراد لا تفرز قرارات حازمه،و أما الحکومات المستبده فالحزم موجود فی قراراتها الا انها ینقصها الرأی الصائب أو القرار العلمی،لأن الفکر الواحد لا یستطیع استیعاب المزید من المعارف و التجارب،و أما الحکومات التی تبقی فیها القرارات لأعلی سلطه ای للفرد الذی یمسک زمام الأمور بیده،و لکنه لا یتخذ القرار الا بعد ان یستشیر مجموعه من الناس،سواء کانت هذه المجموعه من الخبراء أو المستشارین أو النواب،فانها تکون أقرب الی الصواب،لأن هذا النوع من الحکومات یجمع بین علم المشوره و حزم القرار،و یتضح هذا النوع من الحکومات فی الآیه الکریمه التی تقول: وَ شاوِرْهُمْ فِی الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَکَّلْ عَلَی اللّهِ (۱)

۱- ۱) آل عمران/(۱۵۹).

إذ يخاطب اللّه رسوله مرشدا إياه الى مشاوره المسلمين فى أموره،على أن يبقى القرار حقا خاصا به.

و نستوحى سلامه هذا النوع من الحكم من خلال قصه بلقيس حيث شاورت الملأ من قومها و استشارتهم بقولها:«افتونى»ففعلوا و لكنهم-بدورهم-خوّلوها حق القرار النهائى،و هذه نقطه مهمه فى الحكم.ان بلقيس لم تكن لتفرض عليهم سيطرتها،بل هم الذين خولوها حق القرار،و من طرائف الحكم الاسلامى و لطائفه ان الناس بأنفسهم،و بملىء إرادتهم،و كامل حريتهم يخوّلون شخصا حق القرار النهائى،و ذلك عبر ولايه الفقيه،فالفقيه الحاكم و القاضى ولىّ أمرهم بإذن اللّه، و هو منتخب من قبل الناس بطريقه الانتخابات الاسلاميه،و يخوّل حق اتخاذ القرار،فيسلم له الناس نفسيا قبل ان يتبعوه عمليا.

و بالرغم من ان حكومه بلقيس كانت من أفضل أنواع السلطه الا انها حيث كانت بعيده عن روح الايمان و هدى الرساله فقد كانت منحرفه فاسده،فسلامه القوانين،و صحه الانظمه،و حتى سلامه تطبيقها لا تدل على ان البشريه تصل بها الى شاطئ السعاده و السلام،انما القوانين بمثابه جسد يحتاج الى روح،و روحها هدى اللّه،فعلى الرغم من ان حضاره العرب فى مملكه سبأ كانت جيده،و قوتهم كبيره،الا انهم فقدوا الصله باللّه،فعبدوا الشمس من دونه،و لأنهم فقدوا روح الايمان اضطروا للخضوع الى سلطان يملك تلك الروح الايمانيه.

و الفرق بين بلقيس و سليمان لم يكن سلامه الانظمه أو عدم سلامتها،و صحه القوانين أو عدم صحتها،انما كان فى الجانب الغيبى(الايمان باللّه)و حينما كانت بلقيس خلوّا من هذا الجانب اضطرت الى الخضوع لسليمان و هذا هو قانون الحياه، فلو كان هناك حاكم يملك الجانب الايمانى للقوه و هى التوكل على اللّه و آخر لا

يملكه،و كانا متساويين فى سائر الأمور فان الاول هو الذى سينتصر بإذن اللّه.

إذا نحن بحاجه من بعد المشوره(العلم)و العزم(الحزم)إلى قوه أخرى لانشاء حكومه مثاليه،و هى قوه التوكل على اللّه.

بينات من الآيات:

[۲۷] قالَ سَنَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكاذِبِينَ أى سنستكشف صحه ما تقول عن طريق الأمر المخوّل إليك.

[۲۸] اِذْهَبْ بِكِتابِی هٰذا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ كلّف سليمان الهدهد بمهمتين حين بعثه بالكتاب:أولاهما:إيصال الرساله، و ثانيهما:التجسس.

فَانْظُرْ ما ذا يَرْجِعُونَ لمعرفه ردّ فعلهم تجاه الرساله.

و بالفعل أخذ الهدهد الرساله و طار بها،و لما وصل وجد بلقيس نائمه،فوضعها على نحرها،فانتبهت و قرأتها،و فى الحال دعت المستشارين للاجتماع بسرعه.

[۲۹] قالَتْ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّی أُلْقِیَ إِلَیَّ كِتابٌ كَرِيمٌ الملأ:الاشراف،قالت لهم:لقد وصلنى كتاب كريم يدل على أنّ مرسله رجل عظيم،و أنّ فى الكتاب كرامه،ثم قرأته عليهم:

[۳۰] إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

و يبدو ان شروط الرساله الكريمه قد اجتمعت فى كتاب سليمان لبلقيس،أو ليس كتاب المرء رسول عقله؟! لقد افتتح الكتاب باسم اللّه الرحمن الرحيم مما عكس روح التوحيد،و معانى العطف و الرحمه عند صاحب الكتاب،و قد كان من سليمان ذلك الذى طبقت شهرته الطيبه الافاق،و كان مختوما،و قد حمله طير السعد من الفضاء،و وضعه بهدوء على نحرها،مما دل على مزيد من الاحترام لها.

[٣١] أَلاّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَ أْتُونِى مُسْلِمِينَ لا تحاولوا ان تحاربونى،انما تعالوا مسلمين.و لا ريب ان كتابا بهذا الإيجاز و الأسلوب يحمل فى طيّاته الوعيد.

[٣٢] قالَتْ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى أَمْرِى افتونى:اى طلبت منهم الفتيا،و هى فى الواقع حكم نابع من القواعد و الأصول العامه التى يلتزم بها،فلو طبّقنا القاعده المسمّاه بقاعده البراءه الفقهيه على حادثه معينه أو على حكم خاص فإنّا نسمّى هذا التطبيق بالفتوى،و ملكه سبأ طلبت من الملأ المستشارين البتّ فى المسأله وفق القواعد و التقاليد و الأفكار السائده،و تطبيق تلك القيم على واقع الحياه.

ما كُنْتُ قاطِعَةً أَمْراً حَتّى تَشْهَدُونِ إننى لا أستطيع أنّ أتخذ قرارا حازما و قطعيّا،ما لم تكونوا شهودا معى فى اتخاذه.انها كانت تتخذ القرار بعد ان تستفتيهم و تشهدهم عليه.

[٣٣] قالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّهٍ وَ أُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ

نحن نملك القوه و الاراده للمقاومه،و هاتان هما الصفتان اللتان يجب توفرهما فى الأمه،يقول ربنا سبحانه و تعالى: وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّهٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ . (۱)

ان القوه التى لا ينتفع بها فى إنجاز عمل ما لا تنفع شيئا،و ان القوه بدون الاستعداد الفعلى للحرب تظل عقيمه،هناك مليارد إنسان مسلم يلتزمون ظاهرا بواجب الجهاد فى العالم،و لكن حينما تعتدى إسرائيل على المسلمين لا نحشد القوه لمواجهتها لاننا نعانى من عدم الاستعداد.

وَ الْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِى ما ذا تَأْمُرِينَ الرأى رأيك،و الأمر إليك.إنك لا تحكمين بالهوى،و لكن فكّرى جيدا ثم أمرى.

[۳۴] قالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَهً أَفْسَدُوها وَ جَعَلُوا أَعِزَّهَ أَهْلِها أَذِلَّهً لقد عبّرت عن وجهه نظرها فى الأمر قائله:لو ذهبنا الى مملكه سليمان لسلمت بلادنا منهم،و لكن لو جاءنا بجنوده لدمرت بلادنا تحت سنابك خيلهم،ذلك ان الملوك حينما يدخلون بلادا ما يحاولون الاستفاده من خيراتها،و بذلك يستنزفون مواردها لمصلحتهم فتخرب،فصاحب الأرض و أبناء البلاد بطبعهم يحرصون على موارد بلادهم و خيراتها،و يحزّ فى أنفسهم ان يروا خيرات بلادهم نهبا للأجنبى المستغل،فالفلاح-مثلا-يحافظ على أرضه،و يهتم بها،و لا ينهكها بالزراعه، فيزرعها سنه و يتركها فى السنه التى تليها لتستعيد التربه قوتها و خصوبتها،و حين

۱- ۲) الأنفال/(۶۰).

يزرع الأرض يحتفظ بقسم من الحنطه-مثلا-كبذور،و يشترى بقسم منها سمادا للأرض،و هذا هو الأسلوب المعتاد،و لكن حين يغزو الاجنبى البلاد ينتزع كلّ الحنطه،و يترك الأرض يبابا،غير قابله للإنتاج حتى و لو بعد عشر سنين.

إذا لو ابتعدنا عن قوى الشرق و الغرب لاستطعنا ان نخطط لأنفسنا تخطيطا سليما،فنستخرج من النفط بقدر ما يحتاجه بلدنا من نفقات،فنخصص قسما من الموارد التى تدرّها علينا الصادرات النفطيه للزراعه،و آخر للصناعه و عماره الأرض، و قسما للمواصلات و لسائر نفقات البلاد،و لكن حينما تكون مواردنا البترولیه مرتبطه بالغرب و الشرق فلن نحصل منها على شىء،لان هذه الموارد تذهب الى خزائن الأموال الاجنبيه لتصدر لنا السلاح و السلع،و منتجاتها الى ان تغرق الأسواق،بالاضافه الى امتصاصها ما نحصل عليه من أتعاب.

إنّ نفقات التسليح تفرض علينا فرضا،و السلع الكماليه و أسباب الإفساد تغزو بلادنا و أسواقها،لان الاجنبى لا تهمه مصلحه البلد و شعبه،و لهذا فهو يفسد أهل البلاد و أرضها،فمزارع القطن فى مصر دمرت من قبل المستعمرين،و الإصلاح الزراعى الاستعمارى فى إيران فى زمن الشاه المقبور جعل من إيران-المكتفيه زراعيا و التى كانت تصدر منتوجاتها الزراعيه و الصناعيه-بلدا بلا زراعه،و تحوّلت من دوله مصدّره الى دوله تستورد كافه المحاصيل الزراعيه الاستهلاكيه من الخارج، بعكس ما يحصل الآن بعد ان تحرّرت إيران على يد القياده الرشيده و الجماهير المستضعفه.

و لطالما سعى المستعمرون فى سبيل إفساد المجتمع عن طريق أفراد المجتمع ذاته، و ذلك بأن يبحثوا عن مجموعه من المنبوذين بسبب ابتعادهم عن قيم المجتمع، فيستخدمونهم لبث الفرقه و الفساد بين أبناء الشعب الواحد،و لو بحثت عن أصول

الأسر الحاكمه لوجدت أنهم ينتمون الى أسوأ و أحط الأسر و العشائر،فالمستعمرون يبحثون عن هؤلاء تحت كل حجر و مدر،و يحكّمونهم فى رقاب أبناء البلد.

إنّهم لا يبحثون عن الشرفاء،لان الشريف لا يرضى ان يسلّم مقادير بلده للأجنبى،و يرفض التعاون معه،و لا يستسيغ رؤيه بلاده و قد نهبت من قبل الغربيين و الشرقيين.

و لو خرج الاجنبى من البلاد فسيحكمها أبناؤها الملتزمون بالقيم الاسلاميه، و يتحوّل المجتمع الى مجتمع ملتزم بالإسلام و أحكامه،و شرائعه،و أخلاقياته، و بالتالى يصبح مجتمع الفضيله،و لكن الاجنبى يفعل العكس،و كما يقول القرآن الحكيم: «وَ جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً» .

حينما دخل البريطانيون العراق مستعمرين نشر إعلان فى النجف الأشرف بأنّ الحكومه الاستعماريه بحاجه الى شرطه،و يجب ان يكون عمر من يتقدم الى الخدمه فى الشرطه بين الثامنه عشره و الخامسه و الثلاثين من العمر،فاجتمع بعض الناس ممن كانوا بحاجه الى العمل،و لمّا رأى الحاكم البريطانى كثره من جاء فى طلب العمل فى سلك الشرطه،و لم تكن الحكومه المستعمره بحاجه الى أكثر من عشره، قام الحاكم فيهم خطيبا،و قال لهم:إننى لست بحاجه إليكم،و لكن لو كان فيكم عدد من أولاد الزنا فليبقوا،فأخذ كلّ واحد من الحاضرين ينظر الى صاحبه، ثم تفرّق الجميع الاّ عده قليله ممن لفظهم المجتمع،و ممّن لا يأثم لو نسب الى الزنا، و ربما لم يكونوا أبناء زنا،و لكنهم كانوا سفله،لا تهمهم التضحيه بشرفهم ليصبحوا خدما للاجنبى،و الشريف لا يرضى أن يكون شرطيّا يخدم الاجنبى ضد أبناء وطنه،و لا يرضى التضحيه بقيم مجتمعه.

وَ كَذٰلِکَ يَفْعَلُونَ و فی هذا المقطع من الآیه تأکید من قبل اللّه علی الحقیقه التی طرحتها بلقیس عن الملوک.

ص:۱۸۵

[سوره النمل (۲۷): الآیات ۳۵ الی ۴۴]

اشاره

وَ إِنِّی مُرْسِلَهٌ إِلَیْهِمْ بِهَدِیَّهٍ فَنَاظِرَهٌ بِمَ یَرْجِعُ اَلْمُرْسَلُونَ (۳۵) فَلَمّا جاءَ سُلَیْمانَ قالَ أَ تُمِدُّونَنِ بِمالٍ فَما آتانِیَ اَللّهُ خَیْرٌ مِمّا آتاکُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِیَّتِکُمْ تَفْرَحُونَ (۳۶) اِرْجِعْ إِلَیْهِمْ فَلَنَأْتِیَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِها وَ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْها أَذِلَّهً وَ هُمْ صاغِرُونَ (۳۷) قالَ یا أَیُّهَا اَلْمَلَؤُا أَیُّکُمْ یَأْتِینِی بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ یَأْتُونِی مُسْلِمِینَ (۳۸) قالَ عِفْرِیتٌ مِنَ اَلْجِنِّ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِکَ وَ إِنِّی عَلَیْهِ لَقَوِیٌّ أَمِینٌ (۳۹) قالَ اَلَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ اَلْکِتابِ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ فَلَمّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هٰذا مِنْ فَضْلِ رَبِّی لِیَبْلُوَنِی أَ أَشْکُرُ أَمْ أَکْفُرُ وَ مَنْ شَکَرَ فَإِنَّما یَشْکُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ کَفَرَ فَإِنَّ رَبِّی غَنِیٌّ کَرِیمٌ (۴۰) قالَ نَکِّرُوا لَها عَرْشَها نَنْظُرْ أَ تَهْتَدِی أَمْ تَکُونُ مِنَ اَلَّذِینَ لا یَهْتَدُونَ (۴۱) فَلَمّا جاءَتْ قِیلَ أَ هٰکَذا عَرْشُکِ قالَتْ کَأَنَّهُ هُوَ وَ أُوتِینَا اَلْعِلْمَ مِنْ قَبْلِها وَ کُنّا مُسْلِمِینَ (۴۲) وَ صَدَّها ما کانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اَللّهِ إِنَّها کانَتْ مِنْ قَوْمٍ کافِرِینَ (۴۳) قِیلَ لَهَا اُدْخُلِی اَلصَّرْحَ فَلَمّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّهً وَ کَشَفَتْ عَنْ ساقَیْها قالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوارِیرَ قالَتْ رَبِّ إِنِّی ظَلَمْتُ نَفْسِی وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَیْمانَ لِلّهِ رَبِّ اَلْعالَمِینَ (۴۴)

وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمٰانَ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ

هدى من الآيات:

بعد ان استشارت بلقيس قومها فى أمر الرساله التى جاء بها الهدهد، قالوا:إنّنا أولوا بأس و قوه،و مستعدّون للحرب،لكنّها قالت:إنّنا سنشترى رضى سليمان بالهدايا الثمينه،فان كان من الذين تستهويهم الدنيا قبل،و ان لم يكن كذلك و كان نبيّا فالأمر يختلف،و لا مجال لدينا يومئذ لمعارضته.

و الذى نستفيده من هذه العمليه-حين بعثت بلقيس بالهدايا-ان من عقل هذه الملكه-و اعقل الناس من جمع عقول الناس الى عقله-انها لم تحزم فى القرار بالحرب أو السلم،انما تركت لنفسها فرصه-حتى يعود الرسول-تفكّر فيها، حتى لو اتخذت قرارا يكون قرارها سليما،و هكذا فان القرار الناجح هو الذى يتخذه صاحبه بعد توافر كل مكوناته:(المعلومات و الخبرات و التفكير السليم).

و هكذا تحرك رسول بلقيس حتى وصل الى سليمان،فلمّا سلّمه الهدايا

استصغرها و استصغرهم أيضا،و لمّا عاد الرسول الى بلقيس و أخبرها بما جرى عرفت أنّ سليمان ليس كسائر الملوك،و لمّا كان الرسول يحمل تهديدا بالزحف نحو مملكتها إن لم تأت بلقيس و قومها مسلمين،جمعت أمرها على المسير الى سليمان، و قبل أن تتحرك من اليمن كان سليمان يبحث عمن يأتيه بعرشها الذى يبلغ(۲۵) ذراعا طولا و عرضا و ارتفاعا و كان ذهبا،فقام عفريت من الجن و قال: أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ ،فقام(آصف بن برخيا)وصىّ سليمان،و كان عنده علم الاسم الأعظم،فقال:انا آتيك بعرشها قبل ان يرتدّ إليك طرفك،فأمره سليمان بذلك،فرأى العرش أمامه فى لحظه،و آنئذ أمر سليمان بإجراء تغيير بسيط فيه، و ذلك بأن تجعل مقدمته فضه بدل الذهب،و سأل بلقيس ان كان هذا عرشها، فنظرت اليه نظره تفكّر،ثم قالت:كأنه هو،و تدلّ إجابتها على رجاحه عقلها،إذ تعرّفت على عرشها رغم تنكيره،و لم تتعجب من انتقاله من تلك المسافه البعيده الى قصر سليمان،و لكن الذى أثار دهشتها،أنّ عرشها كان فى سبعه أروقه متداخله، و كلها مغلقه،و يحيطها الخدم،و الجيش،و لم يكن قد طرأ تغيير فى ملكها سوى انتقالها هى الى مملكه سليمان عليه السلام فكيف انتقل عرشها؟!فعرفت أنّه انتقل بقدره قادر عظيم.

إنّ هدف سليمان من إحضار العرش هو تذكير بلقيس بأن معرفتها لم تنفعها، و إنّ قوتها ليست بكبيره،و ان ما بنته ليس سوى نسج للعنكبوت،لأنه لا يستند على قوه الإيمان،و لكنها لم تفهم المغزى إذ كانت تفقد بصيره الايمان التى تهديها الى بواطن الأمور-كما هو حال الكثير من المثقفين فى عالم اليوم-و لكى يختبرها و يعرفها على الحقيقه أكثر أمر سليمان بأن يوضع عرشه فى مكان ما،و أجرى بين عرشه و الباب ماء،و وضع على الماء جسرا من الزجاج،جعل تحته بعض الأسماك،و الأحياء المائيه،ثم أمر بإدخال بلقيس،فلمّا فوجئت بالماء،ظنّت أنّ

سليمان يريد إهلاكها غرقا،لكنها قررت اقتحام اللجّه،فكشفت عن ساقيها تهيؤا للعبور،و إذا بها تصطكان بجسر الزجاج،الأمر الذى جعلها تنتبه الى أنها لا تملك علما بكل شىء،و أنّ كبرياءها خادع و مزيّف،و أنّها من الناحيه العقائديه على خطأ،فأسلمت مع سليمان للّه رب العالمين.

بينات من الآيات:

[۳۵] وَ إِنِّی مُرْسِلَهٌ إِلَیْهِمْ بِهَدِیَّهٍ فَناظِرَهٌ بِمَ یَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ قالت:اننى سأرسل الى سليمان و حاشيته بهديه،و انتظر ردّ الموفدين.

[۳۶] فَلَمّا جاءَ سُلَیْمانَ قالَ أَ تُمِدُّونَنِ بِمالٍ فَما آتانِیَ اللّهُ خَیْرٌ مِمّا آتاکُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِیَّتِکُمْ تَفْرَحُونَ و عند ما وصل المرسلون الى سليمان و قدموا هداياهم لم يأبه بها،و قال لهم:

إنّكم تريدون ان تغرونى بالمال،و أنا لست بحاجه إليه،فاللّه منحنى من الملك و المال ما هو خير من هديتكم التى لا قيمه لها.إنّ المال لا يفرحنى و لا يسرّنى، و لكنّكم أنتم الذين تفرحون بالمال،لأنكم عبيد الدنيا،و متاع الدنيا لا قيمه له عندى،و إنما يفرح بالمال من اتخذه هدفا و غايه و معبودا.

بلى.إنّه لم يغترّ بزخارف زينه الحياه الدنيا،و فدى نفسه من أسرها،و لهذا فقد استصغر إغراءات الملكه و تابعيها لسببين:

۱-فما يملكه أفضل من هدايا بلقيس بكثير،إذ أعطى ملكا لا ينبغى لأحد من بعده،و لم يبلغه أحد قبله.

۲-و لأنّه لم يكن يبحث عن الملك،بل كان يسعى لنشر الرساله و الوعى،

لذلک أجابهم:بأنکم أنتم الذین تفرحون بالهدیّه،أمّا نحن فلا نفرح بالدنیا و ما فیها، و إنّما هدفنا نشر الرساله،و إقامه الحق.

[۳۷] اِرْجِعْ إِلَیْهِمْ فَلَنَأْتِیَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاَ قِبَلَ لَهُمْ بِهَا لم تکن غایه سلیمان المال،و إنّما کانت غایته إرشاد الضّالین إلی الطریق الصحیح،فلذلک أمر رئیس الوفد البلقیسی بالعوده إلی ملکته،و هدّدهم بالحرب، و تسییر جیش جرّار إلی بلادهم لا یستطیعون مقاومته.

وَ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّهً وَ هُمْ صَاغِرُونَ و نخرجهم من أرضهم و هم مهانون و محقّرون،و هنا لک فارق کبیر بین بلد یفتح عنوه فیمتلکه الفاتحون بقیمه الدم الذی أراقوه،و بین بلد یصطلح أهله علیه،حینئذ تترک البلاد بید أهلها فیتمتعون بحریتهم و کرامتهم أیضا.

هکذا عرفت بلقیس أنّ علیها أن تسیر الی سلیمان طوعا قبل ان تساق إلیه کرها،فلمّا حزمت حقائبها،و علم سلیمان ذلک طلب ممن حوله إحضار عرشها.

[۳۸] قَالَ یَا أَیُّهَا الْمَلَؤُا أَیُّکُمْ یَأْتِینِی بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ یَأْتُونِی مُسْلِمِینَ ثم التفت الی من بحضرته من حاشیته،طالبا أن یتبرع أحدهم بإحضار عرش بلقیس قبل أن تأتی مستسلمه مع جماعتها.

[۳۹] قَالَ عِفْرِیتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِکَ وَ إِنِّی عَلَیْهِ لَقَوِیٌّ أَمِینٌ

قال جنّیّ قوی بأنه یستطیع أن یحمل عرش بلقیس إلیه قبل أن ینقضی مجلسه، الذی اعتاد أن یجلسه للقضاء بین الناس،أی فی غضون ساعات،و إنه سیأتی بالعرش بعظمته دون أن یسرق من مجوهراته و زینته شیئا.

کیف یقتدر الجنّ علی حمل هذا العرش العظیم خلال ساعات من الیمن إلی فلسطین؟!هذا مما لم یتعرض له السیاق القرآنی،و لعلّ الأمثل بنا أن نترکه بعد أن نؤمن به إجمالا لعدم وجود ما یدلّنا علی استحالته.

[۴۰] قالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْکِتابِ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ و قال الذی عنده علم من الکتاب-و الکتاب هنا اللوح المحفوظ عند اللّه سبحانه-بأنه سیحضره قبل طرفه عین واحده،و أحضره فی الحال باسم اللّه الأعظم،

و جاء فی حدیث مأثور عن الامام الباقر علیه السلام-انه قال:

«إنّ آصف بن برخیا قال لسلیمان علیه السلام :مدّ عینیک حتی ینتهی طرفک،فمدّ عینیه فنظر نحو الیمن،و دعا آصف فغار العرش فی مکانه بمأرب،ثم نبع عند مجلس سلیمان بالشام بقدره اللّه قبل أن یردّ طرفه » (۱)و یبقی سؤال:هل کان سلیمان أعلم أم وزیره آصف بن برخیا؟و یجیب عن ذلک الإمام الهادی علیه السلام فی الحدیث التالی:

روی العیّاشی فی تفسیره قال: التقی موسی بن محمد بن علی بن موسی،و یحیی بن أکثم فسأله،قال:فدخلت علی أخی علی بن محمد علیهما السلام-إذ دار-

---

۱- ۱) نور الثقلین/ج(۴)/ص(۸۷).

بینی و بینه من المواعظ حتی انتهیت إلی طاعته، فقلت له:جعلت فداک إنّ ابن أکثم سألنی عن مسائل أفتیه فیها،فضحک ثم قال:هل أفتیته فیها؟قلت:لا، قال:و لم؟قلت:لم أعرفها،قال هو:ما هی؟قلت:قال:أخبرنی عن سلیمان أ کان محتاجا إلی علم آصف بن برخیا؟ثم ذکرت المسائل قال:

أکتب یا أخی:بسم اللّه الرحمن الرحیم،سألت عن قول اللّه تعالی فی کتابه: «قالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْکِتابِ» فهو آصف بن برخیا،و لم یعجز سلیمان عن معونه ما عرف آصف،لکنّه-صلوات اللّه علیه-أحبّ أن یعرف من الجن و الانس أنه الحجّه من بعده،و ذلک من علم سلیمان أودعه آصف بأمر اللّه،ففهّمه اللّه ذلک لئلا یختلف فی إمامته و دلالته،کما فهم سلیمان فی حیوه داود،و لتعرف إمامته و نبوته من بعده لتأکید الحجه علی الخلق (۱)بلی.إنّ سلیمان علیه السلام اختار آصف بن برخیا للقیام بذلک الدور من أجل أن یبیّن للناس أنّه الوصی من بعده،و حین نقرأ تاریخ الأنبیاء علیه السلام نجد أنّهم یختارون مواقف معینه یظهرون فیها أوصیاءهم،حتی یکون واضحا عند الناس من هو الخلیفه من بعدهم،و هکذا لا یرحلون إلّا بعد أن یجعلوا لمستقبل الرساله ضمانا.

و نستوحی من سوره النمل بأن الملک یقوم علی ثلاثه أرکان هی:العلم،و أعلی مراتبه أن یستفید الإنسان من خبرات الآخرین و عقولهم «وَ شاوِرْهُمْ فِی الْأَمْرِ» و الحزم «فَإِذا عَزَمْتَ» و التوکل «فَتَوَکَّلْ عَلَی اللّهِ» و لقد اجتمع لسلیمان علیه السلام الملک و القوه و الطاعه من رعیته،و کان فی جنده من یستطیع أن یحمل عرشا کعرش بلقیس،و یأتی به من بلد بعید کالیمن-خلال طرفه عین- و لکن ذلک کله لم یکن أساسا حقیقیا لملکه،بل ان القوه الحقیقیه التی استند علیها هی الأمداد

۱- ۲) المصدر ص(۹۱).

الغیبی من اللّه،قال تعالی: وَ إِنْ یُرِیدُوا أَنْ یَخْدَعُوکَ فَإِنَّ حَسْبَکَ اللّهُ هُوَ الَّذِی أَیَّدَکَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِینَ (۱)و الملاحظ أنّ القرآن قدّم نصر اللّه علی عون المؤمنین، لأنّ الاوّل هو الأهم.

و نحن حین نبدأ بأیّ عمل ترانا نستعین ببسم اللّه الرحمن الرحیم،و سلیمان بدوره استعان بقدره اللّه و قوته-حین أرسل کتابه الی بلقیس-إذ قال: «إِنَّهُ مِنْ سُلَیْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ» لیبین لها أنّ سلطانه لیس مادیا،و هکذا نجد نوحا یخاطب أصحابه قائلا: «ارْکَبُوا فِیها بِسْمِ اللّهِ مَجْراها وَ مُرْساها» (۲)لأنّ کل شیء لا یتم إلّا باسم اللّه،و لو لا اسم اللّه لم یستطع آصف بن برخیا إحضار عرش بلقیس فی لحظه من الیمن الی أرض فلسطین.

فَلَمّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّی لِیَبْلُوَنِی أَ أَشْکُرُ أَمْ أَکْفُرُ فلما رأی سلیمان عرش بلقیس أمامه،قال:إنّ إحضار العرش لم یتم بقوّه ماديّه أو أرضیّه،ثم إنّ نعم اللّه علی المرء لیست دلیلا علی سلامه النیه بل إنّها ابتلاء،فسلامه الجسم و الغنی و الأمان کلّها نعم للابتلاء،و اختبار الإراده، و الفتنه،فلا ینبغی للمرء أن یغترّ بها،إنما یجب أن یؤدّی حقّها بشکرها.

وَ مَنْ شَکَرَ فَإِنَّما یَشْکُرُ لِنَفْسِهِ و من شکر نعم اللّه،فإنّ فائده الشکر تعود علیه.

وَ مَنْ کَفَرَ فَإِنَّ رَبِّی غَنِیٌّ کَرِیمٌ

۱- ۳) الأنفال/(۶۲).

۲- ۴) هود/(۴۱).

فلو أنّ جميع العالم كفر باللّه،فإنّه لا يضرّه من كفرهم شيئا،و تبقى رحمته تسعهم،و يظل يلطف بالكافرين،و يعطيهم الفرصه بعد الأخرى،لأنّ رحمته وسعت كل شيء.

[۴۱] قالَ نَكِّرُوا لَها عَرْشَها نَنْظُرْ أَ تَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ أى غيّروا شكل عرشها و مظهره حتى يبدو مختلفا لنختبر عقلها،و نتعرف على طبيعتها،و نهديها الى الحق و الرساله.

[۴۲] فَلَمّا جاءَتْ قِيلَ أَ هكَذا عَرْشُكِ قالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَ أُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِها وَ كُنّا مُسْلِمِينَ و عند ما جاء بلقيس سئلت عن السرير الذى أتى به آصف بن برخيا،و هل أنّه يشبه سرير ملكها،فقالت:كأنه هو بعينه،ثم يقول سليمان عليه السلام :أنه تفوّق على هذه المرأه بدرجتين:العلم و هى خلوّ منه،و الإيمان و هى تفقده،و أساس الملك هو العلم المقرون بالإيمان.

[۴۳] وَ صَدَّها ما كانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنَّها كانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرِينَ إنّ بلقيس كانت و ثتيّه على دين آبائها و قومها،و لذلك عبدت الشمس و النجوم،و لم تعبد اللّه الذى خلقهنّ،و ضربت تلك العباده الخاطئه بينها و بين العلم حجابا منعها عن معرفه اللّه التى هى أوّل العلم.

[۴۴] قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَ كَشَفَتْ عَنْ ساقَيْها

الصرح:القصر الكبير الواسع،حسبته لجه:أى مياه عميقه،و رفعت ذيل ثيابها لئلا تبتلّ حين تخوض فيه.

قالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوارِيرَ ممرّد:مستوى،و هى لفظه مأخوذه من الأمرد،و الأمرد الذى ليس عليه شعر، و بلغت الأرض الزجاجيه حدا من الإستواء بحيث لا يبدو فيها أثر للتعرج،و يبدو أنّ الزجاج كان معروف الصناعه على عهد سليمان عليه السلام و كانت صناعته متقدمه كالكثير من الصناعات الأخرى.

قالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ و هنا عرفت بلقيس الحقيقه،و تبدّد الضباب الذى كان يلفّ عقلها و يحجبها عن رؤيه الحق و معرفته،و أخذت تنظر إلى الحياه بمنظار جديد ليس فيه مكان للكبرياء.

لماذا حدث هذا التحول التام الذى يشبه لحظه الاعتراف عند المجرمين بعد طول المراوغه؟ حينما يصطدم الإنسان بقضيه مّا كان يجهلها فإنّ هذه القضيه تثير عقله،فيبدأ بإعاده النظر فى أفكاره و معتقداته،و تؤدى إعاده النظر هذه الى انهيار النظام الفكرى الذى كان يعتمد عليه،فيتحرر عقله من الأغلال القديمه،و يأخذ بالتفكير من جديد حتى ينتهى الى الحقيقه..هكذا آمن السحره بموسى حين هزموا،و هذا ما حدث لبلقيس حين اصطدمت بما أعدّه لها سليمان من اختبار،حيث أخذت تجدد نظرتها للحياه،بعد أن وجدت أنّ نظرتها السابقه لها كانت غير صحيحه،فقررت

ان تتبنّى الفكر الصحيح الذى يستند على الإيمان باللّه،و نبذ عباده الأنداد،فآمنت و أسلمت وجهها للّه رب العالمين.

ص:۱۹۷

[سوره النمل (۲۷): الآیات ۴۵ الی ۵۳]

اشاره

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلی ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً أَنِ اُعْبُدُوا اَللّهَ فَإِذا هُمْ فَرِیقانِ یَخْتَصِمُونَ (۴۵) قالَ یا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّیِّئَهِ قَبْلَ اَلْحَسَنَهِ لَوْ لا تَسْتَغْفِرُونَ اَللّهَ لَعَلَّکُمْ تُرْحَمُونَ (۴۶) قالُوا اِطَّیَّرْنا بِکَ وَ بِمَنْ مَعَکَ قالَ طائِرُکُمْ عِنْدَ اَللّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (۴۷) وَ کانَ فِی اَلْمَدِینَهِ تِسْعَهُ رَهْطٍ یُفْسِدُونَ فِی اَلْأَرْضِ وَ لا یُصْلِحُونَ (۴۸) قالُوا تَقاسَمُوا بِاللّهِ لَنُبَیِّتَنَّهُ وَ أَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِیِّهِ ما شَهِدْنا مَهْلِکَ أَهْلِهِ وَ إِنّا لَصادِقُونَ (۴۹) وَ مَکَرُوا مَکْراً وَ مَکَرْنا مَکْراً وَ هُمْ لا یَشْعُرُونَ (۵۰) فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ مَکْرِهِمْ أَنّا دَمَّرْناهُمْ وَ قَوْمَهُمْ أَجْمَعِینَ (۵۱) فَتِلْکَ بُیُوتُهُمْ خاوِیَهً بِما ظَلَمُوا إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَهً لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ (۵۲) وَ أَنْجَیْنَا اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ کانُوا یَتَّقُونَ (۵۳)

اللغه

۴۷[اطیّرنا بک]:أی تشاءمنا منک.

أَنّا دَمَّرْنّاهُمْ وَ قَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ

هدى من الآيات:

لقد تحدّث القرآن الكريم فى سوره الشعراء السابقه عن قصه نبىّ اللّه صالح عليه السلام و قومه ثمود،و هنا يذكر تلك القصه مرّه أخرى و ظاهره التكرار واضحه فى القرآن، فمثلا قصه موسى عليه السلام مع فرعون ذكرت سبعين مرّه،و إنّما تتكرّر قصص الأنبياء فى القرآن حسب المناسبات،و فى كل مرّه بهدف متميّز يختلف عن المره السابقه، و الهدف العام من ذكر القصص هو بث الروح الإيمانيه فينا من خلال الحوار و الصراع الجارى بين الأنبياء و الجاهلين من قومهم،و تكرار الفكره ذاتها يفيد التذكره،لأنّ غفله الإنسان و شهواته لا تنفكّ تحجبه عن الحقيقه حينا بعد حين، و حينما لا يتذكر الإنسان يغفل،فتهجم عليه حجب الشّهوات لتحجب عقله،فهو بحاجه إلى التذكره باستمرار.

إِنَّ الصَّلاٰهَ تَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشّاءِ وَ الْمُنْكَرِ ،و الإنسان لا يكتفى بصلاه واحده فى اليوم و الليله،و إنّما يجب أن يصلّى خمس مرات فى اليوم ليمحى آثار الشهوات،

و لیرصد الشهوات الطارئه،و یطهّر قلبه من آثارها..و هکذا یستمر المرء یحارب بالصلاه حتی یختتم عمله و سلوکه بخیر.

و کلما ذکرنا القرآن باللّه سبحانه و برسالاته،و الصراع الأبدی بین الحق و الباطل،و الرساليين و الجاهليين،کلّما ضغطت علینا الظروف باتجاه تناسی ذلک الصراع،و جرّتنا نحو الغفله عما یجری فی أنفسنا و فی الساحه الاجتماعیه من صراع بین الکفر و الإیمان،و یکرّر الذکر الحکیم قصص المرسلین للتذکره بهذا الأمر.

أما الهدف الخاص من تکرار القصص القرآنیه فهو تبیان الفارق بین النور الالهی الهابط من عند اللّه باسم الرساله،و بین الثقافه الأرضیه الموغله فی وحل الشهوات و الأهواء.و بین هاتین الثقافتین فرق کبیر جدّا،و قد حدّد القرآن الکریم هذا الفرق عبر التمییز بین من یحمل هذا النور الإلهی،و بین من یتأثر بالثقافه الأرضیه،فبینما تجد الشعراء فی کل واد یهیمون،و أنهم یقولون ما لا یفعلون،تجد الأنبیاء علی نقیض مما یفعله الشعراء،یتحملون مسئولیتهم،و یتصدون للصراع.

و فی هذه السّوره یتابع السیاق تأکید و إیضاح الهدف ذاته،لیبیّن لنا أن رسل اللّه علی حق،و لکن یؤکد ذلک بعد صمود النبی أمام الإغراءات المادیّه،و الضغوط المختلفه،لذلک نجد سلیمان علیه السلام یصمد أمام الإغراءات المادیه و السلطویه للملک، فلا یعتدی و لا یتجاوز حتی علی حدود النمله و حقوقها،و من ناحیه أخری نجد أنّ صالحا-علیه السلام-الذی أرسل إلی ثمود یقاوم ضغط التهدید،فیتآمرون علی قتله،و هو منهم،و قوانین بلدهم لا تسمح لهم بذلک بأیّ شکل من الأشکال، فیخطّطون من أجل القضاء علیه علیه السلام بطریقه معیّنه،و هی أن تختار کل قبیله من القبائل التسع المتواجده فی مدینه حجر-الواقعه بین الشامات و الحجاز-رجلا منها فیقتلونه ثم ینکرون قتله،فیضیع دمه بین القبائل..و هکذا أرادوا أن یشترک جمیع

أبناء البلد فى دمه،و بذلك يتخلّصون من وطأه القوانين التى تمنع قتله.

و فى تلك الليله التى قررت فيها ثمود قتل نبيّهم،أمر اللّه صالحا عليه السلام بالرحيل عن المدينه،و لمّا رحل عنها جاء ثمود العذاب الشديد فدمرهم تدميرا،و تشبه قصه المؤامره هذه قصه تآمر كفار مكه على قتل النبى صلى الله عليه و آله ليله هجرته،و مبيت على عليه السلام على فراشه،و التى باءت بالفشل بسبب هجره النبى عن مكه.

ان هذه القصه هى قصه صراع و تحدّ،و هاتين الصفتين من سمات الرساله الالهيه،و لهذا فإنّ الرسل يتحدّون،و يقاومون الضغوط،و يتعرّضون للأزمات، فهم يسعون من أجل تغيير الأوضاع باجتثاث الفساد من جذوره،و من هنا نعلم أنه لا يمكن أن يكون الرسل ممّن ينعزلون عن الأعمال الجهاديه،و يتركون التحدى و المواجهه و التصدى.

بينات من الآيات:

[۴۵] وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً ان اللّه سبحانه يبعث للناس أنبياء،يختارهم من بينهم،لكى يحدّثوهم بلغتهم،و لتكون الحجه عليهم أبلغ،و لكيلا يقولوا:لو كان النبى من قومنا لآمنّا به.

و لقد كانت رساله صالح كرساله سائر الأنبياء جاءت لتقول لهم:

أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ فَإِذا هُمْ فَرِيقانِ يَخْتَصِمُونَ و فى هذه الآيه تلميح الى وجود الصراع بين طائفتين ممن أرسل إليهم الرسول، فاذا هم فريقان:فريق يؤمن برساله صالح و نبوّته،و فريق يكذّبه و يكفر به،

و الصراع فی بدایته حوار و جدل ینتهی الی مواجهه عنیفه،و عاده ما یرکّز القرآن علی موضوع المواجهه،و نجده أکثر وضوحا فی سوره القصص.

[۴۶] قالَ یا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّیِّئَهِ قَبْلَ الْحَسَنَهِ لقد قال لهم صالح علیه السلام :إنّ مخالفتکم و تحدّیکم للرساله دلاله علی أنّکم تستعجلون العقاب و العذاب قبل الثواب،و أنکم لا تعطون لأنفسکم فرصه لتجربه الرساله،قبل رفضها و إنکارها.

و للإنسان فرصه لتجربه بعض الحوادث الجدیده،و لکن من الحوادث ما لا تستطیع تجربته،و لا بد أن تنتفع بعقلک،و لکن التجارب تختلف فقد تکون سلبیه أو إیجابیه.

شخص فی غابه،یقال له:تعال ارکب معنا،و إلّا أکلتک الذئاب،فیقول:

فلنجرّب إن کان ما تقولونه صحیحا.هل تنفعه التجربه؟! کلّا..و کذلک الذین لا یؤمنون بالرساله حتی یروا العذاب بأعینهم،و حینئذ لا ینفع إیمانهم شیئا.لماذا لم یجرّبوا الإیمان بعض الوقت إن کانوا یؤمنون بالتجربه؟! لَوْ لا تَسْتَغْفِرُونَ اللّهَ لَعَلَّکُمْ تُرْحَمُونَ إنّکم أخطأتم و انحرفتم،فالأولی لکم أن تستغفروا ربّکم عسی اللّه أن یغفر لکم و یرحمکم،فلا تصابون بآثار ذنوبکم.و آثار الذنوب قد لا تری،فلو ذهبت إلی مستعمره المجذومین،و أردت الدخول فیها،لوجدت من یقول لک:لا تدخل، و لو دخلت لانتقل إلیک مکروب المرض،

و الحدیث الشریف یقول:

«فر من المجذوم فرارك من الأسد » فتصر على الدخول لتجرب ذلك،و بعد خروجك تجد نفسك سليما لم تصب بشیء،فتظن أنّه لم یصبک الجذام،و لکن بعد فتره من الزمن تجد آثار الاصابه بالمرض بادیه علی جسمک،و یؤکد الطبیب ذلک،و لکنک قد لا تصدّق أنّ المرض قد أصابک عند دخولک دار المجذومین،بل تزعم أنّ المرض أصابک بسبب آخر، و الطبیب یعرف أنّ جرثومه الجذام تنتقل عن طریق العدوی من الشخص المصاب، و لکن لم یظهر أثرها الا بعد تکاثرها.

و الذنوب تشبه الجراثیم فی آثارها فهی تؤثر فی جسم الإنسان و روحه و عقله و مجتمعه و لکن بعد فتره من الوقت.و مشکله الإنسان هی نسیانه للذنب الذی یرتکبه،و لا یدری أنه یخلّف آثارا قد لا تمحی،فالرجل الذی زار دار المجذومین کان بوسعه أن یتقی المرض قبل ظهوره لو ذهب الی الطبیب لیتحصّن ضد المرض، و هذا یعنی فی لغه الدّین الاستغفار،و حین یرتکب الإنسان ذنبا فعلیه الإسراع إلی الاستغفار کی یتخلّص من آثاره.

[۴۷] قٰالُوا اطَّیَّرْنٰا بِکَ وَ بِمَنْ مَعَکَ و لعلهم تطیّروا به لأنه کان ینذرهم عاقبه ذنوبهم،و من طبیعه الإنسان الاستیناس إلی من یضحکه و یدغدغ أبدا احلامه،و یزعم له أن درب الحیاه مفروش بالورود،أمّا من ینذره و یذکّره بعیوبه،و یبکیه،فهو ینفر منه و یتشاءم به.

و هناک حدیث حکیم یقول:

«صدیقک من یبکیک لا من یضحک»

قٰالَ طٰائِرُكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ فقال لهم صالح:إنّ الشؤم الذى لحق بكم هو بسبب ذنوبكم و خطيئاتكم، فأنتم مذنبون،و العذاب ينزل عليكم من عند اللّه،و هو الذى بعثنى نذيرا.

بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ و إنّكم لا تعلمون بأن اللّه حين أنعم عليكم بهذه النعم أراد أن يفتنكم بها، فالنعم ليست سوى ابتلاء،و هى ليست دائمه،و لا هى دائما خير،و لعلّ نعمه يكون وراءها شر مستطير.

[۴۸]و يبدو أنّ جماعه من قوم صالح كانت قد آمنت به،و كاد الإيمان ينتشر بين عامه الناس لو لا منع أشرار ثمود عن ذلك.

وَ كٰانَ فِي الْمَدِينَهِ تِسْعَهُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لٰا يُصْلِحُونَ و كان فى المدينه تسعه شيوخ عشائر تسعى للإفساد و لا تصلح.إنّ النظام القبلى إطار للمجتمع البشرى و هو بذاته ليس مضرا،إنّما القوانين و الأعراف التى فيه- و التى تعكس روحه و وجهته-هى التى قد تفسد و تفسد،و يبدو أنّ قبائل ثمود قد بلغت هذا الدرك الأسفل،و إذا فسد النظام بدأت نهايه المدينه،فاذا تحول النظام الذى أنشأ من أجل حمايه الحقوق،و منع الترهّل،و المحافظه على القيم الحضاريه إلى أداه للفساد،و الاعتداء،و التجاوز فإنّ نهايته قد اقتربت.

[۴۹]قٰالُوا تَقٰاسَمُوا بِاللّٰهِ حين تآمروا على قتله أقسموا باللّه على ذلك،و لعلّ هذا يدلّ على أنّهم كانوا يستخدمون الدّين-أيضا- وسيله لعدوانهم و فسادهم.

لَنُبَيِّتَنَّهُ وَ أَهْلَهُ أی قرّروا أن یذهبوا الی داره لیلا فیقتلوه و أهله.

ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مٰا شَهِدْنٰا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَ إِنّٰا لَصٰادِقُونَ و بعد ذلک یقولون لقبیلته:إنّهم لم یروا قتله،و یؤکّدون إنهم صادقون فیما یقولون.

[۵۰] وَ مَكَرُوا مَكْراً وَ مَكَرْنٰا مَكْراً وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ و حینما کانوا یخططون،کان اللّه سبحانه قد دبّر لهم أمرا.إنّ اللّه یعلم ما فی نفس الإنسان،بینما هو لا یعلم ما فی نفسه سبحانه،و لا بد أن یخضع لربّه شاء أم أبی.

[۵۱] فَانْظُرْ كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ مَكْرِهِمْ فقد انتهوا و لم یستفیدوا من الفرصه.

أَنّٰا دَمَّرْنٰاهُمْ وَ قَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ لماذا دمرهم اللّه و قومهم؟و لماذا استحقّ قومهم العذاب؟ و الجواب:لأنّهم رضوا بالکفر و سکتوا،و لم یتّحدوا أو یثوروا ضده،فحینما جاء العذاب شملهم أجمعین،و کما قال اللّه تعالی: وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لاٰ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقٰابِ (۱) فإذا جاء العذاب فإنّه لا

۱- ۱) الأنفال/(۲۵).

يشمل الكفار فقط و إنّما من سكتوا عنهم،و رضوا بأعمالهم أيضا،و هكذا أيضا حال من يسكت-اليوم-عن ظلم الطغاه و المفسدين.

[۵۲] فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا كان أهل الجزيره عاده ما يذهبون الى الشام،و فى طريقهم إليها يمرّون(بمدائن صالح)و هى حجر،فيشاهدون بيوتهم الخاويه المنحوته من الصخر،و إلى الآن آثارها شاخصه للعيان،و يقال:أنهم نحتوا بيوتهم من الجبال،ثم نزلوا الى الصحراء،فدمدم عليهم ربهم بذنبهم،و أهلكهم بما ظلموا،

و قد جاء فى الروايات الشريفه:

«الظلم فى الدنيا بوار،و فى الآخره دمار » (۱)

«من جار أهلكه جوره » (۲)

«من عمل بالجور،عجّل اللّه هلكه » ۴

«حقّ على اللّه عزّ و جلّ أن لا يعصى فى دار الا أضحاها للشمس حتى تطهرها » (۳)إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ إنّ فى آثارهم شاهدا و دليلا للذين يعتبرون بالمثلات.

۱- ۲) ميزان الحكمه ص(۵۹۵).

۲- ۳،۴) المصدر ص(۵۹۸).

۳- ۵) نور الثقلين/ج(۴)ص(۹۴).

و هناك مفارقه بين قصه ثمود حيث أهلكهم اللّه و قصه بلقيس حيث أسلمت مع سليمان لربّ العالمين،و هما حضارتان عربيتان،خضعت إحداهما للرساله بالرغم من أن حاملها لم يكن عربيا و هو سليمان عليه السلام بينما تحدّث الأخرى رسالات اللّه مع أنّ حاملها كان أخا لهم،شريفا بينهم،بل و حاولت اغتياله لو لا نصر اللّه له.

[۵۳] وَ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كانُوا يَتَّقُونَ و أنقذ اللّه المؤمنين الذين يخشون ربهم من العذاب الذى أصاب ثمود،فكما أنّ الكفر و الظلم سبب الدمار،فإنّ الإيمان و التقوى سبب للنجاه.

ص:۲۰۸

[سوره النمل (۲۷): الآیات ۵۴ الی ۶۴]

اشاره

وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ اَلْفاحِشَهَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (۵۴) أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ اَلرِّجالَ شَهْوَهً مِنْ دُونِ اَلنِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (۵۵) فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاّ أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ (۵۶) فَأَنْجَيْناهُ وَ أَهْلَهُ إِلاّ اِمْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ اَلْغابِرِينَ (۵۷) وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ اَلْمُنْذَرِينَ (۵۸) قُلِ اَلْحَمْدُ لِلّهِ وَ سَلامٌ عَلى عِبادِهِ اَلَّذِينَ اِصْطَفى آللّهُ خَيْرٌ أَمّا يُشْرِكُونَ (۵۹) أَمَّنْ خَلَقَ اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ اَلسَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَهٍ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها أَ إِلهٌ مَعَ اَللّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (۶۰) أَمَّنْ جَعَلَ اَلْأَرْضَ قَراراً وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَ جَعَلَ لَها رَواسِيَ وَ جَعَلَ بَيْنَ اَلْبَحْرَيْنِ حاجِزاً أَ إِلهٌ مَعَ اَللّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۶۱) أَمَّنْ يُجِيبُ اَلْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَكْشِفُ اَلسُّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ اَلْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اَللّهِ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ (۶۲) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُماتِ اَلْبَرِّ وَ اَلْبَحْرِ وَ مَنْ يُرْسِلُ اَلرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَ إِلهٌ مَعَ اَللّهِ تَعالَى اَللّهُ عَمّا يُشْرِكُونَ (۶۳) أَمَّنْ يَبْدَؤُا اَلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ اَلسَّماءِ وَ اَلْأَرْضِ أَ إِلهٌ مَعَ اَللّهِ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۶۴)

آللّهُ خَيْرٌ أَمّا يُشْرِكُونَ

هدى من الآيات:

كان قوم لوط من الذين أصيبوا بالشذوذ،و الإسراف فى الشهوه الجنسيه حتى تمرّدوا على أوامر اللّه بسببها،و عند ما نقرأ حياه الأنبياء مع أقوامهم نجد أنّ أساس الفساد لدى الجميع واحد و هو:ضعف الإيمان باللّه،و بالتالى الشرك به،مهما اختلفت مظاهر الفساد من قوم لآخر،و الشرك باللّه هو السبب المباشر لضعف الإنسان،و انبهاره بزينه الحياه الدنيا الى حدّ الانهيار أمامها،بينما كان عليه أن يسخّرها لنفسه،و لقد أسجد اللّه الملائكه له تعبيرا عن خضوع الطبيعه،لأنّ الملائكه الموكّله بها سجدت له،و من جانب آخر علّم اللّه آدم الأسماء،و أعطاه العلم و العقل وسيله لتسخير الحياه فى صالحه.

و لكنّ الإنسان كثير مّا يختار اتباع الهوى،و الخضوع لطبائعه بسبب وساوس إبليس،و لا شك انّ الذى يعجز عن السيطره على نفسه،و إخضاع طبائعه لعقله و للعلم الذى أعطاه اللّه إيّاه،سوف لن يسخّر الطبيعه من حوله،لأنه حينذاك سيصير

جزءا منهـا،و لن يسـخّر البشـر الطبيعه فی صـالحه الاـ بالإـراده،و السـيطره علی النفس، و النظريـات التی تغفـل جـانب الإراده فی الإنسان هی التی تؤمن بالحتميّات، و تسلب الثقه من الإنسان بنفسه أمام ضغط الظروف المختلفه.

فـالنظريه الماركسـيه تقول:إنّ الإقتصـاد يـدير الحياه،و إنّ وسائل الإنتاج هی التی تصوغ المجتمع،و تسـيّر التاريـخ،و بـدلا من أن يشـرف الإنسـان علی الاقتصـاد، يشـرف الاقتصـاد عليه،و النظريه الاجتمـاعيه تقول:إنّ الوسـط الاجتمـاعی، و المرحله الاجتماعيه التـاريخيه هی التی تصوغ حيـاه الإنسـان،و أنّ التوافق الاجتمـاعی هو أقوی إحساس يـدفع البشـر نحو أتجاه معيّن.و هناك نظريه متطرفه فی علم النفس وضـعها فرويد:ترى أنّ الإنسان يخضع لشـهواته الجنسيه مباشره،أو عن ردود أفعال و إحباطات معينه ناتجه منهـا،و كـل هـذه النظريـات قـد تكون صـحيحه، و لكن حينما يفقـد البشـر الإراده و الايمان باللّه،أمّا المؤمن فهو فوق كلّ هـذه الحتميّات،إذ يسـيطر علی نفسه فلا الشـهوه الجنسيه،و لا المجتمع الفاسد،و لا الإقتصاد،أو السياسه،أو ایّ عامل مادی آخر يستطيع إخضاعه و السيطره عليه، و هذا هو جوهر الإسلام الذی تؤكّده الآيات الأخيره من هذا الدرس.

و أيّهما أفضل للإنسان أن يعبـد الحجر و مثيله الإنسان،و الطبيعه التی كلّف بتسـخيرها،أو أن يعبد اللّه؟فعباده اللّه هی التی تتوافق مع فطره الإنسان و عقله، لأنّ الإيمان مغروس فی البشـر منـذ عالم الذر،يوم قال اللّه لبنی آدم: «أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلی» (۱)إلاّ ان العوامـل المختلفه و أهمهـا نفس الإنسـان هی التی تحجب البشـر عن هـذه الحقيقه،و لا سبيل له للمحافظه علی عهـده مع اللّه الا بترويض النفس و السيطره عليها.

۱- ۱) الأعراف/(۱۷۲).

لا ـ يجد الإنسان -مهما بلغ به الإلحاد -ملجأ غير اللّه فى لحظات الخطر،فلو ركب سفينه،و هبّت فى عرض البحر عليها عاصفه فحطّمتها،فإلى من سيلتجئ؟هل سيلجأ إلى صنمه؟!أو إلى رئيسه الذى كان يخضع له من دون اللّه؟!لن يفعل شيئا من ذلك،و إنما سيشعر أنّ هناك قوه أعظم من كلّ ذلك،هى التى تحدّد مصيره،و بيدها إنقاذه من الهلاك،و حينئذ يتجه نحوها يطلب الخلاص، و ذلك هو اللّه ربّ العالمين.

و بالرغم من أنّه لم يعبد اللّه بل عبد الطاغوت و الشيطان الذى يتمثل فى النفس الأمّاره أو المجتمع المنحرف،إلّا أنّ اللّه سبحانه يستجيب له،و ينقذه من ورطته، و عند ما يتخلّص من الهلكه و يصل الى شاطئ الأمان يعود إلى انحرافه و خطئه، كما فعل بنو إسرائيل حين قالوا لموسى عليه السلام بعد ما خرجوا من البحر: «اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَهٌ» (۱)و هذه من طبيعه الإنسان فى كل مكان و زمان.

إنّ قلب الإنسان يتصل باللّه فى الشده و أوقات التذكره،و لكنّه فى وقت الغفله و النسيان و الضغوط ينسى اللّه و عهده معه -و هذه هى بدايه الانحراف -فهو يبدأ من نسيان اللّه،و قدرته،و هيمنته،و لو لا ـ ذلك لما استعبدتنا الأهواء،و لما وجهتنا الأنظمه الاقتصاديه،و الاجتماعيه،و السياسيه،و العسكريه،و غيرها.

إنّ الضمير الحىّ النقىّ هو الذى يبقى متوكّلا على ربّه باستمرار،متصلا به فى كلّ ظرف.

بينات من الآيات:

[۵۴]من أعظم ما يسعى اليه الأنبياء إنقاذ المجتمعات من الانحراف،

۱- ۲) الأعراف/(۱۳۸).

و توجيهها نحو الخير،و لا- يثنيهم عن ذلك شيء مهما كان موقف المجتمع،ذلك أنّهم يجدون أنفسهم مسئولون عن تبليغ رسالتهم التى يتحملّون من أجلها كل أذى، و هكذا كان نبىّ اللّه لوط:

وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ كيف تعملون المنكر و أنتم تعلمون قبحه،و أنه ضلال و انحراف؟! [۵۵] أَ إِنَّكُمْ و خلافا للسنه الطبيعيه.

لَتَأْتُونَ الرِّجالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّساءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إذ تتركون علمكم النابع من العقل و الوجدان الى الجهل الذى هو كلّ سلوك لا يهتدى بنور العلم،و لا يتوافق مع فطره الإنسان.

[۵۶]و الذى يحمل رساله التغيير يجب أن يتحمّل من أجل تبليغها كلّ مكروه، لا أن يكون مستعدا لتحمّلها ما دامت لا تسبب له أذى،فإذا أوذى فى اللّه نكص على عقبيه.و نبىّ اللّه لوط كان يعرف مسبقا موقف قومه السلبى إلاّ- أنّه لم يتوان فى تحمل مسئوليّته.

فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاّ- أَنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ حينما يتبع الإنسان الجهل،و يعارض العلم،فإنه يعارض العالم أيضا، و الذى يعارض فكر إنسان ما و علمه فإنّه يعارضه شخصيا فى غالب الأحيان، و هكذا نجد الصراع بين لوط و قومه يتحوّل من اختلاف حول موضوع معين-هو

اللواط-الى صراع عنيف يسعى فيه المجتمع الى طرد نبيّ اللّه،و كثيرا ما يلجأ الإنسان الى منطق القوه مع الأطراف المخالفه له حينما يفشل فى معركه المنطق، فعند ما أراد مجتمع لوط طرد المؤمنين قالوا:

إِنَّهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ إنّ آل لوط يريدون حياه طاهره،لذلك يجب إخراجهم و طردهم.أو ليست الطهاره تقف مع عقل الإنسان و فطرته؟!بلى.و لكنّ أصحاب منطق القوه لا يهمّهم مع من يكون الحقّ،لأنهم لا يريدون الحق،بل يريدون ما يتفق مع شهواتهم و لو كان الباطل بعينه.

و هذا هو منطق الطواغيت حين يخرجون المؤمنين،و يعذّبونهم،و يقتلونهم بحجه أنّهم يسعون لإقامه حكم اللّه،و كأنّ ذلك جريمه.إنّهم يريدون منا أن تنحصر صلاتنا بين جدران المساجد،أما أن تنعكس على واقعنا السياسى و الاجتماعى فلا.

[۵۷]و عند ما أجمع القوم على إخراج لوط و من معه أنجاهم اللّه،و بقيت زوجته معهم لأنّها منحرفه،فنزل عليهم العذاب الذى شملها أيضا.

فَأَنْجَيْناهُ وَ أَهْلَهُ إِلاّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْناها مِنَ الْغابِرِينَ [۵۸] وَ أَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَساءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ تستخدم كلمه المطر فى القرآن للسوء فقط،أما الغيث الذى يأتى من السماء فاسماؤه مختلفه،و ما أنزل اللّه مطر السوء عليهم دون سابق إنذار،بل أنذرهم فكذّبوا بالنذر،و لم ينتفعوا بها.

[۵۹] قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ لقد انتهى أولئك فأحمد اللّه أنّك هديت للإسلام.و الذى يحمد اللّه على الهدايه و كونه مع المؤمنين لا بد ان يتّصل بعباده الذين اختارهم.

وَ سَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذِينَ اصْطَفى و هؤلاء الذين اختارهم اللّه من عباده علينا المسارعه للانتماء إليهم إذا كنّا نعبد اللّه حقّا،فالخاضع للّه هو الذى يسلّم لأوليائه الذين اصطفاهم على خلقه، و التسليم الحقيقى هو الخضوع لهم فى القول و العمل من جهه،و التبرّى من أعدائهم فى كل شىء من جهه ثانيه،و لهذا

جاء فى زياره الأئمه عليهم السلام:

«أشهد اللّه و أشهد أنى...موال لكم و لأوليائكم،مبغض لأعدائكم و معاد لهم،سلم لمن سالمكم و حرب لمن حاربكم » (۱)آللّهُ خَيْرٌ أَمّا يُشْرِكُونَ و هنا تبدأ سلسله من الأسئله التوجيهيه:أيّهما أفضل اللّه ما يشركون؟ و هدف هذه الأسئله أن يحرك الإنسان عقله متفكّرا،ليبتعد عن الشرك عن وعى و قناعه نابعه من عقله لو أجاب على هذه التساؤلات إجابه سليمه.

[۶۰]فى إطار بيان القرآن لعبر الأمم السابقه،يوقفنا السياق لحظات ليذكرنا بربّنا العزيز عبر آياته فى الحياه:

أولا:لان معرفه اللّه تساهم فى معرفه الحقائق الأخرى،و بالذات فى حقل الرساله.

۱- ۳) مفاتيح الجنان/الزياره الجامعه.

ثانيا:لأنّ كتاب الخليقه نسخه صامته لكتاب اللّه الناطق المنزل على الرسل.

و لعل القرآن يشير فى كل سياق إلى الآيه الطبيعيه التى توحى بنفس الأسماء التى تبينها آيات اللّه.

أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجَهٍ ما كانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَها أَ إِلَّهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ إنّ الاجابه على هذه التساؤلات كلها تهدينا الى اللّه،إلاّ أنّ البشر كثيرا ما يميلون عن الحق لأنه يخالف أهواءهم.

[۶۱] أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً بسبب الجاذبيه التى لولاها لكنا نسبح فى هذا الفضاء الرحب.

وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً يستفيد منها الإنسان،و يقوّم بها حضارته.

وَ جَعَلَ لَها رَواسِيَ من شأنها حفظ توازن الأرض.

وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حاجِزاً حيث تنحدر المياه من الجبال و هى عذب فرات،و على مقربه منها البحر و هو ملح أجاج،و التراب لا يحجز الماء عن التسرّب،و لكن وصول الماء إلى التراب

يتحوّل الى طين يتحصّن أمام الماء فيمنعه من التسّرب.

أَ إِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ بعد أن يتعرض القرآن إلى هذه الآيات،و يعرضها على عقل الإنسان، يتساءل:هل يوجد مع اللّه إله آخر؟!و الإجابه بالطبع:كلا.فلو كان ثمّه اله آخر لوجدنا أثره فى هذه الحياه فى الأرض أو فى السماء أو فى البحار أو..أو..، فإذا أشركنا دون دليل فنحن إذن جهلاء.

[۶۲]ثمّ يطرح القرآن سؤالا آخر يخاطب به وجدان الإنسان،إذ يقول:

أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذا دَعاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ من هو الذى تلتجئ إليه فيدفع عنك الخطر حين يحيط بك أيّها الإنسان؟! وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفاءَ الْأَرْضِ أ-يجعلكم خلفاء الأرض بإعطائكم السلطه السياسيه.

ب-يجعل بعضكم يخلف بعضا.

و سواء هذا أو ذاك،فإنّ الذى يهلك ملوكا و يستخلف آخرين،و يهلك قوما و يأتى بغيرهم،هل يعقل أن يكون له شريك؟!فلما ذا لا تفكّرون بعقولكم لتتوجهوا الى اللّه؟ أَ إِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ قَلِيلاً مّا تَذَكَّرُونَ فى كثير من الأحيان يعتقد الإنسان أنّ السلطه السياسيه بيد الناس فيعبدهم،

و لكنه لا يـدرى أنّه لو شاء اللّه لتهاوى جميع الـذين يجلسون على العرش،و لتساقطوا كأوراق الخريف،إنّ هذه الحقيقه قريبه من الإنسان،و لو عاد إلى فطرته،و فتّش فى داخله لوجدها،و لكنّه ينساها بسبب الشهوات،و المشاكل،و الضغوط.

و حين يوجّهنا اللّه إلى الإيمان به،فذلك لكى نسـتطيع السـيطره على أنفسنا؟ و تسخير الطبيعه من حولنا،و إلّا سخرنا كلّ شىء،و كما

فى الحديث القدسى:

«عبـدى أطعنى تكن مثلى أقول للشـىء كن فيكون و تقول للشـىء كن فيكون » أمّا حين يخرج البشـر من حصن اللّه،و يبتعد عنه فإنّ كلّ ما فى الطبيعه يستعبده و يسخّره،كالذى صار شهيدا للحمار فلم يصلّ عليه رسول اللّه مع سائر الشهداء.

[۶۳] أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ الهدايه من عند اللّه،فلو لم يلهمه صـناعه البوصـله لضلّ طريقه،و لو لم يرسل له الأنبياء لما عرف الحق و الباطل.

و قـد يتصور الإنسان أنّ البوصـله هى التى تهـديه حينما يتيه فى عرض البحر،أو أنّ عقله هو الـذى يهديه،و لكن من الذى يلهمه معرفه الطريق حينما لا تنفعه البوصله و لا يهديه العقل؟!ثم إذا كانت الهدايه عن طريق العقل فهو من عند اللّه تعالى.

و المخترعون الكبـار يقولون:إنّ الاختراعـات نوع من الإلهـام،حتى أنّ بعضـهم يتوصّل إلى الاكتشافات فى حال النوم،و كـذلك يقول كبار الشعراء:إنّ الشعر شىء من الإلهام فى غالب الأوقات.

وَ مَنْ يُرْسِلُ الرِّيٰاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ لقد جعل اللّه الأنبياء رعاه للأغنام إلّا بعضهم،و الحكمه فى ذلك كما جاء فى حديث لينتظروا الغيث،و الإنسان يعلم أنّ الذى يأتى بالسحاب عبر الرياح إنّما هو اللّه،إذا:

أَ إِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ تَعٰالَى اللّٰهُ عَمّٰا يُشْرِكُونَ مع كل هذه الآيات الواضحه إلّا أنّ بعضا من الناس يتصوّرون أنّ النفع و الضر يأتى به الحكّام،فيخضعون لهم،و يشركونهم مع اللّه.

[۶۴] أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ من الذى يأتى بالخلق من العدم،ثم يعيده يوم البعث؟! وَ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ من أين نحصل على الرزق؟هل من عند أنفسنا؟!كلا..إنّه من عند اللّه، الذى بيده أرزاق العباد،و من الناس من ينظر إلى السبب المباشر للرزق،و يغفل عن ملايين العوامل التى يدبّرها الربّ من وراء ذلك السبب المباشر.

أَ إِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ البعض يدّعون أنّ للّه شركاء كالطواغيت.

قُلْ هٰاتُوا بُرْهٰانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ أحد الحكام يشترى طائره خاصه فيها مستشفى للقلب،و طاقم خاص من الأطباء خوفا من أن يموت،فهل هذا إله حتى نشترى مرضاته بمعصيه اللّه؟!

[سوره النمل (۲۷): الآیات ۶۵ الی ۷۳]

اشاره

قُلْ لا یَعْلَمُ مَنْ فِی اَلسَّماواتِ وَ اَلْأَرْضِ اَلْغَیْبَ إِلاَّ اَللّهُ وَ ما یَشْعُرُونَ أَیّانَ یُبْعَثُونَ (۶۵) بَلِ اِدّارَکَ عِلْمُهُمْ فِی اَلْآخِرَهِ بَلْ هُمْ فِی شَکٍّ مِنْها بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ (۶۶) وَ قالَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا أَ إِذا کُنّا تُراباً وَ آباؤُنا أَ إِنّا لَمُخْرَجُونَ (۶۷) لَقَدْ وُعِدْنا هذا نَحْنُ وَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ إِنْ هذا إِلاّ أَساطِیرُ اَلْأَوَّلِینَ (۶۸) قُلْ سِیرُوا فِی اَلْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ اَلْمُجْرِمِینَ (۶۹) وَ لا تَحْزَنْ عَلَیْهِمْ وَ لا تَکُنْ فِی ضَیْقٍ مِمّا یَمْکُرُونَ (۷۰) وَ یَقُولُونَ مَتی هذَا اَلْوَعْدُ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ (۷۱) قُلْ عَسی أَنْ یَکُونَ رَدِفَ لَکُمْ بَعْضُ اَلَّذِی تَسْتَعْجِلُونَ (۷۲) وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو فَضْلٍ عَلَی اَلنّاسِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لا یَشْکُرُونَ (۷۳)

اللغه

۷۲[ردف]:دنا.

تَعٰالَى اللّٰهُ عَمّٰا يُشْرِكُونَ

هدى من الآيات:

فى هذه الآيات نجد خلاصه للعبر التى استوحيناها من قصص السوره،و هى التذكره بالحق،ففى القسم الأوّل يذكّرنا اللّه بنفسه،بينما يذكّرنا فى القسم الآخر بيوم القيامه،و لكى نعرف الحقائق لا يكفى أن نثير عقولنا فقط،بل يجب أيضا استثاره الوجدان،لأنّ العقل يحجب أحيانا بالغفله و العناد،أمّا حين يهتّز الوجدان فإنّ الحجب تتساقط عنه،و يعود الإنسان الى ربّه،من هنا كان علينا عند تلاوه آيات الذكر الحكيم أن نتفاعل معها نفسيّا لكى نصل إلى معرفه اللّه حقّا،و فى ذات الوقت يجب أن نعرض كلّ ذلك على العقل،إذ من الخطأ تصديق أىّ فكره دون عرضها على العقل،ذلك أنّ الذى يستسلم دون العوده للعقل قد يستسلم للباطل،و هكذا يجب على الإنسان أن يستثير عقله و وجدانه عند كل قضيّه حتى يتعرّف على الحق أو الباطل فيها،و المقصود بالوجدان تلك الجوانب الخيّره من نفس الإنسان فهو-مثلا-يحبّ من أحسن اليه،و يخشى من هو عظيم،و الذى بيده

نفعه و ضـره،فعند ما نعبد اللّه فلأننا نجد فيه مصدر العظمه و القوه،و إنّه حسبنا الذى نأنس إليه، و فى الوقت ذاته يجب أن نخشاه لأنّه شديد العقاب و الانتقام،و يمكن أن يصل إلينا من عنده عذاب عظيم.

و إنّ من طبيعه الإنسان إبعاد الحقائق الكبرى عن ذهنه،فكما أنه لا يستطيع التركيز بنظره و لفتره طويله فى قرص الشمس كذلك لا- يستطيع أن يركّز فكره و عقله فى الحقائق الكبرى كالتفكير فى اللّه أو الموت أو القيامه،و عند ما يجلس الإنسان فى مجالس الذكر فيستمع إلى هذه الحقائق أو يقرأ كتابا يذكّره بها فإنّه يخشع قلبه، و يتذكّر القيامه،و لكنّه لا- يبقى على هذا الحال طويلا-فبعد فتره تجده و قد أنساه الشيطان تلك الحقائق و عاد إلى الغفله مره أخرى،و هكذا يبقى الإنسان فى جدل مع نفسه،فتاره يتذكر الحقيقه و تاره يبتعد عنها،و لذلك سمّى مكان الصلاه محرابا (بينما المحراب هو موقع الحرب)لأنّه يبقى فى صراع باطن مع الأهواء و الشيطان، و يشبه فى مسيره إلى معرفه اللّه الطائره حين تحلّق فى السماء،فبمجرد أن تعطب المحركات تهبط و ربما تتحطم،و هكذا يسقط البشر فى وحل الرذيله و الشقاء حين يغفل عن اللّه و الحق.

و الآخره باعتبارها مستقبلا و ليس حاضرا،و لكونها مرحله أخرى من حياه الإنسان،فإنّ علمه يصطدم بجدارها،كما يجتمع الماء خلف السد،و هكذا يتجمع علم البشر خلف هذا الجدار فيدرك الواحد الآخر،و لأنّ أمامه حواجز من الشك و الجحود و الكفر بالآخره فإنّ علمه يتوقّف عند حدود الدنيا،أما المؤمن فإنّ علمه ينفذ من الدنيا إلى الآخره،و لعلّنا نفهم حواجز الوصول إلى الحقائق من خلال التدبر فى نهايات الآيات،يقول تعالى فى الآيه(۶۰): بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ و فى الآيه(۶۱): بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ و فى الآيه(۶۲): قَلِيلًا مّا تَذَكَّرُونَ و فى الآيه(۶۴): قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ و فى الآيه(۶۶): بَلِ ادّارَكَ

عِلْمُهُمْ فأولى مصيباتهم أنهم يعدلون بغيره،و تختلط عندهم مقاييس الحق و الباطل،بالرغم من أنّ أعظم صفات العقل تمييز الحق عن الباطل،و الخير عن الشر،و النفع عن الضرر،أما المصيبه الثانيه:الجهل و عدم العلم،و جهلهم آت من غفلتهم،و عدم تذكرهم ذلك،و الطريق إلى العلم هو التذكّر،و الإنسان إمّا يحصل عليه عن طريق الآخرين و إمّا عن طريق التجارب،و الذى لا يتذكر لا يستطيع الحصول على العلم لا من الآخرين و لا عبر التجارب،ثم يطالبنا القرآن الكريم بالبرهان،و من لا يملك البرهان لا يتمكّن أن يقول شيئا،و أخيرا يبيّن لنا أنّ علمهم قد توقّف عند حدود الدنيا.

بينات من الآيات:

[۶۵]لو عاد الإنسان إلى وجدانه لرفض الخضوع للأنداد.و من أبرز ما يخشاه البشر المستقبل و ما يخبّئه له من مفاجئات قد لا تكون ساره.

و من الذى يعلم الغيب إلّا اللّه،و هل يقدر أحد أن يتحكّم فى المستقبل إلّا اللّه؟! فهل كان كارتر يعلم بأنّ زوبعه سوف تدمّر طائراته فى طبس،و هل المخابرات تعلم أنّ مركبه الفضاء(تشالنجر)سوف تتحطم بعد لحظات من إطلاقها؟!لو كانوا يعلمون لما أقدموا على كل ذلك.

و كلمه أخيره:

إنّ علم الغيب ليس كلّ ما يعلم الإنسان عن المستقبل،بل معرفه الأشياء بصوره ذاتيه،

فقد ذكر الامام أمير المؤمنين أنباء عن المستقبل،فزعم البعض أنّه علم الغيب،فأوضح لهم الفارق بين علم الغيب و معرفه حوادث المستقبل،فقال متحدّثا

لرجل كلبيّ زعم ذلك:

«يا أخا كلب ليس هو بعلم غيب،و إنّما هو تعلّم من ذى علم،و إنّما علم الغيب علم الساعه،و ما عدّده اللّه سبحانه بقوله: إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَهِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَ ما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ... الآيه فيعلم سبحانه ما فى الأرحام من ذكر أو أنثى، و قبيح أو جميل،و سخىّ أو بخيل،و شقىّ أو سعيد،و من يكون للنار حطبا،و فى الجنان للنبيين مرافقا،فهذا علم الغيب الذى لا يعلمه إلاّ اللّه،و ما سوى ذلك فعلم علّمه اللّه نبيّه فعلّمنيه،و دعا لى أن يعيه صدرى،و تضطمّ عليه جوانحى » (۱)قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللّهُ وَ ما يَشْعُرُونَ أَيّانَ يُبْعَثُونَ إنّ هؤلاء لا يشعرون حتى مجرّد شعور متى يكون بعثهم.

[۶۶] بَلِ ادّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَهِ لقد توقف علمهم و انتهى عند حدود الدنيا لنظرتهم الماديه،و كفرهم باللّه تعالى،و المؤمن يسأل اللّه أن يتجاوز علمه و إدراكه الدنيا إلى الآخره،

ففى الدعاء:

«و لا تجعل الدنيا أكبر همّنا و لا مبلغ علمنا » (۲)و لا ريب أنّ الذى يفكّر فى الدنيا فقط فإنّ مصيبته ستكون فى دينه.

۱- ۱) نهج البلاغه/خ(۱۲۸)/ص(۱۸۶).

۲- ۲) مفاتيح الجنان/فى أعمال ليله النصف من شعبان.

و السبب من اقتصار علمهم على الدنيا هو شكّهم فى الآخره.

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْها بل أكثر من ذلك:

بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ فلا يذكرون الآخره،كالأعمى الذى لا يعرف النور و لا اللون.و يبدو أنّ فى السياق تدرجا فى مراحل جهلهم،فقد توقّف علمهم فلا يعرفون أىّ شىء من شؤون الآخره،و هذا وحده سبب كاف لنبذهم من قبل اتباعهم،ثم بيّن ربّنا أنهم أساسا يشكّون فى الآخره،فكيف ينفعون أحدا فى دار يشكّون فى وجودها،ثم بيّن أنّهم فقدوا ما كان يمكنهم معرفه الآخره به و هو عين البصيره،و من لا يملك جهازا للإدراك فهل يتصدّر إدراكه لشىء.

[۶۷] وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَ إِذا كُنّا تُراباً وَ آباؤُنا أَ إِنّا لَمُخْرَجُونَ إنّهم يشكون فى البعث و الجزاء لجهلهم باللّه و قدرته،و أيضا لجهلهم بالخلق.

[۶۸] لَقَدْ وُعِدْنا هذا نَحْنُ وَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ إِنْ هذا إِلاّ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ و الأساطير هى الخرافات التى تشيع داخل المجتمع،و لا واقع لها.و لو أنّ هؤلاء تعمّقوا قليلا لعرفوا أنّ الحكمه تقف وراء كلّ شىء فى هذه الحياه،ثم لعرفوا من خلال ذلك حقيقه المسؤوليه،و أنّ هناك دارا للجزاء هى الآخره،و لعل هذه الآيه تفسر الآيه السابقه و تبيّن أنّ سبب عمه هؤلاء الأنداد،و من يشرك بهم من الجاهلين هو استبعادهم البعث و زعمهم بأنّه لا يكون،لأنّهم لا يعرفون كيف يمكن أن

یکون،و هل یجوز أن تنکر وجود شیء لمجرد أنّک لا تعرف کیف وجد،و ما هی عوامل وجوده أو تفاصیله؟! [۶۹] قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الْمُجْرِمِینَ و ماذا نشاهد حینما نسیر فی الأرض و ننظر إلی التاریخ؟ إنّنا نشاهد آثار تلک الحضارات التی بادت بسبب انحراف أهلها،و رفضهم لرسالات اللّه،و بالتالی نشاهد آثار الجزاء الدنیوی الذی یدلّنا علی الجزاء فی الآخره.

[۷۰]و أنت الذی تؤمن بالآخره لا تحزن عند ما تری العاقبه التی حلّت بالمجرمین،و لا تفکّر فیهم:

وَ لا تَحْزَنْ عَلَیْهِمْ و لا تغتّم علی المجرمین الذین ینتظرهم نفس المصیر.

و لا تخش مکرهم،لأنّ مکرهم عند اللّه،و فی إطار سلطانه سبحانه،و أنّ الذین سبقوهم کانوا أمکر منهم،فلم یغنهم مکرهم شیئا حین قضی اللّه بتدمیرهم.

وَ لا تَکُنْ فِی ضَیْقٍ مِمّا یَمْکُرُونَ و یوحی التعبیر القرآنی بأن علینا ألّا نأبه أبدا بمکرهم،بل حتی لا یؤثر خوف مکرهم فی خططنا الرامیه لتبلیغ الرساله.

[۷۱] وَ یَقُولُونَ مَتی هذَا الْوَعْدُ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ

دلیل هؤلاء علی عدم وجود الآخره أنّها قد تأخّرت،و لکن هل إنّ عدم وقوع شیء بالأمس أو الیوم دلیل علی أنّه لن یقع فی المستقبل؟ [۷۲] قُلْ عَسیٰ أَنْ یَکُونَ رَدِفَ لَکُمْ بَعْضُ الَّذِی تَسْتَعْجِلُونَ إنّکم تستبعدون یوم الجزاء،و لکن ما یدریکم ربما یحلّ بکم قریبا،و کلمه «ردف»تدلّ علی القرب،إذ لیس ثمّه مسافه بین المترادفین علی دابّه واحده،ثم إنّ العذاب الأشد هو عذاب القیامه،و من الغباء استعجال مثل هذا العذاب! [۷۳]و تسأل:لماذا یؤخر اللّه العذاب؟ وَ إِنَّ رَبَّکَ لَذُو فَضْلٍ عَلَی النّاسِ وَ لَکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لاٰ یَشْکُرُونَ إنّ التأخیر تفضّل من اللّه،و لکنّ الناس لا یستفیدون من هذه الفرصه بالتوبه، بل لا یزالون یزدادون کفرا علی کفر حتی یحلّ بهم الأجل، فَإِذا جٰاءَ أَجَلُهُمْ لاٰ یَسْتَأْخِرُونَ سٰاعَهً وَ لاٰ یَسْتَقْدِمُونَ .

[سوره النمل (۲۷): الآیات ۷۴ الی ۸۱]

اشاره

وَ إِنَّ رَبَّکَ لَیَعْلَمُ مٰا تُکِنُّ صُدُورُهُمْ وَ مٰا یُعْلِنُونَ (۷۴) وَ مٰا مِنْ غٰائِبَهٍ فِی اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ إِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مُبِینٍ (۷۵) إِنَّ هٰذَا اَلْقُرْآنَ یَقُصُّ عَلیٰ بَنِی إِسْرٰائِیلَ أَکْثَرَ اَلَّذِی هُمْ فِیهِ یَخْتَلِفُونَ (۷۶) وَ إِنَّهُ لَهُدیً وَ رَحْمَهٌ لِلْمُؤْمِنِینَ (۷۷) إِنَّ رَبَّکَ یَقْضِی بَیْنَهُمْ بِحُکْمِهِ وَ هُوَ اَلْعَزِیزُ اَلْعَلِیمُ (۷۸) فَتَوَکَّلْ عَلَی اَللّٰهِ إِنَّکَ عَلَی اَلْحَقِّ اَلْمُبِینِ (۷۹) إِنَّکَ لاٰ تُسْمِعُ اَلْمَوْتیٰ وَ لاٰ تُسْمِعُ اَلصُّمَّ اَلدُّعٰاءَ إِذٰا وَلَّوْا مُدْبِرِینَ (۸۰) وَ مٰا أَنْتَ بِهٰادِی اَلْعُمْیِ عَنْ ضَلاٰلَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلاّٰ مَنْ یُؤْمِنُ بِآیٰاتِنٰا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (۸۱)

وَ إِنَّهُ لَهُدىً وَ رَحْمَهٌ لِلْمُؤْمِنِينَ

هدى من الآيات:

فى إطار بيان خصائص الوحى الإلهى،و بعد التذكره باللّه الذى أوحى بالكتاب،و إنّه لا يعلم الغيب فى الخليقه سواه..يذكّرنا ربّنا بأنّه سبحانه يعلم ما تكنّ صدورهم من هواجس و نيّات،و ما يعلنون من قول،و أنّه ما يغيب عن علمهم من حوادث و ظواهر مكتوبه فى كتاب مبين(اللوح المحفوظ،و القرآن، و علم الأنبياء و الأئمه منه).

و إنّ القرآن يبيّن لبنى إسرائيل الحق فيما هم فيه يختلفون،مما يشهد بأنّه قد نزل من لدن حكيم عليم.

و القرآن يحمل الهدى و الرحمه إلى من يؤمن به و هذا شاهد صدقه،و يقضى بحكمه العادل و هو العزيز العليم.

و يأمر الرسول و المؤمنين بالتوكّل عليه،و عدم التردّد لأنهم على صراط حقّ

و واضح،و ألّا يأبهوا بأولئك الجاحدين الذين لم يجعل اللّه لهم نورا.أو يمكن أن تسمع الموتى أو تسمع الصمّ الدعاء إذا ولّوا مدبرين؟!كذلك أعمى القلب لا يهتدى عن ضلالته،إنّما يهتدى من يسلم وجهه للّه.

و إذا ذكرنا الربّ تعالى بيوم الجزاء،فلا بد أن يذكّرنا بالرساله التى هى إعداد للإنسان ليوم الحساب.و هكذا لا نجد جانبا من العقائد الاسلاميه فى القرآن مبتورا عن سائر الجوانب،لأنّها كلّها تدور حول محور واحد هو الايمان باللّه،فبعمق الإيمان و بسعته،و بالتالى بمعرفه اللّه عبر أسمائه الحسنى،نتعرّف على سائر أبعاد العقائد الاسلاميه.

لماذا جاءت الرساله الالهيه؟ و الجواب:جاءت الرساله لتحقيق الأهداف التاليه:

١-رفع الاختلاف.إذ وفّر اللّه سبحانه فرصه الوحده بين الناس عبر الرساله،أمّا إذا لم يروا الاستفاده منها لرفع الخلاف بينهم فهذا شأنهم.

٢-الهدايه.و لها مرحلتان:

أ)حلّ الالغاز.و أدنى قدر من الهدايه أن يعرف الإنسان الإجابه على الأسئله الحائره فى ذهنه:من الذى خلق هذا الكون،و لماذا؟و من خلقنى، و لماذا؟و من أين أتيت،و إلى أين أصير؟،حتى لا يتيه البشر،و يقول كما قال إيليا أبو ماضى فى قصيدته المعروفه الطلاسم:

جئت لا أعلم من أين و لكنّى أتيت و لقد أبصرت قدّامى طريقا فمشيت

و سأبقى سائرا إن شئت هذا أو أبيت كيف جئت؟كيف أبصرت طريقى؟

لست أدرى

و من دون بعث الرساله تبقى كثيرا من الألغاز حائره،يدور الإنسان حول الكون و لكنه لا يصل الى مفتاح حلّ الالغاز،و فى النهايه يمسك القلم ليكتب «الإنسان ذلك المجهول»فاللّغز يبقى كما هو من دون الإيمان باللّه،و تظلّ المعادله ناقصه.

و الذين يتحوّلون من الكفر إلى الإيمان يشبهون التائه فى الصحراء،و الذى يأتيه شخص ما ليرشده على الطريق فيجد السكون و الاطمئنان،و تذهب عنه الحيره،إن هذا هو الهدى.

ب)مرحله التكامل.و هى مرحله العروج بروح الإنسان فى مدارج كمالات المعرفه،حتى يبلغ به الأمر أن يقول:

«لو كشف لى الغطاء ما ازددت يقينا » أو إلى أن يقول له اللّه: «إِنِّی أَنَا رَبُّکَ فَاخْلَعْ نَعْلَیْکَ إِنَّکَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً» (۱)من مظاهر رحمه اللّه بالإنسان ان ربنا و فر فرصه الكمال فى الهدايه للبشر.

۳-الرحمه.و هى هدف بعث الرسل،و نعنى بها انّه ينبغى للناس أن يعيشوا فى هذه الدنيا مطمئنين،و مرحومين لا محرومين،و قد وفّر اللّه فرصه الرحمه للإنسان إن شاء استفاد منها.

بينات من الآيات:

[۷۴] وَ إِنَّ رَبَّکَ لَیَعْلَمُ ما تُکِنُّ صُدُورُهُمْ

۱- ۱) سوره طه/(۱۲).

من نوایا و توجیهات و أفکار.

وَ مٰا یُعْلِنُونَ و هو أولی بالنسبه لمن یحیط بالسرّ،و لعل الآیه تشیر إلی مخالفه قولهم لنیاتهم.

[۷۵] وَ مٰا مِنْ غٰائِبَهٍ فِی السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ إِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مُبِینٍ ما من شیء یغیب عن أنظارنا أو علمنا و خیالنا إلاّ و یحیط به کتاب ربّنا،و هو القرآن الذی أودعه اللّه مفاتیح الغیب و اسمه الأعظم،و معارف الحیاه،و لکنّه خصّ بعلم تأویله الراسخین فی العلم فقال: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتٰابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنٰا مِنْ عِبٰادِنٰا» و کان الرسول و أئمه الهدی من أهل بیته هم الذین اصطفاهم و ارتضاهم الرّب سبحانه،و بذلک جاءت نصوص عدیده (۱)[۷۶] إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ یَقُصُّ عَلیٰ بَنِی إِسْرٰائِیلَ أَکْثَرَ الَّذِی هُمْ فِیهِ یَخْتَلِفُونَ [۷۷]کما أنّ القرآن یحمل فی طیاته الهدی و البصیره.

وَ إِنَّهُ لَهُدیً وَ رَحْمَهٌ لِلْمُؤْمِنِینَ و الهدی هنا بمعنیین:الأوّل:هو المرحله التی تعنی مجرد فکّ اللغز،و الثانی:

هو أن تصل الی ما ترید الوصول الیه من المعارف المعنویه،و من بناء الذات و العروج بالروح الی سماء الإیمان.

فالقرآن سعاده و فلاح-و لکن بشرط أن یفهمه المؤمنون-برنامج عمل،

۱- ۲) راجع تفسیر نور الثقلین/ج(۴)ص(۹۶).

و منهاج حياه،يحصلوا من خلال تطبيقهم له على السعاده و الرحمه.

[۷۸]و يقضى الربّ سبحانه و تعالى بين الحق و الباطل فى مواقف شتى:

الف:عند الميزان فى يوم الحساب،حيث آخر الموازين القسط لذلك اليوم و هم لا يظلمون.

باء:عند ما يختلف الناس،و يريدون فضّ خلافاتهم على أساس عادل يجدون القرآن الكريم الذى هو القضاء الفصل،كما يجدون الإمام العادل الذى يفقه الكتاب و يحكم به و قد استحفظ كتاب ربه.

جيم:عند ما يقضى بهلاك الباطل و نصره الحق.و لا راد لقضائه سبحانه.

إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ [۷۹]و ما دام الأمر كذلك،فلا تخشى أحدا:

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ما دام الحق ينصر،و أنت على الحق،فتوكل على اللّه،وثق بالنصر و الغلبه.

[۸۰]و لا تأبه بجحود المعاندين،و ما عليك الا البلاغ.

إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتىَ وَ لاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ يستحيل أن يسمع الإنسان ميتا النداء،ليس لإشكال فيه بل لأنّ الميت فاقد لجهاز الاستقبال،و قد قال الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حيّا و لكن لا حياه لمن تنادى

أمّا الأصم الذى لا يسمع فانه قد يفهمك من خلال حاسه البصر،عبر الإشارات و بعض حركات الفم،أما إذا أدبر فكيف يفهم ما تقول له؟! [۸۱]و هؤلاء الذين لا يستقبلون كلامك-أيّها الرسالى-ينبغى أن لا يؤثّروا عليك،فتصاب بردّه فعل أو تشكك فى خطّك و رسالتك،لأنّ الإشكال الحقيقى فيهم،حيث أنّهم لا يملكون جهاز استقبال.

وَ مٰا أَنْتَ بِهٰادِى الْعُمْيِ عَنْ ضَلاٰلَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلاّٰ مَنْ يُؤْمِنُ بِآيٰاتِنٰا فَهُمْ مُسْلِمُونَ الذى أسلم نفسه للحق،و هيّأها لاستقبال الهدايه يمكن أن يستمع إليك،لا الذين عميت بصائرهم،و ماتت قلوبهم.

[سوره النمل (۲۷): الآیات ۸۲ الی ۹۳]

اشاره

وَ إِذا وَقَعَ اَلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ اَلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ اَلنّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ (۸۲) وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ (۸۳) حَتّى إِذا جاؤُ قالَ أَ كَذَّبْتُمْ بِآياتِي وَ لَمْ تُحِيطُوا بِها عِلْماً أَمّاذا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۸۴) وَ وَقَعَ اَلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِما ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنْطِقُونَ (۸۵) أَ لَمْ يَرَوْا أَنّا جَعَلْنَا اَللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَ اَلنَّهارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۸۶) وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي اَلصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي اَلسَّماواتِ وَ مَنْ فِي اَلْأَرْضِ إِلاّ مَنْ شاءَ اَللّهُ وَ كُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِينَ (۸۷) وَ تَرَى اَلْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ اَلسَّحابِ صُنْعَ اَللّهِ اَلَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ (۸۸) مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (۸۹) وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي اَلنّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاّ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۹۰) إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذِهِ اَلْبَلْدَةِ اَلَّذِي حَرَّمَها وَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ (۹۱) وَ أَنْ أَتْلُوَا اَلْقُرْآنَ فَمَنِ اِهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّما أَنَا مِنَ اَلْمُنْذِرِينَ (۹۲) وَ قُلِ اَلْحَمْدُ لِلّهِ سَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَتَعْرِفُونَها وَ ما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ (۹۳)

اللغه

۸۲[دابه]:أی حیوان،من دبّ أی سعی علی سطح الأرض.

۸۳[یوزعون]:أی یدفعون،و قیل:یحبسون و هو الأقرب.

۸۷[داخرین]:أذلاء صاغرین،من دخر بمعنی ذل.

وَ كُلٌّ أَتَوْهُ دٰاخِرِينَ

هدى من الآيات:

ربما تلخّص لنا الآيه الاخيره من هذا الدرس مفهوم السوره كلّها،فهى من جهه تعرّفنا باللّه سبحانه،و بأسمائه الحسنى،مما يثير فينا الإحساس بالحمد،فتجرى على ألستنا كلمه الحمد عفويّا و دونما تكلّف،و نحن لا نستطيع إلّا ذم أنفسنا التى اختارت الشقاء،أما ربّنا فإنّه يستحق الحمد بكل تأكيد،فقد خلق الكون برحمته، و أجرى فيه سننه،كما أجرى فى قلوبنا تيارا من العقل و العلم و الإراده لكى نستفيد مما فى الحياه من سنن.

و لكن تبقى مشكلتنا نحن الذين لا نستفيد من تلك السنن،و لا من هذا التيّار الخيّر،و لذلك فإنّ سنه إلهيّه أخرى سوف تقضى علينا و هى سنه الجزاء التى يؤكّدها هذا الدرس.

و حينما يفسد الناس فلا يبقى فيهم من بركات الرسالات الإلهيه شىء،فينتشر

الفساد فی الأرض،و لا یبقی إلّا لکع أبن لکع،کما قال الرسول صلی الله علیه و آله آنئذ یحین موعد الساعه،و تقوم القیامه،و التی من علاماتها و أشراطها خروج دابّه من الأرض تکلّم الناس،الذین یحشرون یومها علی صوره مجامیع،طیّبین و خبیثین،فنشهد علی الخبیثین بأنّهم معرضون عن آیات اللّه کما یشهدون علی أنفسهم،فیبدأ الحساب ثم الجزاء.

و یلاحظ أنّ القرآن یذکّرنا بحکمه اللّه عند ما یتعرّض لذکر القیامه و یوم البعث،فما هی العلاقه بین ذکر الآخره،و التذکره بحکمه اللّه؟ إنّنا عن طریق الإیمان بحکمه اللّه لما نراه من آثارها فی کلّ أجزاء الکون،نؤمن بالآخره،فما دام لکلّ شیء غایه ینتهی إلیها،إذن فلا بد أن یکون خلق الإنسان لهدف مّا،و لو فکّرنا لوجدنا أنه البعث من بعد الموت.

ثم یحدّثنا ربنا عن بعض آثار الحکمه فی الخلق،فلو نظرنا الی الجبال لظننّا أنها ساکنه لا- تتحرک بینما هی تمر فی حرکتها کالسحاب،و الذی یخلق عالما بهذه الدقه المتناهیه،هل خلقه بعلم أم بجهل؟! بالطبع خلقه بعلم،فهو یعلم أیضا ما نعمله نحن البشر.

ثم تستعرض الآیات بعض مشاهد یوم القیامه،و تشیر إلی جزاء المحسنین الذین یؤمنهم اللّه من فزع ذلک الیوم-الذی لا یستثنی أحدا غیرهم-أما الکفّار فإنّهم یلقون علی وجوههم فی جهنم خالدین.

و یخبرهم الرسول صلی الله علیه و آله بأنّ اللّه أمره بأن یعبده و هو ربّ مکه الذی حرّمها و له کلّ شیء،و أن یتلو القرآن(الذی کفاه هادیا)فمن اهتدی فلنفسه،و من ضلّ فعلیها،و لیس الرسول صلی الله علیه و آله و کیلا عنه،إنّما هو نذیر،و الحمد للّه أبدا.

و يختم السوره بإنذارهم بالآيات التى سيريهم،و يبدو أنّها آيات العذاب.

بينات من الآيات:

[۸۲] وَ إِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أى انتهى أجلهم،و صار يوم الجزاء.

أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ و لأنّهم لم يؤمنوا تمّ القضاء عليهم قضاء مبرما،و هذا هو بيان المحكمه الإلهيه الذى تقرأه الدابه.

و لقد أختلف المفسرون فى معنى الدابه على قولين:

الأوّل:إنّ الدابّه التى تكلّم الناس حيوان يختلف عن سائر الدواب،كأن يكون رأسها رأس فيل،و جسدها جسد وحيد القرن.

الثانى:إنّ الدابه إنسان،فكل ما يدبّ على الأرض يسمى دابّه فى اللغه، و كلامها مع الناس يؤكد هذا المعنى،إذ لا يتكلّم من الدوابّ غير الإنسان،و قد أكد اللّه سبحانه فى كتابه هذا المعنى فى موضعين،إذ قال-عز من قائل-: «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ» و قال تعالى: إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (۱)

و نقل بعض المفسرين روايه مأثوره عن عمار بن ياسر(رض): أن المراد بهذه الدابه هو الامام على عليه السلام الذى يخرجه اللّه حيّا من

۱- ۱) الأنفال/(۲۲-۵۵).

بعد استشهاده،فيقرأ على الناس بيان انتهاء الدنيا،و بدايه عهد الآخره،و أنّ وعد اللّه حق،إلاّ أنّ أكثر الناس لا يؤمنون،إلاّ بعد فوات الأوان.

قال أبو بصير،قال أبو عبد اللّه عليه السلام :

«انتهى رسول اللّه صلى الله عليه و آله إلى أمير المؤمنين عليه السلام و هو قائم فى المسجد،قد جمع رملا و وضع رأسه عليه،فحركه برجله،ثم قال:قم يا دابّه الأرض،فقال رجل من أصحابه:يا رسول اللّه أ يسمّى بعضنا بعضا بهذا الاسم؟!فقال:لا و اللّه ما هو إلاّ له خاصه،و هو الدابه الذى ذكره اللّه فى كتابه،فقال عزّ و جلّ: وَ إِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّهً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ ثم قال:يا على إذا كان آخر الزمان أخرجك اللّه فى أحسن صوره،معك ميسم تسم به أعداءك » (۱)و على هذا فهذه الآيه تشير إلى الرجعه،حيث تتظافر أحاديث آل البيت أنّ هناك قيامه صغرى قبل القيامه الكبرى،و فى ذلك اليوم يبعث بعض المجرمين و بعض الصالحين،و على هذا فالآيه التاليه تشير أيضا الى هذا اليوم.

[۸۳]و إذا قامت القيامه الصغرى حشر اللّه من كلّ أمّه فوجا من مجرميها، يخرجهم إلى الدنيا قبل غيرهم،ليشهدوا على أنفسهم،و يشاهدوا جرائمهم، و تكذيبهم بآيات اللّه.

وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّهٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنا فَهُمْ يُوزَعُونَ [۸۴]و هناك تجرى محاكمتهم:

۱- ۲) نور الثقلين ج(۴)ص(۹۸).

حَتّٰى إِذٰا جٰاؤُ قٰالَ أَ كَذَّبْتُمْ بِآيٰاتِي وَ لَمْ تُحِيطُوا بِهٰا عِلْماً أَمّٰا ذٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ من الأخطاء التى يقع فيها البشر،هو تكذيبهم بالحقائق لأنهم لم يحيطوا علما بجوانبها المختلفه،كالذى لا يؤمن بوجود منطقه فى العالم اسمها أمريكا اللاتينيه، لأنه لم يعرف تفاصيل الوضع هناك،هذا هو حال الكفّار الذين كذبوا بالآخره لعدم إحاطتهم بجوانبها المختلفه،و معنى الآيه:أكذبتم بآياتى دون أن تحيطوا بها علما،أم كنتم تعملون عملا آخر غير التكذيب؟!كلا..إنّكم كنتم مشغولين بالتكذيب حتى صار شغلكم الشاغل،و الآيه بهذا المعنى تتشابه و قوله سبحانه:

بَلْ كَذَّبُوا بِمٰا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمّٰا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ (۱) [۸۵]و جرى قضاء اللّه سبحانه فيهم بالعذاب بسبب ظلمهم،و لم يحتّجوا على ذلك لعدم وجود حجه بالغه لهم.

وَ وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمٰا ظَلَمُوا فَهُمْ لاٰ يَنْطِقُونَ إذ لا يجدون عذرا و لا منطقا يخلّصهم من المسؤوليه،لأنّ اللّه محيط بكلّ شىء، و له الحجه البالغه،حيث تشهد أيديهم و جوارحهم عليهم،و إذا كان الإنسان يستطيع المراوغه و التكذيب فى محاكم الدنيا فهو لا يستطيع ذلك فى الآخره.

[۸۶]و من احتجاجات اللّه عليهم أنه يقول لهم:هل كانت الآيات و الدلالات على الإيمان قليله أو غامضه حتى كفرتم؟! أَ لَمْ يَرَوْا أَنّٰا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهٰارَ مُبْصِراً

۱- ۳) يونس/(۳۹).

و كل ذلك من آثار حكمه اللّه التى تدلّنا على الآخره،و تبعث فينا الإيمان بها لو كنّا نريد الإيمان،فلو كانت الحياه كلّها ليلا أو العكس لاستحالت الحياه.

إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إنّ فى اختلاف الليل و النهار،و ما يحملانه من تغيّرات هائله فى الطبيعه،و تدبير تصريفهما بتلك الدقه المتناهيه،إنّ فى ذلك علامات تشهد على الحقيقه،إلّا أنّ القلوب القاسيه لا تستفيد منها شيئا.

[۸۷]و مع أنّ الآيات واضحه و تكفى دلالله للإنسان على الآخره و البعث،إلاّ أنّ أكثر الناس يأتى إيمانهم متأخرا حين تقع القيامه،و هل ينفع ذلك الإيمان إذا ضيّعنا فرصه العمل فى الدنيا؟! وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ و يبقى المؤمنون مطمئنه قلوبهم،فلما ذا يخافون و قد عملوا بمرضاه اللّه،و استعدوا لهذا اليوم؟!إنّهم على العكس من ذلك ينتظرون ساعه الجزاء،و دخول الجنه، و لقاء اللّه.

إِلاّٰ مَنْ شٰاءَ اللّٰهُ وَ كُلٌّ أَتَوْهُ دٰاخِرِينَ خاشعين،مطأطئين رؤوسهم.

[۸۸]لقد بيّن اللّه لنا آيه من واقع الليل و النهار تدلّنا على حكمته،و الآن يضرب لنا من حركه الأرض آيه على أنّه خبير بما يعمله العباد.

و هذه من آيات القرآن الحكيم انه يبيّن لنا حركه الأرض من قبل أن يكتشفها

البشر،و ضرب مثلا رائعا لها حين شبّهها بحركه السحاب التى قد لا يحسّ بها البشر أيضا.

وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ فى حركتها،و لكننا لا نشعر بذلك.

صُنْعَ اللّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ فهو يؤدّى وظيفته على أكمل وجه،و بلا أىّ خلل.

إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما تَفْعَلُونَ [۸۹]الإتقان المتجلّى فى الخلق يدلّنا على حكمه الصانع،و أنّ للإنسان هدفا يحاسب عليه،فإمّا ينتهى إلى الجنه أو إلى النار.

مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْها وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ المؤمنون الذين تكون مجمل أعمالهم حسنه يحسّون بالاطمئنان يوم الفزع،و ذلك بسبب طاعتهم للّه-الذى تطمئن القلوب بذكره-و أوّل ما يخرج المؤمن من قبره يوم البعث يجد على يمينه و شماله ملكين يسلّمان عليه،و يفرغان السكينه فى روعه، كما أن اللّه يجعل للمؤمن نورا فى جبهته من نور أعماله الخيّره،يضىء له فى المحشر.

[۹۰]و فى المقابل نجد الكافر و المنافق يتخبّطان فى الظلمات فلا يبصران الطريق.

وَ مَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَهِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النّارِ

و هذا المصير ليس بظلم من اللّه-حاشاه-بل هو نتيجه أعمالهم،لذلك يأتيهم النداء و هم يتجرعون العذاب مؤكدا على أنه جزاء عادل لأعمالهم.

هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاّ مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [۹۱]ثم إنّ ربّنا سبحانه ذكرهم بالنعمه التى كانوا يرفلون فيها،و أنّه هو الذى أسبغها عليهم،و هى نعمه الأمن فى الحرم المكى،فقال:

إِنَّمٰا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هٰذِهِ الْبَلْدَهِ الَّذِى حَرَّمَهٰا و ليس الأصنام التى وضعت فيها.

وَ لَهُ كُلُّ شَىْءٍ فهو ليس ربّ البلده وحدها،بل ربّ كلّ شىء.

وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إنّ من علامات الرسول و آياته كما من أهم واجباته أنه يطبّق القيم التى جاء بها على نفسه،ثم يأمر الناس بذلك.

[۹۲]كما أنّ من مسئوليات الرسول تبليغ الرساله إلى الناس على أكمل وجه،أمّا ماذا يكون بعدها أ يهتدى الناس أو يتمادون فى الضلاله فذلك ليس من شأنه.

وَ أَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدىٰ فَإِنَّمٰا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمٰا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ

[۹۳] وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ و حينما نحمده فإنّما نعكس نظرتنا إلى الحياه بأنّها قائمه على أساس الخير، أمّا الشر فهو من أنفسنا،ذلك أنّ الحمد تنزيه للّه بأنّ خلقه كان حميدا و صالحا.

سَيُرِيكُمْ آياتِهِ فَتَعْرِفُونَها آيات اللّه تتجلّى فى كلّ شىء من حولنا و فى أنفسنا،بينما أكثر الناس لا يرونها،و لكنّ اللّه سيعرّف الجاحدين آياته الخارقه بحيث يرونها،و لكن يومئذ تنتهى فرصتهم،و تحين ساعه الجزاء.

وَ ما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ

سوره القصص

اشاره

ص:۲۴۷

الإطار العام

اشاره

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الاسم:

جاءت كلمه(القصص)اسما لهذه السوره التى احتوت على مجموعه متناثره من القصص القصيره ذات العبره المشتركه.

الإطار العام:

ظاهره حكم و باطنه علم،هكذا وصفت الروايات كتاب ربنا العزيز،و انك إذا نظرت الى ظاهر سوره القصص استفدت الكثير من الأحكام،و لكنها فى باطنها بصائر علميه تهدينا الى مجموعه متكامله من الحقائق،أبرزها:

ان ظاهر الدنيا غير واقعها،فهى تغرّ بزبرجها،و تضرّ بمخبرها،تبدو لناظرها ان الناس قادرون عليها،الا أنّ يد الغيب هى التى تحرك حوادثها بالنهايه،فعلينا- إذن-عدم الاطمئنان إليها،و على أصحاب الدعوه الاّ يخافوا من أولى القوه و الثروه من أهلها.

و لکی یهدینا السیاق الی هذه الحقیقه،یفصل القول فی مسائل شتی تلتقی بالتالی و تلک الحقیقه:

أ-یبین السیاق بتفصیل کیف تمتد ید الغیب لنصره أصحاب الرساله، و کیف تجری الألطاف الخفیّه لربنا المقتدر الحوادث لتنتهی إلی الغایه المقدره.

فرعون علا فی الأرض،و استضعف طائفه من الناس.هذا ظاهر الحیاه الدنیا، أمّا حقیقتها فهی إراده اللّه علی وراثه المستضعفین،و التمکین لهم فی الأرض،و ان یذیق فرعون و هامان و جنودهما ما کانوا یحذرون منهم،و بأیدی المستضعفین أنفسهم.

لننظر کیف تتحقق هذه الإراده العلیا؟ فرعون یقتل أولاد بنی إسرائیل الذکور،و لکن اللّه یأمر أمّ موسی بوضع ولیدها فی التابوت،و قذفه فی النیل.

یتلقط زبانیه فرعون التابوت فیهّم بقتله،و لکن ید الغیب لا تدعه.إذ یوحی الی زوجه ان تمنعه من ذلک،لینمو عدوه و ماده حزنه فی بیته.

أم موسی تکاد تبوح بالسّر جزعا علی ولیدها،و اللّه یربط علی قلبها.

ثم یبحثون له عن مرضعه من غیر بنی إسرائیل،بید ان اللّه یحرّم علیه المراضع حتی یرده إلی أمّه کی تقر عینها و لا تحزن.

یذیع الرجل سر القیاده بعد مقتل القبطی،و القائد-بدوره-یشتبه(علی قول) فی المبادره بقتل القبطی،فیطلب من اللّه ان یستره،فیفعل.

یتآمر فرعون و ملأه بقتله،فیبعث اللّه الیه رجلا مؤمنا لیخبره بذلک،و یهیئ له الرب أمر الهجره الی مدین،و یقدّر هناک من یستقبله.

هکذا یعلم حمله رسالات رب ان اللّه معهم،و ان هناک حوادث خفیه تجری رغم الطغاه لمصلحه الرساليين فلا یهنوا و لا یحزنوا.

ب-و لا تعنی الألطاف الخفیه لربنا ان ینام الرساليون علی حریر الامانی، بل علیهم ان یکونوا حذرین،و ان یتعالوا علی الطغاه بذکاء أحدّ،و انضباط أشدّ، و تضحیات سخیه.کیف؟ یتلو علینا الرب فی سوره القصص-التی نسلتهم منها دروسا عظیمه فی أساليب الحرکه الرساليه-قصه زوج فرعون،و مؤمن آله فرعون،اللذین کانا فی الظاهر فی السلطه،و یعملون فی الباطن لصالح الرساله،کما یبیّن کیف کانت الحرکه حذره،حیث ان أخت موسی تابعت بحذر شدید تابوت أخیها،(و لعلها لصغر سنها أو لأنها امرأه بکر،لم تکن تثیر انتباه أحد).

اما موسی علیه السلام فقد دخل المدینه علی حین غفله من أهلها عملا بالتقاه،و أذاع غویّ من بنی إسرائیل السر،و ورّط الحرکه کلها،مما یحذرنا عن مثل ذلک،ثم یبین القرآن کیف کان موسی مترقّبا حین خروجه من المدینه،و کیف اختار مدین فی خطه مرنه،لأنه کان یدعو اللّه أبدا لیهدیه سواء السبیل.

و نقرأ فی موضع آخر من السوره آیه(۵۴)ثناء القرآن علی أهل الصبر و التقیه، و هم البقیه المؤمنه من أهل الکتاب،الذین اتسموا بصفات الصبر،و درء السیئه بالحسنه،و الإنفاق،و الإعراض عن لغو الجاهلین و جدلیاتهم،و هذه الصفات هی برامج أصحاب الرساله فی عصر التقیه و العمل السری.

و فی سیاق سوره القصص نقرأ عن أخلاقیات المهاجر فی سبیل اللّه،و فی طلیعتها الإحسان الی الناس،و الاحتفاظ بقیم الرساله بالرغم من مشاکل الهجره،و وفاؤه بالحقوق(لقد قضی موسی أبعد الأجلین)و تجذّره فی بلاد الهجره عبر الزواج.

ج-و سوره القصص ترکز-فیما یبدو-علی دور شخصیه القائد و صفاته، فبعد بیان إراده اللّه بإنقاذ المستضعفین نقرأ مباشره قصه ولاده موسی علیه السلام ثم ان موسی علیه السلام تتجلی شخصیته فی صوره قائد مغیّب،ثم یحضر فجأه فی میدان الصراع لینصر واحدا من شیعته،ثم تلاحقه أجهزه النظام فیها،و تبقی صفه الإحسان أبرز صفاته قبل ابتعاثه رسولا،و یؤکد السیاق انها وراء اصطفائه بالعلم و الحکم «وَ کَذٰلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ» و نجد ذلک عند ما یتجاوز ذاته،و کل علاقته بالدنیا عند ما یتلقی الوحی فی الجانب الغربی عند الشجره:

د-و فی الجهه المعاکسه تبرز شخصیته أمام الکفر(فرعون)و رمز المال الطاغی (قارون)و مثال البیوقراطیه الفاسده(هامان).

ه-و تذکر السوره بتواصل الوحی من موسی-علیه السلام-الی محمد- صلی اللّه علیه و آله و سلم-بهدف التذکره خصوصا لقوم ما أنذروا من قبل، و الرساله هذه التی تشابه رساله موسی علیه السلام حدث غیبی ینذر بها الرب القوم الضالین بین یدی عذاب شدید،و انهم انما یتبعون أهواءهم،لأنهم یطالبون دائما بآیات جدیده فیقولون مثلا:لماذا لا یأتی النبی بآیه شبیهه بما ظهرت علی ید موسی،مع أنهم کفروا بما أنزل علی موسی.

و بعد ان یبین السیاق صفات المؤمنین الصادقین من أهل الکتاب،الذین یسارعون الی الإیمان بالنبی،یبین شبهه أخری یتشبث بها الجاحدون،إذ یقولون:

نخشی ان نفقد لو آمنا السلام الذی ننعم به فی الحرم،و یردها الرب:

أولا:ان اللّه هو الذى وفّر هذا الأمن لهم.

ثانيا:ان البطر(الفرح بالأمن و الغرور به)أهلك قرونا سالفه،و لكن اللّه لم يهلكهم حتى بعث إليهم رسولا،يتلو عليهم آياته.

ثالثا:ان متاع الدنيا فى الآخره قليل،و ليسوا سواء من متاعه اللّه بالدنيا، و أحضره للحساب و العقاب يوم القيامه،و من وعده اللّه وعدا حسنا فهو لاقيه.

و-فى خواتيم سوره القصص يحذرنا الرب من الشرك به-أندادا-أولى سلطه كانوا أو ذوى ثروه،ففى يوم الحساب يحضرهم جميعا أئمه الغى و من اتبعوهم(و أشركوا باللّه بطاعتهم)فيتبرءون من بعضهم،و تعمى عليهم الأنباء،و لا يتساءلون،و يذكرنا الربّ بأن من يختار لنا القياده هو الرب،تعالى الرب عما يشركون.و بعد ان يذكرنا ربنا بهيمنته على الخليقه،و أنه لو أعدم ضياء النهار،أو اسكن الليل فما ذا كنا نعمل؟! بعد ذلك يعود السياق الى موضوع الشرك،و لكن هذه المره يعالج الشرك بأصحاب الثروه.ابتداء من قصه قارون الذى كان من قوم موسى فبغى عليهم، و انتهى به المطاف الى الهلاك،فخسف اللّه به و بداره الأرض،و ما قدر أحد على نصره.

و فى الدرسين الأخيرين يحدد اللّه الموقف السليم من السلطه و الثروه،و هو موقف التسامى عليها،ذلك لأن الدّار الآخره يجعلها اللّه للذين لا يريدون علوّا فى الأرض و لا فسادا،و العاقبه للمتقين.

و يرغبنا الذكر فى فعل الخيرات،لأن من جاء بالحسنه فله خير منها،بينما لا يجزى الذين يعملون السيئات إلّا ما كانوا يعملون.

و يبشر رسوله بالعوده الى معاده،و يبيّن ان الكتاب رحمه من الرب،و عليه أن يجاهد به الكفار،و يواجه ضغوطهم.

ص:۲۵۴

[سوره القصص (۲۸): الآیات ۱ الی ۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . طسم (۱) تِلْكَ آيٰاتُ اَلْكِتٰابِ اَلْمُبِينِ (۲) نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسىٰ وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (۳) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاٰ فِي اَلْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَهٰا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طٰائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنٰاءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِسٰاءَهُمْ إِنَّهُ كٰانَ مِنَ اَلْمُفْسِدِينَ (۴) وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى اَلَّذِينَ اُسْتُضْعِفُوا فِي اَلْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ اَلْوٰارِثِينَ (۵) وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي اَلْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هٰامٰانَ وَ جُنُودَهُمٰا مِنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَحْذَرُونَ (۶) وَ أَوْحَيْنٰا إِلىٰ أُمِّ مُوسىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذٰا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اَلْيَمِّ وَ لاٰ تَخٰافِي وَ لاٰ تَحْزَنِي إِنّٰا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جٰاعِلُوهُ مِنَ اَلْمُرْسَلِينَ (۷) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هٰامٰانَ وَ جُنُودَهُمٰا كٰانُوا خٰاطِئِينَ (۸) وَ قٰالَتِ اِمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ لاٰ تَقْتُلُوهُ عَسىٰ أَنْ يَنْفَعَنٰا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ (۹)

اللغه

۴[شیعا]:أی طوائف جمع شیعه و هی الطائفه التی تتبع مسلکا خاصا.

يَدُ اللّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ

هدى من الآيات:

تدور آيات السوره كما يبدو من فاتحتها حول السلطات الفاسده،و كيفيه القضاء عليها،كما تبحث موضوع الحركات الرساليه التى عن طريقها يبدل اللّه- سبحانه و تعالى-حاكما ظالما بآخر عادل،و سلطه فاسده بأخرى صالحه،و نستطيع أن نستوحى هذه الحقيقه و بصوره واضحه من الصراع الرسالى الذى قاده موسى عليه السلام مع بنى إسرائيل ضد فرعون بجاهليته،و المستكبرين من ملئه.

و قبل كل شىء يبيّن القرآن لنا أن للصراع أداه إيديولوجيه،و عوامل ثقافيه،و ان أبرز أدوات الصراع الرسالى الجاهلى،و أوسع قنواته،و أفضل عوامله المؤثره فى انتصار جبهه الحق هو القرآن الحكيم،لذلك تبدأ هذه السوره بإشاره مبينه الى القرآن ذاته، و بعدئذ يبين القرآن أسباب الصراع،و لماذا ينهض الرساليون،و يفجرون الثورات ضد السلطات الجاهليه عبر التاريخ؟ و يجيب القرآن بأن المسؤول الاول عن الصراع هو امام الجاهليه،و النظام الذى

يجسده،فلأنّ فرعون خرج عن سنه اللّه،و علا فى الأرض،و عاث فيها الفساد بشتى ألوانه و صوره،و استضعف طائفه من المجتمع فسلب حقوقهم،لذلك كلّه فإنه هو المسؤول عن الصراع و آثاره،و ليست الحركه الرساليه.إذ لا يمكن للناس ان يسكتوا عن سلطه تضيع فى ظلها حقوقهم و حرياتهم،و الذى يزرع بذور الثوره بظلمه و فساده لا- يحق له بعد ذلك ان يتهم الرساليين بالإرهاب و الشغب،و هكذا تبدأ السوره بالإشاره إلى سبب الصراع و هو فرعون.

ثم يمضى السياق يبيّن سنتين فى هذه الحياه:سنه يرعاها قضاء اللّه،و سنه يجريها قدره سبحانه،فقدر اللّه فى الحياه ان السلطه التى تتمسك بأسباب القوه، و الاستمرار الماديه و هى الإرهاب و الإغراء و التضليل فانها تبقى و تستمر،و لكن فوق هذه السنه سنه و قانون أعلى و هو قضاء اللّه،فالعداله الإلهيه تأبى ان تستمر سلطه جائره تعتمد على هذا الثالوث،فيأبى اللّه ذلك و هو العزيز الرحيم،الذى أجرى الأشياء بالحق،و خلقه كل شىء لحكمه و هدف.يا ترى هل يدع الناس و هم عياله يسحقون تحت أقدام الجبابره؟!كلا..

ان هناك اراده عليا يعبر عنها القرآن الحكيم فى هذه السوره بصوره واضحه حين يقول: «وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ» و لكن كيف تتم هذه الاراده؟فهل إراده انتصار الحق على الباطل تتحقق بحركه كونيه تنطلق من النجوم؟أو بإشاعه مرض قاتل فى صفوف المستكبرين؟ ربما يتحقق ذلك عن هذا الطريق،و لكن الأكثر أن إراده انتصار الحق على الباطل التى هى اراده اللّه لا تتحقق من خلال العوامل الغيبيه فقط،و إنما على أيدى المؤمنين أنفسهم،و قبلهم قيادتهم و أمامهم،لذلك نجد السياق القرآنى فور ما يحدثنا عن إراده اللّه العليا فى الإنتصار،يبين لنا أن هذه الإراده لا تتحقق إلّا بتربيه قائد

رسالى فيقول: «وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى» .

حينما أراد ربّنا إنقاذ بنى إسرائيل من هيمنه فرعون خلق قائدا رساليّا،و رعاه منذ الطفوله،و تدرجت مراحل النصر بعد أن أمر اللّه أم موسى بأن اقذفيه فى اليم، ليحمله الماء الى ساحل قصر فرعون،فجعل اللّه تربيته هناك رغم إصرار فرعون على ذبح كلّ طفل ذكر،و هكذا تجرى سنن اللّه إلى أن يقضى اللّه على فرعون و نظامه.

ان موسى عليه السلام تجلّ كريم لإراده اللّه،و كان مركز تحقق القضاء الإلهى فى ذلك المجتمع،و إرادته لتحقيق العداله الإلهيه الغيبيه،و تؤكد هذه السوره كما الكثير من سور القرآن على ان هذا القضاء يتحقق بأمرين:أحدهما عمل الناس،و الآخر إراده اللّه،فمن جهه نجد موسى يقبض زمام المبادره ليتحول إلى إمام للثائرين ضد فرعون و جلاوزته، و يخوض الصراع ببنى إسرائيل و المؤمنين من حوله،و من جهه أخرى تحوطه العنايه الإلهيه و ترعاه،و يمكن لنا القول بأن سنه القدر يجريها اللّه سبحانه و تعالى،بينما يرعى سنه القضاء،و لكنها قد تجرى على أيدى الناس أنفسهم.

و هكذا جرى قضاء اللّه،بنصر موسى عليه السلام و من اتبعه بإحسان.

بينات من الآيات:

وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ:

[٢-١] طسم* تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ ان هذه المقطعات اشاره الى القرآن،بل هى جوهره،و بتعبير أفضل هى الماده الأوليه التى يتألف منها القرآن الحكيم،و تكتب بها كلماته،و هى تحمل فى طياتها النور و الهدى،و هو رموز و إشارات يعرفها أولياء اللّه،و لعلها مفاتيح علوم

السوره.

[۳]و هذا الكتاب سوف يكون،أداه لنقل التجربه العظمى لكم أيها البشر، و لك أنت يا من تخوض صراع الحق ضد الباطل.

نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسىٰ وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ فالحياه قائمه على الحق،و يجرى الحق على كل اجزائها،و لكن من الذى يستفيد من هذه القصص؟ انهم المؤمنون،فلو لم تكن استجابه للحق من قبل الناس،فإنهم لا يستفيدون من القرآن الكريم،حتى و لو قرءوه الف مره،أو حفظوا آياته حروفا و كلمات.

اذن حتى تستفيد من القرآن يجب ان تؤمن و تسلم له،و ما دام هذه القصص حقّا فلا يجد لها انعكاسا إلّا فى قلوب المؤمنين الذين يملكون قابليه فهم الحق.

[۴]ثم يبدأ القرآن بالحديث عن فرعون رمز الفساد و الباطل:

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاٰ فِي الْأَرْضِ لقد استعلى فرعون و سيطر على الناس،و لكن لم يستفد من السلطه فى خير شعبه و لا نفسه،و فى آيه قرآنيه تأتى فى آخر هذه السوره يقول ربنا: «تِلْكَ الدّٰارُ الْآخِرَهُ نَجْعَلُهٰا لِلَّذِينَ لاٰ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لاٰ فَسٰاداً وَ الْعٰاقِبَهُ لِلْمُتَّقِينَ» .

ان الذى يحب الرئاسه و السيطره،و يتحول الحكم عنده من وسيله إلى هدف، فإنّه ينشر الفساد،و كم من الجرائم وقعت فى التاريخ،و لا زالت على مذبح حب الرئاسه.

و من طرائف التاريخ:ان الامام موسى الكاظم-عليه السّلام-دخل يوما على الرشيد،فأجلّه و احترمه بصوره أدهشت الجالسين حوله،و لما أراد الإمام أن يقوم من مجلسه،قام الرشيد و أقبل على الأمين و المأمون قال:يا محمد و يا إبراهيم!سيروا بين يدى عمكم،و سيدكم،و خذوا بركابه و سووا عليه ثيابه.

فاستغرب المأمون من أبيه هذا الصنيع، فسأله عن سبب هذا الاحترام و التقدير،فقال الرشيد:يا بنى انه صاحب الحق،فقال له المأمون:إذا كنت تعلم ذلك فرد عليه حقه،فنظر اليه والده و قال:الملك عقيم،و اللّه لو نازعتنى الذى انا فيه لأخذت الذى فيه عيناك.

و هذه صوره من التاريخ عن الإنسان حينما يضحى الحكم عنده هدفا،فهو يتشبث به حتى لو خالف العقل و الشرع فى وسائله للوصول اليه،و فرق كبير بين الذى يريد الحق و الآخر الذى يريد العلو و التسلط.

و فرعون كان يريد العلو،لذلك أفسد فى الأرض،و أعظم إفساده التمييز الطائفى،حيث جعل فريقا من الناس متسلطا على الفريق الاخر،و يبدو أن هذه طريقه كل نظام فاسد و هو تقسيم الناس إلى فريقين،فريق يحكم و فريق يستضعف،و قد يكون هذا التقسيم على أساس طائفى،أو عنصرى،أو حزبى أو غيرها،حيث تتعدد الصور و لا يختلف الجوهر،و هو صنع أداه للسلطه الفاسده يتحكم بها الطاغوت على الناس.

وَ جَعَلَ أَهْلَهٰا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طٰائِفَةً مِنْهُمْ إذا كانت الأمه متحده،فان الطاغوت لا يستطيع التسلطه عليها،لذلك سعى فرعون لتفريق بنى إسرائيل أحزابا،عملا بالقاعده الجهنميه(فرق تسد)التى هى

أداه السلاطين فی جرائمهم،إلّا أنّ فرعون لم یکتف بالتفرقه وحدها، و انما أضاف لها سیاسه أخری هی الإرهاب.

یُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ لو کان فرعون یذبح الأطفال الرضع الذین عاده ما تکون عواطف البشر مرکزه فیهم.فی هذا البرعم الصغیر،و فی هذه البراءه النقیه.

لکن الذی یرید السلطه،تتبلد مشاعره و یموت فیه الضمیر.

وَ یَسْتَحْیِی نِسَاءَهُمْ ای یبقیهن أحیاء للخدمه فی البیوت.

إِنَّهُ کانَ مِنَ الْمُفْسِدِینَ هذا هو الفساد و الذی یلخصه القرآن فی ثلاثه أمور:

۱-التفرقه،و بالتالی تحطیم الکیان الاجتماعی الموحد.

۲-القضاء علی النفوس البریئه.

۳-الاستثمار الطاقات البشریه بطریقه غیر مشروعه.

و هذه سنه القدر،أن یأتی فرعون،و یستخدم هذه الوسائل المنکره فی تدعیم نظامه و هی:إفساد المجتمع بعدم وحدته،و الإخلال بالأمن،و تحطیم أسس الإقتصاد.

[۵] وَ نُرِیدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَی الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا فِی الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ

أَئِمَّةً ان يشافى بسبب الطبيب مريض أمر معروف،أما أن يدعى بأنه سوف يجعل هذا المريض الذى يرتجف من مرضه أقوى رجل فى العالم،فذلك أمر مستبعد، و القرآن يقول إن إراده اللّه لا ترفع عن المستضعفين استضعافهم و حسب،بل تجعلهم أئمه و قاده للبشر،و هذا هو الهدف الأسمى لحركه التاريخ.

انهم سوف يغنمون كلّ ما لدى المستكبرين من نعم،و رياش،و أمتعه.

وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ [۶]و حينما يصل المستضعفون الى السلطه فإنّهم يتمكنون فى الأرض، و يثبتون سلطتهم،و ذلك حينما يقتلعون جذور الفساد،و ينبذون المستكبرين فى العراء كما فعل اللّه بفرعون و ملئه.

و من حقائق التاريخ:أن الأقباط الذين تحكّموا فى بنى إسرائيل،ظلّوا محكومين إلى يومنا هذا،و لم ترجع السلطه مره أخرى إليهم أبدا.

وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِى الْأَرْضِ وَ نُرِىَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما و سائر المستكبرين على مر العصور.

مِنْهُمْ اى من المستضعفين.

ما كانُوا يَحْذَرُونَ

حينما يصل المستضعفون إلى السلطه فسيذيقون المستكبرين العذاب الشديد، و سيرون منهم كل ما كانوا يحذرونه.

إِنّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ:

[۷]و لكن كيف يتم ذلك؟ يتم عنـد ما يوجد إمام و قائد رسالى،يتحمل المسؤوليه،و يفجر الثوره فى الجماهير،لننظر كيف أنبت اللّه شجره هذا القائد الكريم فى ارض صالحه.

وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَ لا تَخافِى وَ لا تَحْزَنِى إِنّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ لقد سبق الذكر بأن قضاء اللّه بغلبه المستضعفين،و اندحار المستكبرين يتحقق غيبيّا و بشريّا،أما غيبيا:فان اللّه لم يرسل رجلا من وزراء فرعون ليقوم بانقلاب عسكرى،مع انه ممكن عند اللّه،بل أرسل طفلا من بنى إسرائيل،فى ظروف كان فرعون يذبح الأبناء فيها.و كيف أرسله؟ أوحى اللّه إلى أمّه أن تلقيه فى اليّم،ليتربى فى قصر فرعون،و انتهى هذا الأمر بانتصار بنى إسرائيل على فرعون بسببه،و أساسا كلمه(موسى)فى اللغه العبريه تعنى ابن الماء و الشجر(فمو):تعنى الماء(و شى):تعنى الشجر.

ان هذا الولد الذى لا يملك شيئا هو الذى يحطم سلطه الطاغوت.

و أما بشريا:فاللّه لم يرسل الملائكه،و لا الرياح لتقضى على فرعون،بل أرسل بشرا قائدا هو موسى عليه السلام .

[٨]و بالفعل استجابت أمّ موسى الى وحى اللّه،كما و ألقت بابنها فى اليم الذى حمله الى سواحل قصر فرعون.

فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ فى المستقبل:

عَدُوًّا ينهض ضدهم و يقود المعارضه،و إنما يكون عدوّا لهم لأنه يحمل قيم الحق التى تتناقض و نهجهم الباطل و المنحرف.

وَ حَزَناً يسبب لهم القلق الشديد،و سوف يأخذهم الأسف على قرارهم بعدم ذبحه، و هكذا نجد الأمور تسير كما يشاء اللّه- بإرادته-لا حسب ما يريد الفراعنه،فهم التقطوا موسى ليكون لهم ولدا،بينما أراد اللّه أن يجعله عدوّا،و أرادوه ان يدخل السرور على فرعون الذى ربما كان يقلقه عقمه،فجعله اللّه حزنا و مصدرا للقلق بالنسبه إليهم.

و نجد لهذه الإراده صورا هنا و هناك حينما نقلب صفحات التاريخ على الحقائق.

إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ جُنُودَهُما كانُوا خاطِئِينَ الظلم خطأ لا تقتصر آثاره على المحرومين و حسب،بل تطال الظالم نفسه.

[٩]فلقد أحضروا موسى إلى فرعون،فلما عرف انه من بنى إسرائيل-إذ

كانت ملامحهم واضحه-قال:خذوه و اقتلوه.

وَ قٰالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِی وَ لَکَ الحق یتجسد مره فی امرأه هی أم موسی علیه السلام و مره أخری فی امرأه فرعون(آسیه بنت مزاحم)حیث أصرّت علی فرعون الاّ یقتله،و استجاب لها فعلا:

لاٰ تَقْتُلُوهُ عَسیٰ أَنْ یَنْفَعَنٰا عند ما یکبر.

أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً فقد کان فرعون عقیما،لیس له ولد.

وَ هُمْ لاٰ یَشْعُرُونَ و لا یحسون بقدر اللّه و قضائه فی مستقبل هذا الطفل،الذی یریدونه ولدا لهم.

هم یخططون لهدف،بینما یجعله اللّه أماما یزیل سلطانهم علی یدیه،و أیدی المؤمنین تحت قیادته.

[سوره القصص (۲۸): الآیات ۱۰ الی ۱۷]

اشاره

وَ أَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسى فارِغاً إِنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْ لا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها لِتَكُونَ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ (۱۰) وَ قالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ (۱۱) وَ حَرَّمْنا عَلَيْهِ اَلْمَراضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ ناصِحُونَ (۱۲) فَرَدَدْناهُ إِلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَ لا تَحْزَنَ وَ لِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اَللّهِ حَقٌّ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۱۳) وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اِسْتَوى آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذلِكَ نَجْزِي اَلْمُحْسِنِينَ (۱۴) وَ دَخَلَ اَلْمَدِينَةَ عَلى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِها فَوَجَدَ فِيها رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هذا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغاثَهُ اَلَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى اَلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ قالَ هذا مِنْ عَمَلِ اَلشَّيْطانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (۱۵) قالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ اَلْغَفُورُ اَلرَّحِيمُ (۱۶) قالَ رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ (۱۷)

اللغه

۱۵[وكزه]:الوكز الدفع و قيل اللكم بجمع الكف.

فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ

هدى من الآيات:

يـذكرنا هـذا الـدرس بجـانب مهم من سـيره الأنبياء عليه السـلام حيث الصـراع المسـتمر بين الرساله الإلهيه و اتباعها من طرف،و الجـاهليه المـاديه و مؤيـديها من طرف آخر، و الـذى تحسـمه الإـراده الاـلهيه لصالـح جبهه الحق،الاـ أن ذلك لا يعنى ان الغيب يحرك مراحل الصـراع مباشـره،بل انه قـد يمضـى سـننه عبر إراده الإنسان و نشاطه، و من هـذا المنطلق يتعرض السـياق فى هـذه الآيات لدور الإنسان،المرأه و الرجل.

و الـدور الهـام الـذى قـامت به أم موسـى عليه السـلام يؤكـد دور المرأه فى الصـراع الرسـالى الجاهلى،كأم،و كزوجه،و كشـحنه عاطفيه،و هذه قضيه أساسيه و هامه.

فمن جهه نقرأ عمـا قـامت به أم موسـى فى تأسـيس هـذا الصـراع و انطلاقه،و ما قامت به أخته من تتبع مصـيره،و من جهه أخرى تحدثنا الآيات عما قامت به زوجه فرعون من عمل حافظت به على حياه هذا القائد.إذ أشارت على زوجها بالإبقاء

على موسى عليه السلام حيّا،و بالرغم من اختلاف الأدوار،إلّا أنها تلتقى فى نقطه واحده هى مساهمه المرأه فى الصراع.

و هذه المساهمه لا تقتصر على الأدوار الجانبيه،بل نجدها فى صميم المسؤوليات الخطيره،فأم موسى عليه السلام و ان كانت مؤمنه و ملتزمه بالأمر الإلهى إلا أنها كأم كانت لها عواطف الأمومه،فكيف تقبل ان تلقى بولدها-الذى عملت المستحيل حتى لا تصل اليه يد السلطه-فى اليم لتبتلعه أمواجه الغاضبه،خاصه و ان المرأه مهيأه نفسيّا و جسديّا للاهتمام برضيعها بعد الولاده،فكل اهتماماتها الفطريه و جوانب تفكيرها مركزه نحو ذلك الوليد! و فى البين يذكرنا الذكر بأحد العوامل الأساسيه لانتصار الحركات الرساليه فى الصراع،و هو عامل الكتمان و السريه فى العمل الرسالى و الذى يبدو بعض الأحيان الأهم فى العمل،فلو أن أمّ موسى أبدت عواطفها و باحت بسرها،لتسببت فى القضاء على الحضاره التى أسسها وليدها المبارك،و لهذا

قال الامام الصادق عليه السلام :

«كتمان سرنا جهاد فى سبيل اللّه » (۱)ثم تذكر الآيات بدور عامل آخر فى الانتصار،و هو عامل البحث و التحقيق، و حسب التعبير الحديث التجسس،فالحركه الاسلاميه و ان كانت حركه إلهيه إلّا أن عليها التسلح بكل العوامل المشروعه التى تقرب إليها النصر،كعامل التجسس لمعرفه خطط النظام الفاسد و الواقع المحيط،ثم تستفيد من ذلك فى تحركها،و من هذا المنطلق أمرت أم موسى عليه السلام أخته ان تقص أثره،و تتعرف على مصيره،فمشت خلفه حتى رسى على مقربه من قصر فرعون،فالتقطه آل فرعون،و اجتمعوا حوله

۱- ۱) بحار الأنوار/ج(۷۵)/ص(۷۰).

يتشاورون،و هنا تدخل الغيب لإنقاذ موسى عليه السلام و لكن بعد أن هيأت أمه الظروف المناسبه،و بذلت قصارى جهدها.إذ استجابت لنداء الوحى،و صبرت على فراق وليدها،كما أرسلت أخته خلفه،فأعاده اللّه إليها،و لكن كيف؟ لما حرم اللّه على موسى المراضع،و ألقى محبته فى قلبى فرعون و زوجه،و جعلهم يستجيبون لاقتراح أخته بان تدلهم على مرضعه يقبلها هى أمّه.

و فعلا- تحركت أخته لتخبر أمها بالأمر،و جاءت أم موسى عليه السلام صابره متجلده، و ملتزمه بكامل السريه،فارتضع موسى منها،و عاد إليها سالما كما وعد اللّه، و الدرس الذى نستفيده من هذا الحدث هو:ان الرساليين لو صبروا و التزموا بالمنهج السليم،الذى يرسمه لهم اللّه عبر آياته و وحيه،و هدى عقولهم فان اللّه سينصرهم كما وعد،و من أصدق من اللّه قيلا؟! و فى آخر الدرس نجد صوره من الصراع بين المستضعفين و المستكبرين.

بينات من الآيات:

فَرَدَدْناهُ إِلىٰ أُمِّهِ:

[١٠] وَ أَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسىٰ فارِغاً أفرغته من كل اهتمام و انصب تفكيرها على مصير ولدها الصغير،و هكذا يكون الإنسان حينما يواجه مشكله أو أمر هام فى حياته،و يقال:فارغا اى مهموما و حزينا،و ربما فسرت الآيه «فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ» اى إذا حزنت و غممت،و هذا التفسير يتناسب و موضوع سوره الإنشراح.

إِنْ كادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْ لا أَنْ رَبَطْنا عَلىٰ قَلْبِها

أی أعطیناها الصبر و المقدره علی کتمان السر.

لِتَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ و القرآن یبیّن فی هذا المقطع من الآیه أهمیه الکتمان فی انتصار الثورات، و کیف أنه شرط الإیمان.إذ لو أبدت أمّ موسی مشاعرها تجاه ولدها اذن لما کانت من المؤمنین.

و فی الحدیث عن الرسول صلی الله علیه و آله :

«استعینوا علی أموورکم بالصبر و الکتمان » [۱۱]و بعد أن القت أم موسی علیه السلام بولیدها لم تترک الأمر هکذا تنتظر ولیدها حتی یعود إلیها،بل أمرت أخته أن تلحق بالتابوت،و لکن بسریه تامه.

وَ قالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّیهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَ هُمْ لا یَشْعُرُونَ حتی لا تکون العلاقات بینهما و بینه واضحه،فلا یقبل منها اقتراحها بأن تدلهم علی من یرضعه مثلا،لو عرفوا أنها أخته،و ربما یقتلونه.

[۱۲]و هکذا عملت أم موسی کل ما فی وسعها،فکان ذلک تهیئه لتدخل الإراده الإلهیه فی الأمر،أما لو کانت تنتظر کل شیء یأتی من عند اللّه،دون أن تقوم هی بدور معین،فلربما لم یرجع لها ولیدها،لأن سنه اللّه فی الحیاه قائمه-فی التغییر-علی السعی من جهه الإنسان نفسه اولا «إِنَّ اللّهَ لا یُغَیِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّی یُغَیِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ». (۱)

۱- ۲) الرعد/(۱۱).

وَ حَرَّمْنا عَلَيْهِ الْمَراضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ ناصِحُونَ و كلمه «يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ» تدل على أن أخت موسى حاولت جهدها أن تخفى علاقتها به أمام الآخرين، فلم تقل أنه أخوها،بل ملّكته فرعون بكلمه«لكم»كما نستفيد من الآيه الشريفه أهميه المتابعه للأعمال و القرارات الرساليه حتى لا تموت فى الأثناء،بل تظل يد الرساليين ترعاها.لحظه بلحظه إلى أن تصل الى نهايتها.

ان موسى الذى حرم اللّه عليه المراضع ربما كان يموت جوعا و عطشا لو لم تتدارك أخته الأمر بالمتابعه،و على أحسن الأحوال يصبح مصيره مجهولا عندهم.

[۱۳]فى آيه سابقه قال تعالى:

«وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَ لا تَخافِي وَ لا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» و فى هذه الآيه يقول:

فَرَدَدْناهُ إِلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَ لا تَحْزَنَ تطمئن،و يذهب عنها الخوف و الوجل.

وَ لِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ الآيه الاولى تبيّن أن هناك وعدا من قبل اللّه،أما الثانيه فهى تشير الى تحقق هذا الوعد و هنا نستفيد أمرين:

۱-صحيح ان اللّه يعد المؤمنين بالنصر و لكنه يطالبهم بالعمل لا ان يكون

وعده لهم مدعاه للكسل،و التوقف عن العطاء و السعى،بل منطلقا للسعى الحثيث و الجهاد.

ان أم موسى أعطت من جهدها المادى و المعنوى حتى تكون أهلا لوعد اللّه.

۲-حينما يعد اللّه بشىء ما يجب ان نطمئن الى وعده،فهو تعالى ان يخلف وعده،و لماذا يخلف وعده و هو القوى العزيز،الحكيم القاهر؟!فلا يعجزه شىء، و هو الصادق،و من أصدق من اللّه قيلا؟! لو كان الناس يعلمون بان وعد اللّه حق،و يتحسسون بأمل الانتصار لما تسلط عليهم الطغاه أمثال فرعون،لكن مشكلتنا هو ضعف اعتقادنا باللّه،فاذا بأحدنا يقول:و ماذا أستطيع ان أعمل،و أغيّر مقابل هذا الإرهاب،و النظام القائم،و أنا شخص واحد؟بلى..اللّه يؤيدك و يسدد خطاك.

ان الثقه بنصر اللّه،و التوكل عليه هو وقود الحركه،و الذى يفقده يفقد كل شىء.

وَ كَذٰلِکَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ:

[۱۴]لقد عاد موسى كما وعد اللّه الى أمه،و ترعرع فى حجرها.

وَ لَمّٰا بَلَغَ أَشُدَّهُ صار بالغا من الناحيه الشرعيه بتكامله العضوى.

وَ اسْتَوىٰ تكامل عقله.

آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً حيث صار نبيا،و ليس رسولا.

وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ليس هناك قرابه بين اللّه و موسى حين أعطاه النبوه، و انما استحقها موسى بعمله و إحسانه و كل إنسان يعمل من أجل الآخرين يجازيه اللّه خيرا،و هذه الحقيقه نجدها فى التاريخ و بالذات فى تاريخ الأنبياء،بل و فى حياتنا اليوميّه أيضا،كما أن أفضل ما يتعبد به الإنسان ربّه،و يستدر به رحمته هو الإحسان للناس.

و هذه الآيه نجدها فى أكثر من موضع من القرآن الحكيم،ففى سوره يوسف يقول تعالى: وَ لَمّٰا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ و نحن يمكننا أن نجرب هذه الحقيقه:لنحسن الى الناس،ثم لننظر كيف يعاملنا اللّه.إن الصدقه تزيد فى العمر،و تدفع البلاء،و تزيد فى المال حتى لو كانت الصدقه هى إماطه الأذى عن الطريق،أو مساعده الأعمى و الطفل على عبور الشارع،إذ ليس شرطا ان تكون الصدقه مالا.

انّ اى خدمه يقوم بها الإنسان للآخرين يجد جزاءها سريعا فكيف إذا كرّس حياته من أجل خير الناس و صلاحهم.ان الأنبياء لا يفكرون فى مصالحهم الشخصيه فى الدنيا،و انما يفكرون فى خير الناس و مصلحه الرساله التى يحملونها،و نقرأ

فى سيره نبينا الأكرم محمد صلى الله عليه و آله : أنه عند ما حضرته الوفاه،و جاءه ملك الموت ليقبض روحه سأل ملك الموت:و هل تلقى أمتى أذى فى مثل هذا الأمر فأجابه:بلى و لكن اللّه أمرنى ان اقبض روحك بأسهل ما يكون فيه قبض الروح،قال له رسول اللّه صلى الله عليه و آله :

«شدد علیّ و خفف علی أمتی » و هذه سنه الأنبیاء،کما یجب ان یکون هذا دیدن من یسیر علی خطّهم فی الحیاه.

[۱۵]و من علامات إحسان موسی علیه السلام ان کان یبحث عن الخیر،و لا یبالی بعدها بما یمکن أن یجرّه ذلک علیه من أذی إذا کان یرضی اللّه،لقد کان یبحث عن المحرومین حتی ینتصر لهم.

وَ دَخَلَ الْمَدِینَهَ عَلیٰ حِینِ غَفْلَهٍ مِنْ أَهْلِهٰا و الذی یحمل قضیه رساله حینما یدخل بلدا یسیطر علیها الطاغوت بالخصوص.

إذا کان یرید القیام بعمل کعملیه عسکریه،أو توزیع منشور،أو عملیه استطلاع و تجسس یجب ان لا یکون ساذجا بل حذرا نبها،و یختار الوقت الأنسب الذی یعینه فی إخفاء نفسه،و کتمان أمره،و ربما کان دخول موسی للمدینه لیلا أو فی أول الصبح،و ربما کان فی مناسبه انشغل بها أزلام النظام عن الوضع.

فَوَجَدَ فِیهٰا رَجُلَیْنِ یَقْتَتِلاٰنِ هٰذٰا مِنْ شِیعَتِهِ وَ هٰذٰا مِنْ عَدُوِّهِ بسبب ما قامت به الحرکه الرساله من أعمال سیاسیه و ثقافیه،و ربما میدانیه فی عملیّه الصراع بینها و بین فرعون حینذاک،استطاعت أن توجد فی المجتمع تیّار مناهضا للسلطه،بل و أکثر من ذلک أن ترفع مستوی الصراع بین تیّارها و التیار الآخر الی حد المواجهه المباشره،و من أهم مسئولیات و واجبات الحرکه الرساله حین تصعد بمستوی جماهیرها فی الصراع ان تسیطر علی الساحه حتی لا یکون للصراع مردود سلبی علی خططها و تحرکها.

و يبدو من الآيه الكريمه:ان موسى عليه السلام منذ البدايه كوّن الحركه الرساليه، فكان له حزب و شيعه،حيث استطاع ان يجمع شمل بنى إسرائيل تحت لوائه، و يتصدى للنظام الطاغوتى.

و ربما يكون معنى يقتتلان يتضاربان،و لكن ظاهر الأمر يدلّ على أن أحدهما يريد قتل الآخر.

فَاسْتَغاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ و أمام هذه الإستغاثه وجد موسى عليه السلام نفسه مضطرّا للدفاع عن الذى من شيعته.

لهذا بادر لدفع ضرر القبطى.

فَوَكَزَهُ مُوسى فَقَضى عَلَيْهِ قالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ الفرد الرسالى يريد الخير لحركته و شيعته،و لكن لا يعنى ذلك أنه يريد الانتقام من الناس،و قد يصل الأمر أن يقوم الرساليون بحرب فدائيه و لكن عن اضطرار و ليس بهدف التخريب أو الإرهاب ذاته،بل لإزاله العوائق التى تعترض طريقهم.

لهذا قال موسى عليه السلام حينما وقع القبطى ميتا: «هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ» .

يقصد بذلك العمل الذى دعا هذين(الاسرائيلى و القبطى)للاقتتال،و إذ ضربته فانما للدفاع عن المظلوم و المستضعف،و قد قال بعض المفسرين:ان سبب الاقتتال هو محاوله القبطى تسخير الإسرائيلى ليحتمل شىء بلا أجر.

و عند ما قتل موسى القبطى و لم يكن يريد قتله،بل ردعه قال:

إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ

[۱۶]لقد انتصر موسى على عدوه الا أنّ ذلك لم يدعه للاغترار بهذا النصر،بل أراد أن يقتل الغرور الذى عاده ما يصيب المنتصرين،و ذلك عبر الاستغفار،و اتهام النفس بالتقصير،و ربما لذلك أمر اللّه رسوله محمد صلى الله عليه و آله بالاستغفار بعد النصر.إذ قال: «إِذا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَ الْفَتْحُ* وَ رَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللّهِ أَفْواجاً* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوّاباً» .

و هنا نجد نبى اللّه موسى عليه السلام يستغفر اللّه بعد انتصاره على عدو اللّه و عدوه.

قالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ و جاء فى التفاسير:ان موسى عليه السلام قد اخطأ فعلا بدخوله المدينه،حيث كان لا يزال فى طور الاختفاء،لأن فرعون كان قد علم بأنه يخالفه،و قد اجتمع اليه شيعته من بنى إسرائيل فهّم بقتله،فلما دخل المدينه على حين غفله كان ذلك خطأ منه استغفر اللّه منه،و معنى المغفره هنا ان يستر عليه اللّه سبحانه.

و قد روى مثل هذا التفسير عن الامام الرضا عليه السلام (۱)و نستوحى من هذا التفسير مدى أهميه الكتمان فى العمل الرسالى.

[۱۷]ثم عاهد اللّه ان لا يستخدم القوه و العلم و الحكمه التى وهبها الا من أجل الخير و فى سبيل اللّه و الدفاع عن المستضعفين.

قالَ رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ و كانت هذه الحادثه بالإضافه إلى مواقف أخرى سبقتها،أدّت بموسى الى الهجره عن بلده،لتبدأ الحركه الرساليه مرحله جديده من الصراع و الجهاد.

۱- ۳) راجع نور الثقلين ج(۴)ص(۱۱۹).

[سوره القصص (۲۸): الآیات ۱۸ الی ۲۴]

اشاره

فَأَصْبَحَ فِی اَلْمَدِینَهِ خائِفاً یَتَرَقَّبُ فَإِذَا اَلَّذِی اِسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ یَسْتَصْرِخُهُ قالَ لَهُ مُوسی إِنَّکَ لَغَوِیٌّ مُبِینٌ (۱۸) فَلَمّا أَنْ أَرادَ أَنْ یَبْطِشَ بِالَّذِی هُوَ عَدُوٌّ لَهُما قالَ یا مُوسی أَ تُرِیدُ أَنْ تَقْتُلَنِی کَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِیدُ إِلاّ أَنْ تَکُونَ جَبّاراً فِی اَلْأَرْضِ وَ ما تُرِیدُ أَنْ تَکُونَ مِنَ اَلْمُصْلِحِینَ (۱۹) وَ جاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَی اَلْمَدِینَهِ یَسْعی قالَ یا مُوسی إِنَّ اَلْمَلَأَ یَأْتَمِرُونَ بِکَ لِیَقْتُلُوکَ فَاخْرُجْ إِنِّی لَکَ مِنَ اَلنّاصِحِینَ (۲۰) فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً یَتَرَقَّبُ قالَ رَبِّ نَجِّنِی مِنَ اَلْقَوْمِ اَلظّالِمِینَ (۲۱) وَ لَمّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْیَنَ قالَ عَسی رَبِّی أَنْ یَهْدِیَنِی سَواءَ اَلسَّبِیلِ (۲۲) وَ لَمّا وَرَدَ ماءَ مَدْیَنَ وَجَدَ عَلَیْهِ أُمَّهً مِنَ اَلنّاسِ یَسْقُونَ وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ اِمْرَأَتَیْنِ تَذُودانِ قالَ ما خَطْبُکُما قالَتا لا نَسْقِی حَتّی یُصْدِرَ اَلرِّعاءُ وَ أَبُونا شَیْخٌ کَبِیرٌ (۲۳) فَسَقی لَهُما ثُمَّ تَوَلّی إِلَی اَلظِّلِّ فَقالَ رَبِّ إِنِّی لِما أَنْزَلْتَ إِلَیَّ مِنْ خَیْرٍ فَقِیرٌ (۲۴)

اللغه

۲۱[یترقب]:الترقب الانتظار.

٢٣[تذودان]:ذاد بمعنى منع و تذودان أى تمنعان أغنامهما عن الورود على الحوض.

[يصدر الرعاء]:من أصدر إذا رجع عن الماء ماشيته.

ص:٢٨٠

رَبِّ نَجِّنِی مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِینَ

هدی من الآیات:

تحدثنا آیات هذا الدرس عن صفات القائد الرسالی الذی یصنع الثوره،و یقاوم الجاهلیه المادیه بالرّساله الإلهیه،و موسی علیه السلام الذی قرر ان لا- یکون ظهیرا للمجرمین،بل یکون الی جانب الحق-لم تکن حرکته نابعه من عواطف مؤقته، و لا- من شهوات سلبیه،أو ردود فعل مرتجله تجاه الأحداث،و انما کان ینطلق من مبادئ ثابته،و یتحرک عبر مسیره واضحه المعالم،فهو یرید أن یحقق العداله فی المجتمع،بادئا بنفسه أولا.

فبعد أن قتل موسی علیه السلام القبطی،صار مطلوبا عند السلطه،فکان ینبغی أن یکون حذرا فی مدینه تطالها سیطره فرعون،و قد أشار القرآن لهذا الأمر فی حدیثه عن موسی علیه السلام و هو یدخل المدینه تاره و یخرج منها تاره أخری،أو یمشی فیها فقال:

«وَ دَخَلَ الْمَدِینَهَ عَلیٰ حِینِ غَفْلَهٍ مِنْ أَهْلِهٰا» «فَأَصْبَحَ فِی الْمَدِینَهِ خٰائِفاً یَتَرَقَّبُ» «فَخَرَجَ مِنْهٰا خٰائِفاً یَتَرَقَّبُ» .

و هکذا ینبغی للرسالی أن لا یأخذ الأمور بسذاجه عند ما یدخل بلاد الطغاه لأداء مهمه ما.ان موسی دخل المدینه،و خرج منها،و عاش فیها حذرا،و بالتالی مستعدّا و مخطّطا لتصرفاته فی شتی الظروف و الاحتمالات.

و بینما کان موسی یمشی فی المدینه،و فی هذه الظروف الصعبه،فإذا بالذی استغاثه بالأمس یستصرخه الیوم،یرید منه ان یعینه علی رجل قبطی آخر،لکنه هذه المره تفجر غضبا علی الإثنین،علی الاسرائیلی باعتباره یورط الحرکه الرساله فی صراعات غیر مخطط لها،قد تنعکس سلبیّا علی خطط الحرکه فی التغییر،و یبدو أن الرجل کان ممن تثیره عداواته الشخصیه،فتجره الی مواقف مرتجله هذا من جهه، و لکن ذلک لم یمنع موسی من نصرته فلقد هم بالبطش بالقبطی باعتباره ظالما من جهه أخری.

ان خطأ الإسرائیلی الذی استحق علیه اللوم لا یکمن فی استراتیجیته،فهو مظلوم یتعرض للإهانه،و ربما للقتل و من حقه الدفاع عن نفسه و کرامته،انما یکمن خطأه فی أسلوبه،إذ فجر الصراع فی ظرف و وقت غیر مناسبین،و هنا لا بد أن نعرف ان من أسباب فشل أیّ حرکه هو اللاانضباط الذی من صوره و شواهده دخول أفراد الحرکه فی صراعات غیر مخططه و بعیده عن قرار القیاده.

لهذا نهر موسی علیه السلام الاسرائیلی و قاله له:

«قاتلت رجلا بالأمس و تقاتل هذا الیوم لأؤدبنک،و أراد ان یبطش به،و هو من شیعته» (۱)فزعم ان موسی علیه السلام یرید قتله،فاتهم النبی علیه السلام بأنه لا یصلح للقیاده،و أنّ

۱- ۱) نور الثقلین-ج(۴)/ص(۱۱۹).

هـدفه ليس إلا الإفساد فى الأرض،و التجبّر،و فى البين فضـح سـرّا من أسـرار الحركه حين أعلن أمام الناس،ان الـذى قتل القبطى بالأمس هو موسى عليه السلام فانتشر الخبر فى المجتمع،و قررت السلطه ان تنتقم منه عليه السلام و تجعله عبره للآخرين.

و يبدو ان الحركه الرساليه كانت ناضـجه،مما جعلها تخترق خاصه فرعون، و تتعرف على خطط السـلطه،و هذا من أسباب النجاح فى العمـل،إذ يمكّن الاختراق الحركات من اتخاذ خطط وقائيه و مضاده لخطط الحكومات،و كانت الخطوه الوقائيه لموسـى عليه السلام هو قرار الهجره فى سبيل اللّه.

و هكذا دخلت الحركه الرّساليه مرحله جديده،و أسـلوبا آخر فى العمل الرسالى، و الهجره مرحله أساسيه لدى الحركات الرساليه عبر التاريخ،و هى ذات معطيات هامه على مستوى الفرد و الحركه،فهى مثلا تزكّى الفرد من جهه و تحفظ القياده و التحرك من جهه أخرى.

و لم تكن الهجره بالنسـبه الى موسـى عليه السـلام تعنى الهروب من ساحه الصراع و العمل فى سبيل اللّه،بل كانت فرصه للإعداد الأفضل للصراع و العمل،حيث كان مستضعفا و محروما،فكان يبحث هنا و هناك عن مستضعف ليعينه،كما لم ينقطع عن التفكير فى جماهيره المغلوب على أمرها.

لهـذا نجـد القرآن أول مـا يحـدثنا عن موسـى عليه السـلام فى دار الهجره يشير الى انه أول مـا قام به هناك هو خـدمه الناس،و الإحسان إليهم.انه لم يقل:يجب أولا ان انتصـر على الطاغوت،ثم أفكر بعـدها فى خـدمه المستضـعفين،كلا..فأنت أيّها المؤمن، و أنت فى مسـيره بنـاء الـدوله الاسـلاميه عليك ان تسـعى بما أتاك اللّه من قوه لخـدمه الناس،لأن ذلك يربى الإنسان،و ينمى فيه المواهب الخيّره،و بالتالى يجعله أهلا لتحمل المسؤوليه الرساليه.

و فی الآیه الأخیره نجد صوره نموذجیه لأسلوب الفرد المؤمن فی الدعاء.

بینات من الآیات:

فاذا الذی استنصره یستصرخه:

[۱۸] فَأَصْبَحَ فِی الْمَدِینَهِ خائِفاً یَتَرَقَّبُ لقد کان موسی علیه السلام مطلوبا عند السلطه باعتباره معارضا لها،فکیف و قد قتل شخصا منهم؟! ان الخوف الذی تشیر له الآیه الکریمه هو الخوف الإیجابی الذی یدعو صاحبه للتفکیر فی العمل ضمن الظروف الصعبه،لا الخوف السلبی الذی یدعو للتوقف عن التحرک و الخنوع،و فرق بین الأول الذی ینعکس علی أسلوب العمل،و الآخر الذی ینعکس علی ذات العمل.

ان موسی علیه السلام لم یتوقف لحظه عن الجهاد فی سبیل اللّه،و لکنه صار یتحرک بحذر،و الترقب:من المراقبه،و توقع ردّات فعل السلطه.الأمر الذی یدعو للإعداد الوقائی لأیّه رده فعل من قبلها.

و عند ما تدخل الحرکه الرساله فی ظروف العمل السری یتوجب علیها ان تحسب الف حساب لتحرکاتها،و ان تختار الوقت المناسب لتوجیه أیّه ضربه للنظام،و أن لا تفجر الصراع بشکل شامل و معلن الا بعد نضجها و نضج الساحه الجماهیریه،و ضمن خطه مدروسه آنفا،و إلّا فإن مصیرها سیکون الفشل.

و مجموع هذه الحسابات هی التی دعت موسی علیه السلام للغضب علی الاسرائیلی لما تقاتل مع القبطی الآخر،و لو لم یکن یستنجد بموسی،و بالتالی یکشفه أمام الناس،

ربما لم يتخذ منه هذا الموقف.

فَإِذَا الَّذِی اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ یَسْتَصْرِخُهُ و قد عبر القرآن عن المره الثانیه بالاستصراخ،و لم یقل یستنصره-کما کان فی حدیثه عن الأمس-و ربما ذلک لیبین ان موقف الإسرائیلی کان فاضحا،و لعل هذا کان مما دعا موسی علیه السلام للغضب علیه.

قالَ لَهُ مُوسی إِنَّکَ لَغَوِیٌّ مُبِینٌ انک تعرف الطریق الصحیح،و انه من غیر المناسب تفجیر الصراع فی مثل هذه الظروف،و لکنک تتنکب عن الطریق بشکل بیّن و واضح،و ذلک ان موسی علیه السلام - کما یبدو-کان قد بین له فی المره الأولی الخطأ «قالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّیْطانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِینٌ» (۱)لکنه خالف القیاده فاستحق العتاب بل التأدیب کما فی الروایه التی مر ذکرها.

و مع کل ذلک صمم موسی علیه السلام علی البطش بالقبطی،لأنه أخذ علی نفسه عهدا بان لا یکون ظهیرا للمجرمین.

[۱۹] فَلَمَّا أَنْ أَرادَ أَنْ یَبْطِشَ بِالَّذِی هُوَ عَدُوٌّ لَهُما هو و الاسرائیلی-بعد ان لام الذی من شیعته علی خطئه-و حیث ان کلمات موسی کانت قد أثرت أثرها فی نفس الاسرائیلی،فأراد الثأر لنفسه:

قالَ یا مُوسی أَ تُرِیدُ أَنْ تَقْتُلَنِی کَما قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِیدُ إِلاّ أَنْ تَکُونَ جَبّاراً فِی الْأَرْضِ وَ ما تُرِیدُ أَنْ تَکُونَ مِنَ الْمُصْلِحِینَ

۱- ۲) القصص/(۱۵).

هکذا تبیّن ان الرجل کان غویّا مبینا،و ان صراعه مع الأقباط کان مجردا عن المضمون الرسالی.إذ بمجرد خشیته من غضبه قائده و منقذه انقلب علیه،و اتهمه بأنه یرید ان یتجبر فی الأرض-یتسلط علی الناس بغیر الحق-و ان ادعاءه بالسعی وراء الإصلاح لیس بصحیح،و لعله کان من نمط المارقین الذین خرجوا علی الامام علی- علیه السّلام-و هذا النمط من الثوریین هم المتطرّفون،المعجبون بأنفسهم،ضعاف الولاء لقیادتهم،و مهما یکن نمط هذا الشخص فقد أذاع سرّا هاما من أسرار الحرکه.

و یلاحظ فی أحادیث أهل البیت علیه السلام أنهم اعتبروا إفشاء السر أو اذاعه الأمر- حسب التعبیر الاسلامی-من أعظم المحرمات،

قال الامام الصادق علیه السلام :

«یا ابن النعمان!انی لأحدّث الرجل منکم بحدیث فیتحدث به عنی، فاستحل بذلک لعنته و البراءه منه،یا ابن النعمان!إنّ المذیع لیس کقاتلنا بسیفه بل هم أعظم وزرا،بل هو أعظم وزرا،بل هو أعظم وزرا » (۱)

قال علیه السلام :

«و اللّه ما الناصب لنا حربا بأشد علینا مؤنه من الناطق علینا بما نکره » (۲)

و قال علیه السلام :

«من أذاع علینا شیئا من أمرنا فهو کمن قتلنا عمدا و لم یقتلنا خطأ » (۳)و عند ما نقارن بین موقف موسی علیه السلام من الاسرائیلی فی المرتین،نجد التالی:

۱- ۳) بحار الأنوار ج(۷۸)/(۲۸۷).

۲- ۴) المصدر ج(۷۵)/ص(۷۴).

۳- ۵) المصدر/ص(۸۷).

۱-انه فی المره الاولی قتل القبطی،ثم بیّن له الخطأ: «فَوَكَزَهُ مُوسىٰ فَقَضىٰ عَلَيْهِ قَالَ هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ» أما فی المره الثانیه،فانه تکلم ضد الإسرائیلی أولا: «قَالَ لَهُ مُوسىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ» ثم توجه للبطش بالقبطی:

«فَلَمّٰا أَنْ أَرٰادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِی هُوَ عَدُوٌّ لَهُمٰا...» و لعل ذلک لیبین لنا القرآن حقیقه طالما أکد علیها أئمه الهدی فی أحادیثهم و هی:ان الاسرائیلی فی المره الثانیه حیث خالف أمن الحرکه کان أحق باللوم و التأدیب،فموسی بدأ بالقبطی تلک المره لأن تأدیبه هو الأهم،بینما بدأ بالاسرائیلی هذه المره لأن ردعه عن تصرفاته الخاطئه هذه أهم بالنسبه للحرکه الرساليه من قتل القبطی.بل ان بعض الروایات قالت:ان موسی أراد ان یبطش بالإسرائیلی لا بالقبطی،

قال الامام الرضا علیه السلام فی تفسیر الآیه:

«فَإِذَا الَّذِی اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ» علی آخر «قٰالَ لَهُ مُوسىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ» قاتلت رجلا بالأمس و تقاتل هذا الیوم لأؤدبنک و أراد ان یبطش به «فَلَمّٰا أَنْ أَرٰادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِی هُوَ عَدُوٌّ لَهُمٰا» و هو من شیعته «قٰالَ يٰا مُوسىٰ أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِی.. الآیه » (۱)۲-فی المره الاولی قال القرآن عن لسان موسی و هو یخاطب الاسرائیلی لدخوله فی الصراع مع القبطی: «قَالَ هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ» و قد نسب العداوه و الضلال المبین للشیطان،بینما قال فی المره الثانیه: «قَالَ لَهُ مُوسىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ» ناسبا الغوایه الواضحه و المتعمده للإسرائیلی،و بالمقارنه نصل الی هذه النتیجه:ان الاسرائیلی وقع فی حبائل الشیطان،و صار عدوا لموسی من حیث لا یشعر،و هکذا کل من یخالف أوامر قیادته الرساليه،لتصوراته و مواقفه الشخصیه.

۱- ۶) نور ج(۴)/ص(۱۱۹).

فَاخْرُجْ إِنِّی لَکَ مِنَ النّاصِحِینَ:

[۲۰]و کما ان عدم الانضباط من أسباب فشل الحرکات و ضعفها،فان اختراقها لأجهزه النظام من أسباب قوتها و نجاحها،و لربما کانت حرکه موسی تفشل لو لم تکن تملک نقطه القوه هذه،فربما کانت تنتهی لو قبض علی قائدها أو قتل.

وَ جٰاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَی الْمَدِینَهِ یَسْعیٰ

ورد فی الروایات:

...و بلغ فرعون خبر قتل موسی الرجل،فطلبه لیقتله،فبعث المؤمن الی موسی: «إِنَّ الْمَلَأَ یَأْتَمِرُونَ بِکَ لِیَقْتُلُوکَ فَاخْرُجْ إِنِّی لَکَ مِنَ النّاصِحِینَ» (۱)و هو الذی قال عنه تعالی فی موضع من القرآن: «وَ قٰالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ یَکْتُمُ إِیمٰانَهُ» لقد کان هذا الرجل یتظاهر بالکفر،و یخفی الایمان،و ذلک لینفع به حرکته الرساليه،و أن یعیش الرجل بشخصیتین متناقضتین أمر صعب،و یحتاج إلی شخص بمستوی رفیع من التقوی و الجهاد و الاراده،فلا یذوب أمام اغراءات الدنیا فینقلب علی عقبیه،و لا یعجز عن أداء هذا الدور،و جاء فی بعض الروایات عن أصحاب الکهف:

قال الامام الصادق علیه السلام :

«إنّ أصحاب الکهف أسرّوا الإیمان و أظهروا الکفر،و کانوا علی إجهار الکفر أعظم أجرا منهم علی إسرار الإیمان » (۲)

۱- ۷) نور الثقلین/ج(۴)/ص(۱۲۰).

۲- ۸) وسائل الشیعه/ج(۱۱)/ص(۴۸۰).

و من طريف ما يحكى عن مؤمن آل فرعون و كتمان ايمانه و رساليته،و ايمانه بموسى عليه السلام

عن الامام الصادق عليه السلام انه قال:

و لقد كان لخربيل المؤمن مع قوم فرعون الّذين وشوا به الى فرعون مثل هذه التوريه.كان خربيل يدعوهم إلى توحيد اللّه و نبوّه موسى...و من البراءه من ربوبيّه فرعون،فوشى به الواشون إلى فرعون،و قالوا:إنّ خربيل يدعو إلى مخالفتك،و يعين أعداءك على مضادتّك،فقال لهم فرعون:ابن عمىّ و خليفتى على ملكى و ولىّ عهدى؟إن فعل ما قلتم فقد استحقّ العذاب على كفره لنعمتى،و إن كنتم عليه كاذبين قد استحققتم أشدّ العقاب لإيثاركم الدخول فى مساءته،فجاء بخربيل و جاء بهم فكاشفوه و قالوا:أنت تكفر ربوبيّه فرعون الملك و تكفر نعماءه؟فقال خربيل:أيّها الملك هل جرّبت علىّ كذبا قطّ؟ قال:لا،قال:فسلهم من ربّهم؟قالوا:فرعون قال لهم:و من خالقكم؟قالوا:

فرعون هذا،قال:و من رازقكم،الكافل لمعايشكم،و الدافع عنكم مكارهكم؟ قالوا:فرعون هذا،قال خربيل:أيّها الملك فأشهدك و من حضرك أنّ ربّهم هو ربّى،و خالقهم هو خالقى،و رازقهم هو رازقى،و مصلح معايشهم هو مصلح معايشى،لا ربّ لى و لا خالق و لا- رازق غير ربّهم و خالقهم و رازقهم،و أشهدك و من حضرك أنّ كلّ ربّ و خالق و رازق سوى ربّهم و خالقهم و رازقهم فأنا برىء منه و من ربوبيّته،و كافر بإلهيّته.

يقول خربيل هذا و هو يعنى أنّ ربّهم هو اللّه ربّى،و لم يقل إنّ الّذى قالوا هم أنّه ربّهم هو ربّى،و خفى هذا المعنى على فرعون و من حضره و توهّموا أنّه يقول:فرعون ربّى و خالقى و رازقى،فقال لهم:يا رجال السوء و يا طلّاب الفساد فى ملكى و مريدى الفتنه بينى و بين ابن عمّى و هو عضدى أنتم المستحقّون لعذابى لإرادتكم فساد أمرى،و إهلاك ابن عمّى،و الفتّ فى عضدى ثمّ أمر بالأوتاد فجعل فى ساق كلّ واحد منهم وتد،و فى صدره وتد،و أمر أصحاب

أمشاط الحديد فشقّوا بها لحمهم من أبدانهم، فذلك ما قال اللّه: «فَوَقاهُ اللّهُ» يعنى خربيل «سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا» لما وشوا إلى فرعون ليهلكوه «وَ حاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذابِ» و هم الّذين وشوا لخربيل إليه لمّا أوتد فيهم الأوتاد و مشط عن أبدانهم لحومهم بالأمشاط (۱)و قد تقتضى المصلحه أحيانا ان لا يعيش الفرد الرسالى مع المحرومين فى مكان واحد،بل يبحث له عن بيت سعيد،يميل إلى الرفاه من أجل إخفاء شخصه،و لكن لا ينبغى ان ينعكس ذلك على إيمانه و شخصيته الحقيقيه أبدا.

و الرسالى الذى يمارس هذا الدور يجب ان لا يظهر ارتباطه بالحركه أو القياده الرساليه حتى لا يفتضح أمره،و القرآن يعبر عن مجىء الرجل من أقصى المدينه بالسعى،و هو الإسراع،و قد جاء مسرعا و ذلك حتى يتدارك الأمر قبل ان يقع موسى فى يد السلطه من جهه،و حتى يسبق جلاوزه النظام للمكان،و بالتالى لا يرى و هو يؤدّى واجبه الرسالى،حيث لا يقول ربنا سبحانه:يركض أو يسرع.هذا من جهه،و من جهه أخرى لم تكن سرعته بالشكل الذى يلفت انتباه الآخرين،إذ من الخطأ عند ما يكون عند الفرد الرسالى أمر هام أن يظهر فى صوره غير عادّيه أمام الآخرين.

و هنا لا ننسى أيضا أثر الوقت فى كثير من المهامّ،فقد يستدعى الأمر أحيانا أن يرسل الواحد للآخر إشاره فقط،أو لا أقل يختصر الكلام ليكون الوقت فى صالحه بشرط ان يكون الاختصار نافعا.

قالَ يا مُوسى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النّاصِحِينَ

۱- ۹) بحار الأنوار/ج(۷۵)/ص(۴۰۲).

بهذه العباره المختصره التى تتضمن الخبر و التحليل اكتفى هذا الرجل.

[۲۱]كما ان موسى عليه السلام لم يفوت على نفسه لحظه واحده،إذ كان يملك القرار الحازم،بالاضافه الى البصيره النافذه،و يعبّر عن مجموع هاتين الصفتين بسرعه البديهه،و كم من المجاهدين وقعوا فى يد الأنظمه لأنهم لا بديهه لهم،فتراهم عند ما يسمعون بأن شيئا غير عادى يحوط بهم.تراهم يترددون فى اتخاذ القرار المناسب ربما لصعوبته عليهم،كقرار الاختفاء،أو الهجره،أو التصدى،فيقعون فى محذورات أكبر.

فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً يَتَرَقَّبُ قالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ و كان يحمل معه فى هجرته زاد التوكل و هو أعظم زاد.

[۲۲]لقد كان موسى مهاجرا بالمعنى المعنوى،عند ما هجر سلوكيات المجتمع المنحرفه،أما الآن فانه بدأ الهجره العمليه بمضمونها المادى أيضا،و للهجره فى سبيل اللّه فوائد عظيمه.من أهمها تزكيه نفس الإنسان،فأول ما يقوم به المهاجر فى سبيل اللّه هو تزكيه نفسه.ذلك ان وعثاء السفر،و الغربه،و الابتعاد عن المجتمع الفاسد،و مواجهه التحديات،و المشاكل الجديده،و..و..كل هذه الأمور بوتقه لصياغه شخصيه الإنسان باتجاه التكامل،و هكذا كانت الهجره تعنى بالنسبه لموسى عليه السلام فقد كان يبحث عن الهدى،و لم تكن هجرته للهروب عن المصاعب و المشاكل.كلا..فهو لا يزال يفكر فى قومه.

ان قسما من الناس حينما يهاجرون عن شعوبهم،و يجدون الرخاء و الأمن فى البلد الآخر،ينسون بلادهم و شعبهم، و كل الدموع و الدماء و المآسى التى لا يزال شعبهم يعانى منها،و هذا خطأ كبير،و انحراف بالغ،لأنك حينما تهاجر فلكى

تکسب المزید من الوعی و القوه،فتعود لبلدک لتفجر الثوره.

و هکذا نجد موسی علیه السلام فی مسیره الی مدین یسأل اللّه سبحانه ان یهدیه سواء السبیل:

وَ لَمّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْیَنَ قالَ عَسی رَبِّی أَنْ یَهْدِیَنِی سَواءَ السَّبِیلِ و قد انطلق موسی-علیه السّلام-فی الصحراء وحده،و کانت قصه هجرته أروع ما عرفه التاریخ من هجرات البشر.دعنا نقرأ جانبا منها:

[۲۳]لقد هاجر علیه السلام الی مدین،و کانت مدین مدینه یکثر فیها الرعاه،و تحوطها الآبار.

وَ لَمّا وَرَدَ ماءَ مَدْیَنَ وَجَدَ عَلَیْهِ أُمَّهً مِنَ النّاسِ یَسْقُونَ وَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ ای بعیدا عنهم.

اِمْرَأَتَیْنِ تَذُودانِ تمنعان اغنامهما عن الورود علی الحوض،لأنهما کرهتا الاختلاط مع الرجال، فکانتا تنتظران نهایه السقایه.

قالَ ما خَطْبُکُما ما الأمر؟لماذا لا تسقیان؟و کان-علیه السّلام-یبحث عن مستضعف یعینه،و هکذا تکون حیاه الرساليین أینما کانوا کلها فی خدمه الرساله و الناس،

و هم يبحثون عن أى فرصه للعمل الصالح دون ان ينتظروا من الناس ان يسألوهم العون.و قد قال القرآن فى حق عيسى عليه السلام : «وَ جَعَلَنِی مُبارَکاً أَیْنَ ما کُنْتُ» اى أينما حللت،فالمؤمنون مبارك مقدمهم على مجتمع فى دار الهجره.

و لعلنا نستفيد من قيام موسى بهذا العمل ضروره بناء علاقات اجتماعيه تثبت التحرك الرسالى فى مجتمع الهجره،كما يستفيد من خلالها فى خدمه قضيته.

قالَتا لا نَسْقِی حَتّی یُصْدِرَ الرِّعاءُ وَ أَبُونا شَیْخٌ کَبِیرٌ لا يستطيع ان يسقى الأغنام،اما نحن ننتظر سائر الرعاه حتى ينتهوا فنسقى أغنامنا.

[۲۴] فَسَقی لَهُما اننا نجد قسما من الثائرين يسقطون خدمه الناس من حسابهم،بحجه ان العمل للقضيه أهم من كل شىء.

أما موسى فانه يرى خدمه المستضعفين من أهم أهدافه،لذلك سقى للامرأتين، و كان فتى قويّا،عركته صعوبات الحياه و تحدياتها،و قد سقى لهما بدلو لا يطيق حمله الا عشره رجال.

و الواقع:إن من أهمّ صفات الأنبياء الإحسان الى الناس،و بأمثال هذه الصفه اصطفاهم اللّه للرساله،فعند ما يتحدث القرآن عن اختيار اللّه للأنبياء كثيرا ما يقول: «وَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ» .

ثُمَّ تَوَلّی إِلَی الظِّلِّ فَقالَ رَبِّ إِنِّی لِما أَنْزَلْتَ إِلَیَّ مِنْ خَیْرٍ فَقِیرٌ

لقد كان موسى يتضور جوعا،و يعانى من الغربه،و لا يعرف الى اين ينتهى به الأمر،و لكنه لم يشك الى اللّه ذلك،بل ذكر نعمه السابقه،و قال اننى افتقر الى ذلك الخير.و هذا من أفضل أساليب الدعاء،إذ يتضمن كنايه أبلغ من التشبيه، و نظره ايجابيه.فبدل ان يقول أحدنا:ان عينى تؤلمنى فشافها يا رب،ليقل ان عينى كانت سليمه سابقا،و انى اليوم لفى حاجه لان أكون مثل الماضى.إذ من آداب الدعاء أن يبدأه العبد بحمد اللّه،و الثناء عليه-كما فى الأحاديث-.

و أهميه هذا الأدب المحافظه على الروح الايجابيه عند الإنسان الذى يسعى الشيطان لإغوائه أبدا عن نعم اللّه،و وضع نظارات سوداء على عينه كلما ألمت به مصيبه،أو فقد نعمه،حتى لا يرى سائر النعم الباقيه و هى بالتأكيد أكثر مما فقدها و من لا يرى نعم اللّه عليه لا يمكنه من الانتفاع بها.

و فى تفسير آخر للآيه:

ان أبا بصير قال: قلت لأبى عبد الله-عليه السّلام-:

هل للشكر حدّ إذا فعله العبد كان شاكرا؟قال:نعم،قلت:ما هو؟قال:

يحمد اللّه على كلّ نعمه عليه فى أهل و مال،و إن كان فيما أنعم اللّه عليه فى ماله حقّ أدّاه،و منه قول اللّه عزّ و جل: «سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هذا وَ ما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ» و منه قول اللّه عزّ و جل: «رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ...» و ربما ربط الامام عليه السلام بين حدود الشكر و بين هذه الآيه ليبيّن حقيقه هامه و هى:ان قول موسى هذا انما هو شكر،لأنه بعد ما سقى الى الامرأتين،و تولى الى الظلّ.قال: «رَبِّ إِنِّي لِما أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» لأنى ما عملته قليل،و انا محتاج الى عمل أكثر و أكبر،حتى يرتفع رصيدى عندك.

[سوره القصص (۲۸): الآیات ۲۵ الی ۳۰]

اشاره

فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِی عَلَی اِسْتِحْیاءٍ قالَتْ إِنَّ أَبِی یَدْعُوکَ لِیَجْزِیَکَ أَجْرَ ما سَقَیْتَ لَنا فَلَمّا جاءَهُ وَ قَصَّ عَلَیْهِ اَلْقَصَصَ قالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ اَلْقَوْمِ اَلظّالِمِینَ (۲۵) قالَتْ إِحْداهُما یا أَبَتِ اِسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَیْرَ مَنِ اِسْتَأْجَرْتَ اَلْقَوِیُّ اَلْأَمِینُ (۲۶) قالَ إِنِّی أُرِیدُ أَنْ أُنْکِحَکَ إِحْدَی اِبْنَتَیَّ هاتَیْنِ عَلی أَنْ تَأْجُرَنِی ثَمانِیَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِکَ وَ ما أُرِیدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَیْکَ سَتَجِدُنِی إِنْ شاءَ اَللّهُ مِنَ اَلصّالِحِینَ (۲۷) قالَ ذلِکَ بَیْنِی وَ بَیْنَکَ أَیَّمَا اَلْأَجَلَیْنِ قَضَیْتُ فَلا عُدْوانَ عَلَیَّ وَ اَللّهُ عَلی ما نَقُولُ وَکِیلٌ (۲۸) فَلَمّا قَضی مُوسَی اَلْأَجَلَ وَ سارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جانِبِ اَلطُّورِ ناراً قالَ لِأَهْلِهِ اُمْکُثُوا إِنِّی آنَسْتُ ناراً لَعَلِّی آتِیکُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ اَلنّارِ لَعَلَّکُمْ تَصْطَلُونَ (۲۹) فَلَمّا أَتاها نُودِیَ مِنْ شاطِئِ اَلْوادِ اَلْأَیْمَنِ فِی اَلْبُقْعَةِ اَلْمُبارَکَةِ مِنَ اَلشَّجَرَةِ أَنْ یا مُوسی إِنِّی أَنَا اَللّهُ رَبُّ اَلْعالَمِینَ (۳۰)

اللغه

۲۷[أشق علیک]أی أتعبک.

۲۹[جذوه]:القطعه الغليظه من الحطب فيها النار و جمعها حذى.

ص:۲۹۶

آنَسَ مِنْ جٰانِبِ الطُّورِ نٰاراً

هدى من الآيات:

الهجره مرحله ضروريه لكل الرسالات و الحركات الرساليه السائره على خطأها عبر الزمن،فهى تنفع الإنسان تزكيه لنفسه،و بلوره لشخصيته،و استقامه على الحق بما فيها من ساعات صعبه حبلى بالمشاكل و الألم،فالمهاجر يقتلع نفسه من مجتمعه، و يعيش غريبا،مجهول المصير،و لعل تلك الساعه التى آوى فيها موسى الى ظل الشجره كانت من تلك الساعات،فهو الآن جائع و متعب من وعثاء السفر،فى بلد لا يعرف فيه أحدا،بالإضافه الى هموم شعبه المستضعف، و ربما كان خوف فرعون لا يزال يلاحقه،و لم يتخلص منه نهائيا إلا بعد أن أخبره شعيب بأنه قد نجى- فعلا-من القوم الظالمين.

أما الوجه الآخر للهجره،فهى رحمه اللّه التى ترعى المجاهدين،و فى هذه الآيات الكريمه نجد حديثا عن أبواب الرحمه و البركه التى فتحها الى نبيه موسى عليه السلام فقد

جاءته احدى الامرأتين اللتين سقى لهما،و هى تدعوه الى بيتهم حتى يجزيه أبوها أجر السقايه،و تتابعت عليه بركات الرب،حيث أضحى واحدا من هذا البيت بعد ان كان غريبا فى مدين،و مستقرّا بعد ان كان من دون مأوى،و نقرأ بين السطور دروسا إلهيّه مهمّه حول أخلاقيات المهاجر الرسالى.

و تتجلى الرحمه الإلهيه مره أخرى و بصوره أعظم حينما يرجع موسى بأهله الى وطنه و المشاكل تحوطه من كل جانب،فالليل حالك الظلمه،و البرد قارص، و زوجته حامل،و هم يسيرون فى مفازه شاسعه،دون معرفه بمعالم الطريق،و فى الأثناء تموت مواشيه،و هو لا يعرف إذا يصنع،و إذا بيد الغيب تمتد اليه لا لكى تستنقذ موسى فقط،و انما لكى تستنقذ معه بنى إسرائيل أيضا.

فى بادئ الأمر لما رأى موسى النار لم يكن فى خلده سوى الاستفاده من جذوتها للتدفئه،و ممن حولها الاهتداء الى الطريق،و لكن ما إن بلغها حتى سمع النداء:

«فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً» و حينها انسلخ من كل الانتماءات الماديه، و نسى كل الهموم و الآلام،و توجه الى ربه بكل عقله و عواطفه، و هنا تتجلى عظمه الأنبياء،فاذا بموسى عليه السلام لا يخلع نعليه و حسب،بل يخلع كل انتماءات الأرض و التراب عن نفسه،و يأتيه الوحى من طور سيناء،دون ان يلتفت الى زوجته الحامل،و لا مواشيه التى هلكت و التى كانت حصيله عشر سنوات من العمل.

بينات من الآيات:

اخلاقيات المهاجر:

[۲۵]المهاجر باعتباره غريبا عن بلد الهجره،يجب ان يكون متساميا فى الأدب،لأنه لا يعرف البلد،و لا يعرف خصائصه الاجتماعيه،و ربما يوجد فيه من

يعتقد بأنه ثقيل الظل،فيحاول الضغط عليه،و من هنا يجب على المهاجر تفجير طاقاته المعنويه و الماديه ليستوعبه أهل المدينه،و أول عمل قام به موسى عليه السلام أنه أعان العائله الفقيره،و هكذا نجد حياه الأنبياء و الرساليين عبر التاريخ،فرسول اللّه صلى الله عليه و آله دخل المدينه مهاجرا من مكه،و دخلت معه البركات إليها بسبب نشاطه و قيمه الرساليه،و أول ما وصل إليها بنى مسجدا فيها و هو مسجد(قباء)و ردم الحفر و المستنقعات التى انتشرت حولها-حسب بعض التواريخ-و التى كانت باعثا على الأمراض،ثم إنه صلى الله عليه و آله لم يكن كلّا على أهلها،بل كان يعمل بنفسه،و يكد من عرق جبينه،أو ربما دفع الامام على للقيام بهذا الدور،و مثل هذا السلوك يجعل المهاجر محبوبا فى المجتمع،و هذا ما حدث فعلا لموسى-عليه السّلام-إذ بعث اليه شعيب-عليه السّلام-لما أنبأته ابنتاه بأنه قوىّ أمين،و قد أحسن إليهما بالسقى لمواشيهما.

فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياءٍ قالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا و هنا اشاره الى ان الأديان الإلهيه عموما لا تعارض دخول المرأه الى الواقع الاجتماعى،و تعاملها مع الآخرين،و لكن بشرط ان يكون تعاملها محاطا بالأدب و الحياء،فهذه ابنه شعيب و هو أحد الأنبياء بعثها أبوها فى أمر يجده ضروريّا،و حين لبّت كانت متسربله بالعفه و الحياء.

و استجاب موسى عليه السلام لهذه الدعوه لا ليأخذ أجر السقايه،و انما ليجد له موقعا فى هذا البلد الغريب.إذ ينبغى للمهاجر الرسالى ان يبنى شبكه من العلاقات الاجتماعيه بمختلف الأسباب المشروعه،و لمختلف الجهات فى المجتمع حتى يستفيد منها فى سبيل أهدافه الحق،و حينما مشى موسى مع امرأه غريبه مشى بأدب

و حشمه،فقد أمرها ان تسير خلفه و تدله على الطريق بحصاه ترميها يمينا أو يسارا، لأنه ربما يرى شكلها و هى تسير أمامه.

و فى الحديث:

«فقام موسى معها و مشت أمامه،فسفقتها الريّاح فبان عجزها،فقال لها موسى:تأخرى و دلينى على الطريق بحصاه تلقينها أمامى اتبعها،فانا من قوم لا ينظرون فى ادبار النساء » (۱)فَلَمّا جاءَهُ وَ قَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ روى له ما جرى عليه فى بلاده التى يسيطر عليها فرعون و جلاوزته.

قالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ و أول ما دخل عليه موسى أمر له بطعام،فرفض أن يأكله و هو جائع،فلما سأله شعيب عن السبب،قال نحن من أهل بيت لا نأخذ أجرا على خدمتنا للآخرين لأنه لوجه اللّه،و بقى مصرا على ذلك،حتى أوضح له شعيب ان هذا ما نقدمه لكل ضيف يحل علينا.

و يبين لنا هذا الموقف احدى صفات المهاجرين الرساليين و خلقياتهم،إذ يجب على المهاجر ان يحصّن نفسه ضد الذله،و يحافظ على قيمه التى جاء بها للمهاجر، فالكثير من المهاجرين،سواء كانوا عمّالا أو مجاهدين حينما ينتقلون الى بلاد الشرق أو الغرب تنمحى قيمهم من أذهانهم،و تنعكس على شخصيّاتهم قيم و سلوكيات مجتمع المهجر،لأن المجتمع قوىّ،و هم لا يجدون ما يحصنهم أمام تياراته،فيذوبون

۱- ۱) نور الثقلين/ج(۴)/ص(۱۲۲).

فيه.

و على المهاجر ان يفكر فى الحفاظ على قيمه،و تحصين شخصيّته قبل التفكير فى توفير مأكله و مشربه،فقد رفض موسى عليه السلام ان يأكل الا بعد ما تأكد من ان هذا الطعام لا تستتبعه ذله و لا انتماء معينا.

[۲۶] قالَتْ إِحْداهُما يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ و هذا الاقتراح يكشف لنا عن أمرين:

الاول:إحساس المرأه بالحاجه الى رجل يقوم بمهام البيت،و ان ما يشبع طموح المرأه فى الرجل ان يكون قويا يجبر ضعفها،و أمينا تطمئن للعيش فى كنفه.هذا من الناحيه الخاصه-بالنظر الى المرأه كامرأه-أما من الناحيه العامه حيث الظروف المحيطه ببيت شعيب فهاتان الصفتان مهمتان،فمن الضرورى ان يكون قويّا حتى يؤدى المهام و الأعمال بشكل أفضل،و أمينا حفظا لعرض البيت.

قال الامام على عليه السلام :

«لما قالت المرأه هذا،قال شعيب عليه السلام :و ما علمك بأمانته و قوته؟قالت:أما قوته فانه رفع الحجر الذى لا يرفعه كذا بكذا،و أمّا أمانته فانه قال لى:امشى خلفى فأنا أكره أن تصيب الريح ثيابك،فتصف لى جسدك » (۱)الثانى:ربما يكشف هذا الاقتراح عن رغبتها فى الزواج منه،فقد ورد فى الروايات أن التى تزوّجها موسى هى صاحبه الاقتراح،بل و إنها هى التى أشارت

۱- ۲) المصدر/ص(۱۲۳).

على أبيها بالزواج منه،و الذى يدل على هذا الأمر الآيه اللاحقه،حيث يطرح فيها شعيب موضوع الزواج على موسى عليه السلام لقاء عمله معه ثمان أو عشر سنوات،مما يدل على وجود بحث مسبق،فى هذا الموضوع بينه و بين أبنته،و لا ريب انها كانت تعرف بأن أجور عمله هو الزواج.

[۲۷]و قبل شعيب باقتراح ابنته فاقبل على موسى(عليه السّلام).

قالَ إِنِّی أُرِیدُ أَنْ أُنْکِحَکَ إِحْدَی ابْنَتَیَّ هاتَیْنِ و اشترط عليه العمل ثمانى سنين.

عَلی أَنْ تَأْجُرَنِی ثَمانِیَ حِجَجٍ إلزاما،و خيّره فى سنتين إذا أراد هو.

فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِکَ باختيارك و أرادتك،و إحسانا منك.

وَ ما أُرِیدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَیْکَ سَتَجِدُنِی إِنْ شاءَ اللّهُ مِنَ الصّالِحِینَ [۲۸]فأجابه موسى:

قالَ ذلِکَ بَیْنِی وَ بَیْنَکَ أَیَّمَا الْأَجَلَیْنِ قَضَیْتُ فَلا عُدْوانَ عَلَیَّ وَ اللّهُ عَلی ما نَقُولُ وَکِیلٌ و بقى موسى عليه السلام يعمل عند شعيب عليه السلام و قد جعل اللّه ذلك كرامه لنبيه شعيب لما هو عليه من التقوى و الزهد.

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله :

«بكى شعيب عليه السلام من حب اللّه عز و جل حتى عمى،فرد اللّه عز و جل عليه بصره،ثم بكى حتى عمى،فرد اللّه عليه بصره،ثم بكى حتى عمى فرد اللّه عليه بصره،فلما كانت الرابعه أوحى اللّه اليه:يا شعيب!الى متى يكون هذا أبدا منك؟إن يكن هذا خوفا من النار فقد أجرتك،و ان يكن شوقا الى الجنه فقد أبحتك، فقال:إلهى و سيّدى أنت تعلم أنى ما بكيت خوفا من نارك،و لا شوقا إلى جنتك،و لكن عقد حبك على قلبى فلست أصبر أو أراك،فأوحى اللّه جل جلاله إليه:أما إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليمى موسى ابن عمران » (۱)و هكذا كان حيث زوج شعيب ابنته لموسى لقاء العمل عنده لمده ثمان سنوات أو عشر،و على هامش هذا الزواج هناك حقائق نشير إليها:

الاولى:من الممكن ان تختار المرأه الزوج المناسب لها،لأن الزواج قضيه مصيريّه،ذات أثر عميق على حياه المرأه و مستقبلها،و لكن هذا الإختيار يجب ان يكون بطريقه لائقه،تتناسب مع حشمه المرأه،و القيم الإلهيه،فهذه بنت شعيب انما اختارت موسى لما وجدت فيه من الصفات و المؤهلات،من قوه و امانه،و التزام بمفاهيم الرساله،ثم عرضت اختيارها بأدب على أبيها.

الثانيه:قبل ان يتقدم موسى عليه السلام بطلب الزواج،بادر شعيب الى ذلك،حيث وجده كفؤا،و وجد فى زواجه من ابنته ضمانا لمستقبلها،و سعاده لها فى الحياه، و هذا خلاف ما نجده الآن فى المجتمعات التى صار فيها عرض الأب بناته للزواج ممن يجده أهلا لها عيبا كبيرا.

۱- ۳) المصدر/ص(۱۲۴).

الثالثه:ان البنت الصغرى هى التى تزوجت و ليست الكبرى.على عكس بعض التقاليد الخاطئه التى ترى ضروره زواج الكبرى أوّلا.

[۲۹]و بقى موسى عند نبى اللّه شعيب عليه السلام عشر سنوات،و هى أقصى الأجلين قبل ان يقرر العوده من جديد.

فَلَمّا قَضى مُوسَى الْأَجَلَ وَ سارَ بِأَهْلِهِ و كان هذا إيذانا بدخول الحركه الرساليه مرحله جديده،هى مرحله العوده للتحرير،و قد سبق أن أشرنا بأن الهجره عند الرساليين لا- تعنى الهروب من الواقع و تحمل المسؤوليه،إنما تعنى الإعداد الأفضل لخوض الصراع الحاسم،و لا ريب ان موسى كان يفكر فى مستقبل شعبه،و يخطط للمعركه القادمه و هو فى طريق العوده.

كان الوقت ليلا،و الفصل شتاء،و المسير فى صحراء مترامیه الأطراف،و لم تكن هذه الطريق معهوده عند موسى،فضاع و ماتت مواشيه،فصار يلتمس عونا له على هذه الظروف،و فى هذه الأثناء:

آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ و هو الجبل.

ناراً قالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ ناراً و آنس من الاستئناس،و بالفعل أعطت هذه الشعله شيئا من الأمل للنبى موسى و هو يعانى تلك الظروف القاسيه،فأمر أهله بالبقاء،حيث أبقاهم فى مكانهم ريثما يعود،و كانت أصعبها عليه الضياع،و بقاء أهله فى البرد،كذلك قال:

لَعَلِّی آتِیکُمْ مِنْها بِخَبَرٍ کان یتصور علیه السلام ان بجانب النار جماعه ما،یسألهم عن الطریق،و یعود لأهله بخبر مفید.

أَوْ جَذْوَهٍ مِنَ النّارِ لَعَلَّکُمْ تَصْطَلُونَ و الاصطلاء:هو التدفؤ.

[۳۰]کان هذا أبعد ما ذهب الیه موسی حینما رأی النار،و لکنه کان یحمل فی داخله همّا أکبر من ذلک کله،هم تحریر شعبه و سوقه نحو توحید اللّه و عبادته، بعیدا عن العبودیات المزیفه،و لو وصل فی هذا المضمار الی نتیجه لا بد انه کان ینسی کل شیء سوی ذلک الهم.

فَلَمّا أَتاها نُودِیَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَیْمَنِ فِی الْبُقْعَهِ الْمُبارَکَهِ مِنَ الشَّجَرَهِ أَنْ یا مُوسی إِنِّی أَنَا اللّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ و فی غمره هذا القرب الالهی امره اللّه ان یقطع عنه کل علاقاته الأخری، و ینسی أهله و ضیاعه،و هلاک مواشیه،لأنه وجد ربه،و هنا التفاته مهمه تعنی المجاهدین أکثر من غیرهم و هی:ان علیهم الاطمئنان الی نصر اللّه و عونه،و ان ذلک کله لا یتأتی لأحد إلّا بعد السعی و الجهاد: «وَ الَّذِینَ جاهَدُوا فِینا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنا وَ إِنَّ اللّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِینَ» (۱)و ثمّه فکره نجدها فی تفسیر الامام الصادق علیه السلام لهذه الآیه.إذ

یقول:

۱- ۴) العنکبوت/(۶۹).

«کن لما لا ترجوا أرجی منک لما ترجو،فان موسی ابن عمران ذهب یقتبس نارا لأهله، فانصرف إلیهم و هو نبیّ مرسل » (۱)

۱- ۵) نور الثقلین ج(۴)/ص(۱۲۷).

[سوره القصص (۲۸): الآیات ۳۱ الی ۳۷]

اشاره

وَ أَنْ أَلْقِ عَصاکَ فَلَمّا رَآها تَهْتَزُّ کَأَنَّها جَانٌّ وَلّی مُدْبِراً وَ لَمْ یُعَقِّبْ یا مُوسی أَقْبِلْ وَ لا تَخَفْ إِنَّکَ مِنَ الْآمِنِینَ (۳۱) اُسْلُکْ یَدَکَ فِی جَیْبِکَ تَخْرُجْ بَیْضاءَ مِنْ غَیْرِ سُوءٍ وَ اُضْمُمْ إِلَیْکَ جَناحَکَ مِنَ الرَّهْبِ فَذانِکَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّکَ إِلی فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ إِنَّهُمْ کانُوا قَوْماً فاسِقِینَ (۳۲) قالَ رَبِّ إِنِّی قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخافُ أَنْ یَقْتُلُونِ (۳۳) وَ أَخِی هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّی لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِی رِدْءاً یُصَدِّقُنِی إِنِّی أَخافُ أَنْ یُکَذِّبُونِ (۳۴) قالَ سَنَشُدُّ عَضُدَکَ بِأَخِیکَ وَ نَجْعَلُ لَکُما سُلْطاناً فَلا یَصِلُونَ إِلَیْکُما بِآیاتِنا أَنْتُما وَ مَنِ اتَّبَعَکُمَا الْغالِبُونَ (۳۵) فَلَمّا جاءَهُمْ مُوسی بِآیاتِنا بَیِّناتٍ قالُوا ما هذا إِلاّ سِحْرٌ مُفْتَریً وَ ما سَمِعْنا بِهذا فِی آبائِنَا الْأَوَّلِینَ (۳۶) وَ قالَ مُوسی رَبِّی أَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالْهُدی مِنْ عِنْدِهِ وَ مَنْ تَکُونُ لَهُ عاقِبَةُ الدّارِ إِنَّهُ لا یُفْلِحُ الظّالِمُونَ (۳۷)

اللغه

۳۲[أسلک]:أدخل.

[جناحک]:یدک.

[الرهب]:الخوف.

۳۴[ردء]:أی معینا.

بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَ مَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ

هدى من الآيات:

لحظه الوحى هى لحظه حساسه فى تاريخ البشريه،لأنها لحظه الاتصال الخارق للعاده،بين رب السماء و الأرض عبر مشكاه طاهره تتجسد فى قلوب الرسل الذين يستقبلون الوحى،ثم يبلّغونه للناس دون زياره أو نقصان،و هذه اللحظه لا تتكرر كثيرا فى حياه البشر،إلا وفق حكمه اللّه البالغه،و قد تحققت لأمه بنى إسرائيل عند ما كلم اللّه نبيه موسى عليه السلام فى طور سيناء،كما تحققت للأمه الاسلاميه فى ليله القدر،حينما نزل القرآن كلّه على قلب النبى محمد صلى الله عليه و آله و لعظمه هذه اللحظه كانت ليله القدر خيرا من الف شهر.

لقد كلّم اللّه نبيه موسى تكليما،و لكنه أجلّ من ان يكون له لسان،انما يخلق الصوت خلقا و بذلك تغيرت صفحه الحياه،و بدأت المسيره الحقيقيّه لبناء الأمه المؤمنه.

و لقد زود اللّه نبيه موسى عليه السلام بآيتين عظيمتين هما العصا،و يده التى تصير بيضاء حينما يضمها الى جيبه، ثم أمره بالتوجه إلى رأس الفساد و الانحراف فى المجتمع و هو الطاغوت،ذلك أنّ من خصائص الرسالات الإلهيه عبر التاريخ أنها شجاعه مقدامه،لهذا نجد موسى عليه السلام حينما يأمره اللّه بالتوجه إلى قلب الكفر يفعل ذلك و يترك العمل السرى دون ان يخشى من فرعون،و لماذا يهاب أحدا و قد اتصل بالوحى و بخالق الكون كله؟! و فى مقابل موسى يقف فرعون و هو تركيز لشتّى أنواع الفساد،إنسان ظالم، تحوطه الأهواء و الشهوات و الكبرياء المزيفه،و بالطبع لا يمكن أن يتخلّى عن ذلك كله فى لحظه واحده،و يتجه الى عباده اللّه،و يسلم لقياده رسوله،إلاّ أنّ موسى يبقى ثابتا أمام ذلك،واثقا من «إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظّالِمُونَ» و انهم مهما فعلوا،و مهما استمروا،و تشبثوا بأسباب القوه فان عاقبتهم الخسران.

ان العبر التى نستوحيها من هذا الدرس كثيره،و تنفعنا فى حياتنا و نحن ندعوا الى اللّه،و لكن أبرزها ان يعرف الفرد الرسالى بان النقطه المحوريه لتحركه هو تقربه من اللّه،فليدع و ليعمل و ليعارض و لكن انطلاقا من هذه النقطه و انتهاء إليها.

هل رأيت المحارب ينطلق من خندقه،ثم يعود اليه ليغير سلاحه،و يحكم خطته،ثم يهجم مره أخرى؟كذلك المؤمن يواجه السلبيات و المشاكل و التحديات،فيضعف سلاحه،و ينفذ زاده،و تتعب نفسه فيعود الى خندقه ليجبر ضعفه،و يحمل زاده،و يستعيد نشاطه،و لكنه اين هو خندق المؤمن؟انه المحراب يقف فيه للصلاه،و القرآن يستوحى منه خطط العمل و التحرك،و الصوم يشد به أزره،و التبتل يستفيد منه العزم و الإراده و الإصرار عبر اتصاله باللّه.

انّا لو فصلنا الحركه الرساليه عن الروحيات(الصلاه،و الصوم،تلاوه القرآن، الايمان بالغيب و..و)فانها تصبح كأيّه حركه ماديه أخرى لا قيمه لها،كما الإنسان لو أخذنا منه عقله،أو الحيوان نسلب روحه.انه يتحول الى كتله لحم تتعفن بمرور الأيام،فالحركه الرساليه يجب ان تكون من اللّه،و الى اللّه،و باللّه، و فى سبيل اللّه،و ليس من اللّه الى غيره،أو من غيره تعالى اليه.

و حينما تتخلى أمّه عن الوحى تضحى كبنى إسرائيل كانوا حركه رساليه، فتحولوا الى حركه ماديه بحته أفرزت دويله إسرائيل(فلسطين اليوم)أما المسلمون فقد تقدموا لما اتصلوا بالرساله،و لما تركوا الرساله سلب منهم كل شىء.

بينات من الآيات:

اِذْهَبا إِلىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغىٰ:

[٣١]لقد زود ربنا سبحانه،نبيه موسى بآيتين عظيمتين هما أولا:العصا التى إذا ألقاها صارت حيّه تسعى،و إذا أخرج يده من جيبه،فإذا هى بيضاء للناظرين:

وَ أَنْ أَلْقِ عَصٰاكَ فَلَمّٰا رَآهٰا تَهْتَزُّ كَأَنَّهٰا جَانٌّ وَلّىٰ مُدْبِراً وَ لَمْ يُعَقِّبْ لان موسى لا زال يحتفظ بخاصيته البشريه،فهو لا يزال و سيبقى بشرا،يملك من العواطف و المشاعر ما يملكه الآخرون،و هذا دليل على أن الأنبياء لا يتحولون بالوحى إلى آلهه،و أنّ الوحى ليس من عند أنفسهم،بل هو مسئوليه الهيه الى من يختاره اللّه.

و كثيرا ما يوحى اللّه الى أنبيائه ليقولوا هذه الحقيقه للناس صراحه،كما قال سبحانه: «قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ» . (۱)

لذلك ولّى موسى فرارا،و لم يلتفت خلفه لما رأى الجان و هو-كما يقول البعض-الحيّه الصغيره المتحركه.

و لعل العصا صارت جانّا فى تلك المره،أما فى المرات التاليه فقد صارت ثعبانا مبينا.

يا مُوسى أَقْبِلْ أنت الذى يراد لك ان تحمل رساله اللّه،يجب ان تكون مقداما لا تخاف.

وَ لا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ فهذا هو أول الطريق،و أمامك صعوبات و مشاكل،فسكن قلب موسى من هذا النداء الربانى،و تشجع فأخذ الحيه فاذا هى عصا كما كانت.

[۳۲]و تواصل النداء الإلهى:

اُسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فالبياض لم يكن بسبب مرض البرص مثلا،و إنما كان آيه إلهيّه لموسى.

وَ اضْمُمْ إِلَيْكَ جَناحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذانِكَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّكَ إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ

۱- ۱) الكهف/(۱۱۰).

و الفسق هو الخروج عن الخط الصحيح نحو الانحراف.

[۳۳]هکذا جاءت الرساله تأمر موسی بمقاومه الانحراف و رأسه فرعون.

قالَ رَبِّ إِنِّی قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخافُ أَنْ یَقْتُلُونِ و ربما کان موسی یعنی ذلک القبطی الذی وکزه فقضی علیه.

[۳۴] وَ أَخِی هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّی لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِی رِدْءاً یُصَدِّقُنِی إِنِّی أَخافُ أَنْ یُکَذِّبُونِ و نستفید من هاتین الآیتین التالیتین أمران:

۱-ان خوف موسی علیه السلام لم یکن علی نفسه،فقد باعها برضوان ربه و الجنه، و لم یعد من مدین الا لیجاهد الطاغوت،و لکن خوفه کان علی الرساله،لأن قتله یعنی عدم وصولها إلی بنی إسرائیل،کما تکذیبه یعنی فشله فی تبلیغها أو لا أقل تأثیره علیهم بها.

۲ انه عند ما طرح هذه المشاکل أو العقبات التی تعترضه،لم یکن هدفه التبریر و التملص من تحمل المسؤولیه،و انما البحث عن الحل.

و هکذا ینبغی للإنسان الرسالی حینما یبعث الی مهمه ما،فی أیّ بلد ان یستعرض العقبات و المشاکل بحثا عن الحل لا التبریر.

[۳۵]قالَ سَنَشُدُّ عَضُدَکَ بِأَخِیکَ ای سنقوّی کیانک بهارون.

وَ نَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا قد يقول البعض ان ذلك نبى اللّه،أما نحن فكيف يكون لنا هذا السلطان و نحن لا نملك عصا موسى عليه السلام ؟! بلى..و لكن اللّه يقول:

بِآياتِنا أَنْتُمَا وَ مَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغالِبُونَ ان الذى يلتزم بالرساله هو الذى ينتصر،و ما دام المسلمون يتبعون آيات اللّه فإنهم الغالبون،كما انتصر موسى و هارون و من اتبعهما من بنى إسرائيل،عند ما التزموا برساله موسى عليه السلام .

[۳۶] فَلَمَّا جاءَهُمْ مُوسى بِآياتِنا بَيِّناتٍ لا تقبل التشكيك،و لا تشبه السحر.

قالُوا ما هذا إِلاّ سِحْرٌ مُفْتَرىً وَ ما سَمِعْنا بِهذا فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ ان مشكله هؤلاء هى النفس البشريه التى تعوّدت على عادات معينه،و تريد الاستمرار عليها،و بالتالى ترفض كل جديد لأنه جديد،و فى مطلع سوره الشعراء نجد اشاره الى هذه الكلمه: «وَ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمنِ مُحْدَثٍ إِلاّ كانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ» . (۱)

[۳۷]و لكن امام هذا الاعراض ماذا كان موقف موسى عليه السلام ؟

۱- ۲) الشعراء/(۵).

ان الأنبياء و الأولياء،و كل من يسير فى خطّهم يتوكلون على اللّه،و يرجعون كل شيء إليه،فلا يقول أحدهم أنا،بل يقول:اللّه،فتراه كلما عرضت له مشكله أو مصيبه قال:لا حول و لا قوه إلّا باللّه العلىّ العظيم. إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ .

انهم يجعلون اللّه شاهدا على الواقع.

وَ قالَ مُوسى رَبِّى أَعْلَمُ بِمَنْ جاءَ بِالْهُدى مِنْ عِنْدِهِ وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عاقِبَهُ الدّارِ ما دمت أيها الرسالى تعلم بأنك تعمل فى سبيل اللّه،و تعلم ان هذا السبيل ينتهى بك الى الجنه فما يضيرك من حديث الآخرين و من ضغوطهم.

إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظّالِمُونَ الفلاح هو الوصول الى الهدف،و الرساله هى الطريق اليه،و الظالم أو الفاسق الذى انحرف عن الرساله لا يفلح فى دنياه لأنه لا يملك الهدى لا فى دنياه و لا فى آخرته،لأن عاقبته ستكون النار.

ان الذى يصلح التربه،و يزرع الأرض-و هذا هو السبيل السليم-يحصد القمح فى نهايه الموسم،أما الذى يعيش على الاحتيال و السرقه-و هذا هو السبيل الخطأ-فانه لا يصل الى هدفه،فقد لا يقدر على السرقه،و إذا سرق قد لا يستطيع ان يبيع ما سرقه،و إذا باعه لن يتوفق بأمواله، و النتيجه انه بسبب من الأسباب لا يفلح فى هذه الحياه.

ان حقوق الآخرين حقائق واقعيه،لا يمكن تجاوزها دون جزاء،أو إزالتها من

خریطه الحیاه بمجرد الادعاء بأنها غیر موجوده،فلا یستطیع الجائع ان ینفی الجوع عن نفسه بمجرد إنکاره له،و الظالم لا یستطیع ان ینکر حق الفقیر فی الشبع،فهو حق ثابت أجریت سنن الحیاه علی أساسه،فعقل الفقیر و حاجته و تطلعاته،مضافا الی ترکیبه الحیاه،و سنن اللّه فیها سوف تجعل من ظلمه ماده لإدانه الظالم و هلاکه.

ص:۳۱۶

[سوره القصص (۲۸): الآیات ۳۸ الی ۴۲]

اشاره

وَ قالَ فِرْعَوْنُ یا أَیُّهَا الْمَلَأُ ما عَلِمْتُ لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَیْرِی فَأَوْقِدْ لِی یا هامانُ عَلَی الطِّینِ فَاجْعَلْ لِی صَرْحاً لَعَلِّی أَطَّلِعُ إِلی إِلهِ مُوسی وَ إِنِّی لَأَظُنُّهُ مِنَ الْکاذِبِینَ (۳۸) وَ اسْتَکْبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَیْنا لا یُرْجَعُونَ (۳۹) فَأَخَذْناهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِی الْیَمِّ فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الظّالِمِینَ (۴۰) وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَدْعُونَ إِلَی النّارِ وَ یَوْمَ الْقِیامَهِ لا یُنْصَرُونَ (۴۱) وَ أَتْبَعْناهُمْ فِی هذِهِ الدُّنْیا لَعْنَهً وَ یَوْمَ الْقِیامَهِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِینَ (۴۲)

اللغه

۳۸[صرحا]:الصرح هو القصر الواسع.

۴۰[نبذناهم]:النبذ هو الإلقاء و الطرح.

[الیم]:البحر و قد تطلق علی النهر الواسع.

۴۲[المقبوحین]:القبح الابعاد و قبّحه اللّه أی أبعده.

إِنَّهُ لاٰ يُفْلِحُ الظّالِمُونَ

هدى من الآيات:

انتهت آيات الدرس السابق بالحديث عن الظلم،و أنه يسبب الخسران لصاحبه،و فى هذه الآيات نجد مثالا واقعيّا على هذا الفكره القرآنيه التى تلخص سنه إلهيه فى الحياه،مستمده من قصه فرعون،حيث أغرقه اللّه و جنوده فى اليمّ.

ربما يستطيع الإنسان أن يغيّر سنّه الحياه لفتره من الزمن-بما أعطاه الرب من حريه فى ذلك-و لكن ليس للأبد،لأن طاقاته محدوده،بينما الحياه مستمره، و سننها تجريها إراده اللّه المطلقه.إن فرعون حكم الناس،و سيطر على البلاد و العباد،و تكبر حتى بلغ الأمر به أن ادّعى الألوهيه،و أعتقد بأنه قادر على مقاومه الحق،و أنّ الحياه لا يحكمها قانون،لكن الواقع كان خلاف ذلك،فقد اصطدم بالواقع،إذ تبين له ان فيها سننا،و ان هناك من يجرى هذه السنن.

بينات من الآيات:

أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلىٰ:

[۳۸]يبدو ان موسى عليه السلام صعق الملأ بكلامه،فاهتزت قناعاتهم بفرعون، و اضطره الى الدفاع عن خرافاته بأساليب جديده،حيث قال:

أولا:انه يريد مصلحه الملأ،و انه لم يجد إلها غيره يحققها،و تظاهر ثانيا:بأنه سوف يبحث عن ذلك الإله الذى يدعو اليه موسى.

وَ قٰالَ فِرْعَوْنُ يٰا أَيُّهَا الْمَلَأُ مٰا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي فما دام هو لا يعلم من اله غيره،فالآخرين لا يعلمون أيضا،بل يجب أن لا يعلموا،و هو يقول:«لكم»لإيهامهم أنّه ينفعهم،و هو يخاطب الملأ،لأنه كان قد سلطهم على الناس،و أعطاهم امتيازات كثيره.

فَأَوْقِدْ لِي يٰا هٰامٰانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً قال:«لى»و ليس للشعب،أو من أجل القيم،و الصرح هو العرش أو القصر المرتفع،الذى كان قديما يبنى من الآجر،و هذا بدوره يصنع من الطين بعد تعريضه للنار،و ما هو هدفه من بناء هذا الصرح؟ لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلىٰ إِلٰهِ مُوسىٰ وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكٰاذِبِينَ الهدف الأول:إظهار القوه،فلكما شعرت السلطات الفاسده،عبر التاريخ، بأنها ضعيفه،و انها سوف تنهار،سعت للبحث عن مظهر من مظاهر القوه،حتى و لو كان هذا المظهر هو بناء العمارات أو الجسور،التى تشملها عمليات ما يسمى

بالتحديث.

و لا ريب ان قسما من الناس السذج يعجبون بمثل هذه الأعمال،فيتصورون الطاغوت بقوتها و ضخامتها،و فرعون عند ما يبنى هذا الصرح أو تلك الأهرامات فلكى يغطى بها الاهتزاز الذى أصاب كيانه الجاهلى بسبب رساله موسى عليه السلام .

و اليوم نجد كثيرا من الانظمه الفاسده تكدس الأسلحه،و تعقد الصفقات الواحده بعد الاخرى لتتظاهر أمام شعبها بالقوه،و لعل الآيه توحى بنظريه فى علم الاجتماع تقول:ان التضخم المادى ينبأ بخلل داخلى يعانى منه المجتمع أو النظام السائد فيه،و كما المتكبر يستعلى عند ما يحس بعقده الضعه فى نفسه،كذلك المجتمع المغرور داخليا يهتم بمظاهر الأبهّه كبناء القصور الضخمه،أو المعابد الكبيره،أو ما أشبه لتأخير حاله الانهيار.

الهدف الثانى:الهاء الناس،و سدّ فراغهم بقضايا هامشيّه،فترى الحكومات عند ما تشعر بالفشل،و انها أقل من طموحات الشعب تشجع لعب الكره،و فى الارجنتين حينما حدث الانقلاب العسكرى،و خرجت الناس الى الشوارع مطالبه بالحكم المدنى استدعت الحكومه العسكريه الدوره العالميه لكره القدم،و من خطط ال(سى.آى.أ)التى عملت الانقلاب،ان جعلت الكأس للارجنتين.و كأنهم يريدون القول للشعب:إذا فشلنا فى بناء دوله ديمقراطيه حره،و اقتصاد وطنى،فقد جلبنا لكم كأس العالم.

ان الشعب الذى يكون أكبر طموحاته اللعب بالكره،و أفضل رموزه لاعبيها،لا يفكر فى الثوره على طواغيته.

أئمه النار:

[۳۹]و الطاغوت حينما ينبى القصور،أو يجمع المال و السلاح،يتصور أنه صار

عظيما،و هذا الشعور هو الذى يصنع بينه و بين الحقيقه حجابا.

وَ اسْتَكْبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ لم يكن العجز فى رساله موسى-حاشا للّه-فهى آيات بينات،و لكنهم أعرضوا عنها،و زعموا أنهم أولوا كبرياء،و لم يكونوا على حقّ،و سبب الاستكبار هو عدم اعتقادهم بالبعث.

وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنا لا يُرْجَعُونَ [۴۰]و كان جزاء هذا الاستكبار هو الاهانه،لكى يعرفوا أنفسهم على حقيقتها.

فَأَخَذْناهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِي الْيَمِّ و هذه العاقبه،حذّر منها نبى اللّه موسى عليه السلام من أول يوم،و جاء عليها بالبراهين و الآيات،و كان ينبغى لفرعون و جنوده ان يعقلوها،و هذا هو الهدف السامى من نعمه العقل:ان يتعرف به الإنسان على سنن اللّه،و عواقب الأمور، و يعمل على هدى الوحى و العقل،لكن هؤلاء استكبروا على الحقيقه.

فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظّالِمِينَ لقد أكد نبى اللّه عليه السلام إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظّالِمُونَ و جاء القرآن بالواقع العملى لهذه السنه الإلهيه من خلال قصّه فرعون و جنوده،حتى أن السياق القرآنى و صفهم بالاستكبار و ليس بالظلم،إلا انه قال: «فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظّالِمِينَ» حتى تجد أنت أيها القارئ الترابط بين الآيتين،و ان هذه شاهد على تلك.

و ليست هذه الحقيقه بعيده عن واقعنا،فاللّه يقول:«فانظر»لكى لا تتصور أنت أيها الذى تقرأ القرآن،بأنك بعيد عن هذه السنن،أو أنها تختص بذلك الزمان،و هذه من مميزات الأسلوب القرآنى فى التربيه.إذ يشد الإنسان اليه، و يحمّله مسئوليه النظر،و التفكر،و البحث المنهجىّ.

[۴۱]و يؤكد القرآن الحقيقه الآنفه إذ يقول:

وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً يَدْعُونَ إِلَى النّارِ وَ يَوْمَ الْقِيامَهِ لا يُنْصَرُونَ المسأله اذن ليست مسأله شخص فرعون،بل هو خط فى الحياه،و فى آيه قرآنيه أخرى يقول تعالى: وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّهً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا وَ كانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ (۱) و ذلك حتى نعرف بأن فى الحياه خطين هما:خط الحق المتمثل فى رسالات الأنبياء و أئمه الهدى،و خط الباطل المتمثل فى الثقافه الجاهليه و الطواغيت،و انا الذى اقرأ القرآن أو الذى أعيش فى هذا العصر يمكننى أن أكون من الظالمين أو معهم، فيكون مصيرى كمصير فرعون و جنده،و يمكننى أن أكون مع المؤمنين و منهم،فتكون لى عاقبه الدار.

و هذه السلطات الفاسده اليوم هى الامتداد الفعلى لخط فرعون،بينما تمثل الحركات الرساليه و العلماء الربانيون الامتداد المبارك لخط الأنبياء عليه السلام .

[۴۲]و الطغاه ليس ينالون جزاءهم فى الآخره و حسب،بل يتحولون الى لعنه على ألسن الناس فى الدنيا،و يبعدون عن رحمه اللّه.

وَ أَتْبَعْناهُمْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيا لَعْنَهً وَ يَوْمَ الْقِيامَهِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ

۱- ۱) الأنبياء/(۷۳).

انهم يحشرون بوجوه قبيحه،لأن الجزاء من جنس العمل،فهذه الوجوه طالما دأبوا على تلميعها،و تجميلها عبر وسائل الاعلام فى الدنيا،فجزاهم اللّه بتقبيحها فى الآخره.

ص:۳۲۳

[سوره القصص (۲۸): الآیات ۴۳ الی ۴۹]

اشاره

وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ مِنْ بَعْدِ ما أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولى بَصائِرَ لِلنّاسِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (۴۳) وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنا إِلى مُوسَى الْأَمْرَ وَ ما كُنْتَ مِنَ الشّاهِدِينَ (۴۴) وَ لكِنّا أَنْشَأْنا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَ ما كُنْتَ ثاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا وَ لكِنّا كُنّا مُرْسِلِينَ (۴۵) وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَيْنا وَ لكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (۴۶) وَ لَوْ لا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۴۷) فَلَمّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا لَوْ لا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسى أَ وَ لَمْ يَكْفُرُوا بِما أُوتِيَ مُوسى مِنْ قَبْلُ قالُوا سِحْرانِ تَظاهَرا وَ قالُوا إِنّا بِكُلٍّ كافِرُونَ (۴۸) قُلْ فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللّهِ هُوَ أَهْدى مِنْهُما أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۴۹)

اللغه

۴۴[بجانب الغربی]:أی فی جانب الجبل الغربی-(جبل طور) الواقع فی الغرب.

۴۵[ثاویا]:مقیما.

هدی من الآیات:

تؤکد هذه الآیات علی الجانب الغیبی للرسالات الإلهیه،فهی لیست قمه فی تکامل بشری تدریجی طبیعی کالشهاده التی یحصلها الطالب عند ما ینتهی من الجامعه مثلا،انما هی قضاء إلهی مفاجئ،یأتی لتصحیح مسیره البشر بصوره غیبیه.

و الرساله کما فی الآیه(۴۳)أداه لرؤیه الحقائق و توضیحها،و منهج لمعرفه العلوم،و هی فی نفس الوقت علم و معرفه و هدی،کما أن الرساله تأتی لإتمام الحجّه علی الناس لکی لا یقولوا غدا:لو لا أرسلت إلینا رسولا!فقد اقتضت حکمه اللّه أن یکون الإنسان حرّا فی حیاته،و یمنح فرصه الهدایه من قبل اللّه،و لم یشأ ربنا العزیز إکراه الناس علی الهدی بالرسل جبرا،فالهدایه ذاتها هی مسئولیتهم،کالذی یعطیک الکتاب و لا یمنحک العلم،و انما یوفر لک فرصته،و هکذا الرساله بالنسبه

للناس،و يوم القيامه تكون الحجه البالغه للّه علينا،ثم ان السياق يعتبر صله بين عبر الأمم الغابره،و سنن الرسل السابقين،و بين رساله النبى محمد صلى الله عليه و آله .

بينات من الآيات:

كتاب موسى:

[۴۳] وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ مِنْ بَعْدِ ما أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولى فى هذا الشطر يلخص القرآن الدوره الحضاريه،فهى تبدأ برساله إلهيه و شخص أو جيل رسالىّ،ثم تنتهى بثقافه جاهليه،و جيل منحرف ينذره الرب،فإن لم ينتفع بالنّذر أهلكه،و لا ريب ان هذه الدوره ليست حتميّه،فلو قدّر ان تمسك الناس برسالات اللّه لما أهلكهم اللّه،كما قدر لقوم يونس ذلك.

ثم يقول ربنا عن الكتاب الذى أنزل مع موسى:

بَصائِرَ لِلنّاسِ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً فى الوقت الذى تكون رسالات اللّه منهج للرؤيه(البصيره)فانها بذاتها علم و معرفه توصل البشر الى الحقائق،فمن جهه تعطى الإنسان بصيره فى الحياه تجاه الأشياء و الاحداث،لأنها تحتوى على سنن اللّه فى الحياه،و تحمل فى طياتها مقاييس و معايير تحدد له الرؤيه النظريه السليمه،و من جهه أخرى تحتوى على العلم و الهدى اللذين يرسمان له الموقف العملى الحقّ لو اتبعها.

و قد يكون الفرق بين العلم و الهدى:ان العلم هو مجرد اتصال الإنسان بالحقائق،اما الهدى فهو تفاعله معها،و انتفاعه منها،

و جاء فى الدعاء:

«و أعوذ بک من علم لا ینفع » (۱)یقصد به العلم الذی لا یعمل به.

و عند ما لا یعمل الإنسان بالعلم فإنه یضلّ و یجهل،بل و ینسی العلم نفسه،أما حین یعمل به فسوف تکون النتیجه هی السعاده و اللطف الإلهی(الرحمه)ماديّا و معنویا.

و السؤال ما هو هدف هذه الرساله التی تشتمل علی البصائر،و الهدی، و الرحمه؟ لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ

و ماذا یتذکر الناس؟

یتذکرون میثاقهم مع اللّه،فیعودون الی فطرتهم،لأن من خصائص الرساله انها ترفع الحجب عن قلب البشر،و نستوحی من هذه الآیه:أن العامل الأخیر فی الهدی حرکه الإنسان نفسه،فالبصائر و الهدی و الرحمه من عند اللّه،أما التذکر فهو مسئولیه الإنسان نفسه.

[۴۴]ثم یذکرنا السیاق بان النبی لم یکن حاضرا الجهه الغربیه التی کان النبی موسی علیه السلام یسیر إلیها من مدین الی مصر،حین استقبل لأول مرّه الوحی الإلهی،و لم یکن هناک من الشاهدین لیصف تلک الحوادث هذا الوصف الدقیق الرائع،و لکن اللّه سبحانه أوحی بالقرآن یقص علی بنی إسرائیل أکثر الذی کانوا فیه یختلفون،و هذا دلیل صدق هذه الرساله.

۱- ۱) مفاتیح الجنان/تعقیب صلاه العصر.

وَ مٰا كُنْتَ بِجٰانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنٰا إِلىٰ مُوسَى الْأَمْرَ کلمتان فی القرآن إحداهما تبین الوضع الطبیعی و هی القدر،و الأخری تبین الوضع الغیبی و هی القضاء،و الفرق أن القدر هو السنن التی أجراها اللّه تعالی فی الخلق،بلا تبدیل و لا تحویل،أما القضاء فهو الأوامر الغیبیه التی تصدر من عنده الی الخلیقه فتتجاوز الأقدار جمیعا،فربما یکون قدر الإنسان ان یموت الیوم،فیدفع صدقه لفقیر،أو یدعو اللّه،أو یصل رحمه،أو..أو..فیقضی اللّه ان یتأخر أجله ثلاثین سنه،و قد یکون قدره العیش ثلاثین سنه،فیظلم من لا یجد ناصرا غیر اللّه، فیقضی اللّه بوفاته الیوم،و الرّساله الإلهیه نوع من القضاء.إذ لیست ثمه سنّه إلهیه لو عمل بها البشر لصار رسولا،فتحول موسی بن عمران علیه السلام الی رسول،أو محمد بن عبد اللّه صلی الله علیه و آله الی رسول ما جاء بدراسه فی الجامعه،أو قراءه فی الکتب، انما الرساله-و کما تقدم فی الهدی-هی قضاء إلهی،یحصل بموجبه الاتّصال بین الخلق و الخالق،عبر رساله و رسول یجعله اللّه خلیفته فی الأرض جعلا-و لا ینفی هذا القول أن اللّه یختار رسله و أنبیاءه علی أساس صفات و ممیزات فیهم.

و فی لحظه القضاء قد یتحقق ما لا یمکن تحقیقه عبر قرون،فالرسول صلی الله علیه و آله دخل الی غار حراء أمیّا لا یعرف القراءه و لا الکتابه،و لکنه خرج منه یحمل رساله تقصر البشر عن بلوغ ذراها أبدا.

وَ مٰا كُنْتَ مِنَ الشّٰاهِدِينَ و لعل هذه الآیه تشیر الی ان الحقائق التی رویت فی هذه القصه لم تکن واضحه عند أهل الکتاب أیضا،أو کانت مثار جدل عظیم سواء فی تفاصیل ما حدث أو فی تفسیرها.

[۴۵]ثم تبیّن الآیه ما یبدو أنه إشاره الی الدورات الحضاریه،حیث أن من عاده البشر نسیان رسالات ربه بعد تطاول القرون،مما یجعله محتاجا إلی بعث جدید برساله الهیه.

وَ لٰکِنّا أَنْشَأْنا قُرُوناً فَتَطاوَلَ عَلَیْهِمُ الْعُمُرُ لقد بقیت البشریه تلفها الظلمات قرونا بعد قرون قبل میلاد الرساله،حیث بدأت الهوّه بین الناس و رساله موسی علیه السلام تتّسع شیئا فشیئا،حتی نبذوه وراء ظهورهم،و عشعش الجهل فی أوساطهم،لذا کانوا بحاجه الی رساله جدیده، تبعث فیهم الوعی و توقظ الضمیر.

وَ ما کُنْتَ ثاوِیاً فِی أَهْلِ مَدْیَنَ تَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِنا إلاّ أن عدم وجودک لا یعنی أنهم لم تصل إلیهم الحجه،فالحیاه قائمه علی هذه السنّه الإلهیه.

وَ لٰکِنّا کُنّا مُرْسِلِینَ لقد أرسلنا إلیهم شعیبا،کما أرسلنا رسولا الی العرب.

[۴۶] وَ ما کُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَیْنا وَ لٰکِنْ رَحْمَهً مِنْ رَبِّکَ لعل هذه الآیه تؤکد علی وحده الرّسالات الإلهیه من خلال وحده أهدافها، و بالتالی فإنّ الإیمان برساله موسی یستلزم الإیمان برساله الإسلام،و إذ یربط السیاق القرآنی بین هاتین الرسالتین فذلک لأسباب منها:

۱-أنهما تشکلان خطّا واحدا فی الرسالات الاخیره للحیاه، و رساله

عیسی علیه السلام إنّما کانت امتدادا لرساله موسی،و کان هدفه تصحیح مسیره الناس بعده،و لیست هی جدیده بحد ذاتها.

۲-لتشابه تفاصیل الرسالتین،و ان تلک الرساله کوّنت أمه فی حیاه نبیها، کما صنعت رساله الإسلام أمه أیضا.

و للرساله هدفان أساسیان:

أحدهما هدایه الناس،عن طریق التذکره قال تعالی:

لِتُنْذِرَ قَوْماً مٰا أَتٰاهُمْ مِنْ نَذِیرٍ مِنْ قَبْلِکَ لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ فکما بعث اللّه موسی رحمه،کذلک یبعث محمد صلی الله علیه و آله رحمه،و فی الآیه حجه علی أولئک الذین آمنوا برسالات اللّه السابقه،و کفروا بالرساله الخاتمه مع وحده الملاک، فکما ان تلک جاءت رحمه من اللّه کذلک هذه،فلما ذا یؤمنون ببعض الکتاب و یکفرون ببعض؟! [۴۷]أما الهدف الآخر فهو اقامه الحجه علی الناس.

وَ لَوْ لاٰ أَنْ تُصِیبَهُمْ مُصِیبَهٌ بِمٰا قَدَّمَتْ أَیْدِیهِمْ فَیَقُولُوا رَبَّنٰا لَوْ لاٰ أَرْسَلْتَ إِلَیْنٰا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آیٰاتِکَ وَ نَکُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ و فی الآیه اشاره الی ان الناس یعلمون بأهمیه الرساله الإلهیه حینما تتیه بهم المذاهب،و یجر علیهم ضلالهم الویلات و الإرهاق.

و لعل السیاق یشیر هنا إلی سنّه إلهیه هی:ان اللّه یصیب هؤلاء الجهله بمصائب دنیویه یحسون بها..من نقص فی الأنفس و الثمرات،و حروب داخلیه تطبخهم،

فيجأرون الى اللّه طالبين الخلاص،فلما يبعث اللّه فيهم الرسول ليخلصهم إذا هم به يكفرون،و لعلهم كانوا يريدون الخلاص بلا عمل يقومون به،أو تحمل لصعوبه الجهاد من أجله،و يذكرنا السياق-على هذا التفسير-بقصه بنى إسرائيل حين طلبوا من نبيهم ملكا،فلما اختار اللّه لهم طالوت ملكا،كفروا به،لأنه لم يكن على هداهم،و لم يؤت سعه من المال.

[۴۸]ثم يبين القرآن كيف أنهم يكفرون بالحق،لأنه يريدونه وفق أهوائهم و مقترحاتهم.

فَلَمّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا لَوْ لا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسى من المعاجز كالثعبان،و اليد البيضاء،و السبب أنهم لم يكونوا ينظرون إلى جوهر الرّساله و إلّا لوجدوها كرساله موسى عليه السلام فى أهدافها و خطّها العام،بل إنّ ما جاء به الرسول صلى الله عليه و آله هو أعظم من عصا موسى.أو ليست عصا موسى أيه الهيه؟ فكذا القرآن كله آيات.

و مع ذلك يؤكد القرآن ان المشكله ليست فى عدم وضوح الآيات القرآنيه بل فى نفسياتهم السلبيه،المعانده للحق،و المصره على الكفر.لهذا يتساءل القرآن:

أَ وَ لَمْ يَكْفُرُوا بِما أُوتِيَ مُوسى مِنْ قَبْلُ قالُوا سِحْرانِ تَظاهَرا وَ قالُوا إِنّا بِكُلٍّ كافِرُونَ و لا ريب ان الذين يخاطبهم القرآن فى هذه الآيه ليسوا هم الذين كانوا مع موسى ثم كفروا به،و لكن السياق يقول أنهم كفروا بموسى عليه السلام و ربما ذلك ليبين لنا وحده المنهج و التفكير الذى يوصل الى نفس النتيجه.

[۴۹] قُلْ فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللّهِ هُوَ أَهْدى مِنْهُما أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ من مميزات منطق الرسل انه موضوعى و عقلانى للغايه،فالرسول على عظمته، وقد هداه اللّه الى الصراط المستقيم تراه لا يعاند،و لا يصرّ مستكبرا فى مقابل الدعوات الأخرى،إنما يقول:إذا كان لديكم كتاب هو أهدى من رسالتى فانى أتبّعه،و هو يعلم يقينا ان لا كتاب أهدى من كتاب اللّه،الذى أنزل على موسى و الذى أنزل عليه مكمّلا و مهيمنا.

[سوره القصص (۲۸): الآیات ۵۰ الی ۵۶]

اشاره

فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اِتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اَللّٰهِ إِنَّ اَللّٰهَ لا يَهْدِي اَلْقَوْمَ اَلظّالِمِينَ (۵۰) وَ لَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ اَلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (۵۱) اَلَّذِينَ آتَيْناهُمُ اَلْكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (۵۲) وَ إِذا يُتْلىٰ عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنّا بِهِ إِنَّهُ اَلْحَقُّ مِنْ رَبِّنا إِنّا كُنّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (۵۳) أُولٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِما صَبَرُوا وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَهِ اَلسَّيِّئَهَ وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ (۵۴) وَ إِذا سَمِعُوا اَللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ قالُوا لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي اَلْجاهِلِينَ (۵۵) إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لٰكِنَّ اَللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (۵۶)

اللغه

۵۱[وصلنا]:أصل التوصل من وصل الحبال بعضها ببعض.

۵۴[يدرءون]:الدرء هو الدفع و يدرءون أی يدفعون.

۵۵[اللغو]:هو السفه من الناس و القبيح من القول.

وَ مَنْ أَضَلَّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوٰاهُ

هدى من الآيات:

كيف نميز الحق عن الباطل،و الصواب عن الخطأ؟ هناك عده مقاييس تمكننا من ذلك،و من بينها:

أ-مقياس النتائج:فالمقدمه الصحيحه لا تنتهى الى نتيجه خاطئه،كما ان المقدمه الخاطئه لا تنتهى الى نتيجه صحيحه،فالعمل الصالح كمقدمه يؤدى للحياه الفاضله كنتيجه،و العكس تماما بالنسبه للعمل السيء.

ب-مقياس الإجماع:المبادئ التى تجمع عليها عقول الناس المجرده عن العوامل الخارجيه لا تكون خطأ كالحريه،و العداله،و الصدق،و غير ذلك من القيم التى يجب البحث عنها و تطبيقها،فهى إذن جيده بالإجماع،بينما تحترز عقول البشر عن الرذيله،و الظلم،و الكذب فى كل زمان و مكان.

ج-مقیاس الوجدان:ان ای فکره تثبت فی ذهن الإنسان انما هی نتیجه لأحد شیئین:فاما تکون نتیجه للعقل و الوجدان،أو تکون نتیجه للجهل و الشهوه، و هذا أهم و أسهل من کل المقاییس الأخری.

و القرآن فی هذه الآیات یعالج هذه الحقیقه،ففی البدء یقول اللّه:انکم أیها الناس إذا لم تتبعوا هذه الرساله،فابحثوا عما هو أفضل منها و اتبعوه،و لکنهم لو کانوا یریدون الهدایه لا- تبعوا الرساله لأنهم لا یجدون أفضل منها،و إذ یترکونها فلکی یتبعوا الهوی باعتبارهم یریدون التملص من مسئولیه التعهد و الالتزام بالحق.

فالإنسان اذن أما یتبع العقل أو یتبع الهوی و لا- ثالث،و لکن ما هو العقل؟و ما هو الهوی؟ العقل هو النور الذی یقر بنا الی الحقائق الخارجیه،و یجعلها هی المقیاس،أما الهوی فهو القوه الداخلیه التی تجرنا الی النفس،و مصدره حب الذات،فالعقل یوجهنا للناس،بینما الهوی یوجهنا لذواتنا.

و کثیرا ما یتمیز الحق عن الباطل بوضوح أمام الإنسان،و لکنها قد یختلطان فلا یتمیزان فی بعض الأحیان،لذلک

ورد فی الدعاء:

«اللهم أرنی الحقّ حقّا فأتبعه،و الباطل باطلا فاجتنبه،و لا تجعله علیّ متشابها فأتبع هوای » و من الناس من یهتدی للحق فی أعقد الأمور بلحظه تفکیر،بینما نجد آخرین علی العکس منهم،و السبب هو أن الفریق الأول یستفید من عقله لذلک ینمو، بینما الفریق الثانی لا یستفید منه فیخبو،و هذه سنه اللّه فی الحیاه،

و قد قال أمیر المؤمنین علیه السلام :

«لا تجعلوا علمكم جهلا،و يقينكم شكّا،إذا علمتم فاعملوا،و إذا تيقنتم فأقدموا » (۱)ثم يشير القرآن الى حقيقه هامه هى:ان قسما من الناس كانوا مسلمين قبل بزوغ فجر الإسلام،و هناك جماعه يسمّون بالحنفيين،لأنهم تركوا عباده الأصنام لعباده اللّه،مثل أبى ذر الغفارى(رض)و جعفر الطيار الذى قال للرسول:«اربع خصال لم أفعلها فى الجاهليه،ما سجدت لصنم قط،و لا كذبت،و لا زنيت،و لا شربت الخمر»و السبب ان الايمان و الفكر حالتان فى نفس البشر،فالذى اعتاد على الانقياد للحق و التسليم له لا يجد صعوبه للايمان بالرساله،و العمل بها،بينما يصعب ذلك على الآخر الذى اعتاد الانهيار أمام الشهوات و الأهواء،لذلك نجد فريقا من الناس بقى منافقا حتى بعد البعثه.

و فى نهايه الدرس يؤكّد القرآن أنّ على الإنسان الّا ينتظر الهدايه تأتيه رغما على أنفه،بل يجب عليه ان يتحمل المسؤوليه بنفسه،و ليس الرسول سوى مبلغ للرساله.

بينات من الآيات:

[۵۰] فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ ذلك ان الرساله تلتقى مع الجانب الخيّر فى الإنسان و هو عقله،و بالتالى يكون الباعث على مخالفتها هو اتباع الهوى.

وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللّهِ الإنسان قاصر فى ذاته،فلا بد ان يعالج هذا النقص باتباع هدى ربه،واسع

۱- ۱) نهج البلاغه/ح(۲۷۴)/ص(۵۲۴)/صبحى الصالح.

العلم و القدره،و لو لم يفعل ذلک فلن يزداد الا بعدا عن الحقيقه.

إِنَّ اللّهَ لا يَهْدِی الْقَوْمَ الظّالِمِينَ الهدی سنه عظيمه لا يمنحها اللّه للظالمين الذين يعتدون على حقوق الناس و حقوق اللّه،و من لم يجعل اللّه له نورا فماله من نور،و الظلم يكرّس حب الذات، و اتباع الهوى فی القلب،مما يشكل حجابا كثيفا عن الحقائق.

[۵۱]و مشكله الذين لم يستجيبوا للرساله،ليست فی غموضها أو قصور شواهدها،بل لأنهم لا يريدون الهدايه و لا التذكره،و الدليل انهم كانوا يرفضون رسل اللّه و رسالاته.

وَ لَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ الْقَوْلَ ای جعلنا أسباب الهدايه متصله لا تنقطع،و فی الروايات ان اللّه بعث مائه و اربع و عشرون ألف نبيا غير الأوصياء و الدعاه الى اللّه من أتباعهم.

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ و لم تكن الرسالات الإلهيه شيئا غريبا بالنسبه للنفس البشريه،لأنها تتلاقى مع فطره الإنسان و عقله،اللذين أودع اللّه فيهما الحقائق،و ما الرساله فی غالبها الا وسيله لاستثاره الذاكره.

[۵۲]و أولئک الذين آمنوا بالكتب،و دربوا أنفسهم على الانقياد للحق لا يجدون حرجا فی التسليم للرساله الجديده.

اَلَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ

يعنى بالقرآن الحكيم.

يُؤْمِنُونَ و ذلك لأنهم يجدون هذا الكتاب فى جوهره مطابقا للرساله السابقه،و موافقا للعقل و الفطره،لان المؤمنين بالرسالات السابقه كانوا قد روّضوا أنفسهم بالحق.

و قاوموا جهل قلوبهم و أهوائهم و شهواتهم،و سلّموا-بالتالى-لربهم،فإنهم كانوا مستعدين نفسيا للايمان بالحق.

[۵۳] وَ إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ قالُوا آمَنّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنا إِنّا كُنّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ [۵۴]و يعطى اللّه هؤلاء أجرهم مضاعفا:

أُولئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ مره لايمانهم بهذا الكتاب الذى أكمل اللّه به رسالاته،و مره لأنهم آمنوا بالكتاب الذى أنزل إليهم،و صبروا عليه فلم يحرّفوه كما حرفه علماء السوء منهم، و لم يخضعوا لضغط السلطه و الثروه.

بِما صَبَرُوا على الأذى الذى لا قوه بايمانهم بالكتاب،و لعل أعظم الثواب كان لهم بسبب صبرهم أيام الفتره،حيث سيطر الطغاه،و انحرف الناس،و لم يبق الا بقيه مستضعفه من المؤمنين أمروا بالصبر،و العمل بالتقاه،و ردّ أذى الكفار و المنحرفين بسعه الصدر،و حسن الخلق،و العطاء،و عدم الخوض فى الجدل العقيم مع المنحرفين.

و على هذا يكون معنى الصبر ما يبيّنه السياق لا- حقا،و تكون هذه الآيات بيانا لمنهاج المؤمنين فى عصر التقيه،و يتخلص فى:الصبر،و العفو،و الإنفاق، و الاعراض عن لغو الجاهلين.

وَ يَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَهِ السَّيِّئَهَ لقد تقدم أن الظالم يتبع هواه على حساب عقله، و بالتالى تتضخم ذاته على حساب الآخرين،أما المؤمن فعكس ذلك:يكبح جماح نفسه و هواه،فينمو عقله، فهو يفكر فى الآخرين،فاذا أخطئوا عليه درأهم بالحسنات،و إذا احتاجوا سد حاجتهم.

وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ [۵۵]ثم أنهم طوّعوا أنفسهم،و روّضوا أهواءهم،و حددوا حب ذاتهم عن طريق الإعراض عن اللغو،و هذا ما ينمى العقل،لأنه يخالف الهوى.

وَ إِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ لان طموحاتهم و أهدافهم أسمى من الأهواء و الشهوات،لذلك لم تستفزهم إثارات الجاهلين،و لم يبوحوا بأسرارهم،و لم يخوضوا فى الجدل الذى لم يؤمروا به، بل إذا طالبهم الجاهلون بالحجه-جدلا-أعرضوا عنهم.

وَ قالُوا لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ هدف هؤلاء ابتغاء رضوان اللّه،و ليس العلو فى الأرض،و التظاهر،و الفخر، و الغرور بما لديهم،لذلك لا يستفزّهم الجاهلون،و لا يثيرهم سبّهم،و طلبهم للبراز فى ميدان الجدل.

سَلاٌ عَلَيْكَمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ هكذا يقاوم المؤمنون محاولات التحريف بالاستقامه أمام الضغوط،و عدم التأثر بالمحيط الاجتماعى الفاسد،و الى هذا دعا الإسلام أبناءه.

قال الامام على عليه السلام :

«كن فى الناس و لا تكن معهم » [۵۶]و فى آخر آيه يحدد اللّه مسئوليه حامل الرساله و هى التبليغ،اما ان يجبر الناس على الهدايه،فليس ذلك من شأنه،لان الهدايه لا تتأتى لأحد الا بسعيه و توفيق اللّه له.

إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللّهَ يَهْدِى مَنْ يَشاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ

ص:۳۴۱

[سوره القصص (۲۸): الآیات ۵۷ الی ۶۱]

اشاره

وَ قٰالُوا إِنْ نَتَّبِعِ اَلْهُدیٰ مَعَکَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنٰا أَ وَ لَمْ نُمَکِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً یُجْبیٰ إِلَیْهِ ثَمَرٰاتُ کُلِّ شَیْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنّٰا وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لاٰ یَعْلَمُونَ (۵۷) وَ کَمْ أَهْلَکْنٰا مِنْ قَرْیَهٍ بَطِرَتْ مَعِیشَتَهٰا فَتِلْکَ مَسٰاکِنُهُمْ لَمْ تُسْکَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاّٰ قَلِیلاً وَ کُنّٰا نَحْنُ اَلْوٰارِثِینَ (۵۸) وَ مٰا کٰانَ رَبُّکَ مُهْلِکَ اَلْقُریٰ حَتّیٰ یَبْعَثَ فِی أُمِّهٰا رَسُولاً یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیٰاتِنٰا وَ مٰا کُنّٰا مُهْلِکِی اَلْقُریٰ إِلاّٰ وَ أَهْلُهٰا ظٰالِمُونَ (۵۹) وَ مٰا أُوتِیتُمْ مِنْ شَیْءٍ فَمَتٰاعُ اَلْحَیٰاهِ اَلدُّنْیٰا وَ زِینَتُهٰا وَ مٰا عِنْدَ اَللّٰهِ خَیْرٌ وَ أَبْقیٰ أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ (۶۰) أَ فَمَنْ وَعَدْنٰاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاٰقِیهِ کَمَنْ مَتَّعْنٰاهُ مَتٰاعَ اَلْحَیٰاهِ اَلدُّنْیٰا ثُمَّ هُوَ یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ مِنَ اَلْمُحْضَرِینَ (۶۱)

اللغه

۵۷[نتخطف]:التخطف أخذ الشیء علی وجه الاستلاب.

[یجبی]:أی یؤتی الیه و یجلب.

۵۸[بطرت]:هو الطغیان عند النعمه.

۵۹[أمها]:أم القری مکه و قیل المقصود بها المدن الکبری.

وَ كَمْ أَهْلَكْنٰا مِنْ قَرْيَهٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهٰا

هدی من الآیات:

للإنسان موقفان متناقضان تجاه النعمه،فإما الشكر و إما الكفر.

الشكر ان تكون النعمه سبيلا للوصول الى هدفها، فكل شیء فی الحياه هو وسيله لهدف أسمى منه،فالنشاط وسيله للسعی،و السعی وسيله لعماره الأرض،و عماره الأرض وسيله لرخاء الإنسان و راحته،و الرخاء و الراحه وسيله للكمال الروحی، و هكذا تستهدف من كل نعمه نعمه أخرى أعظم منها،فی سلسله متصاعده و يكون المنتهى فيها ما قاله عز و جل: إِنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الرُّجْعىٰ .

و الشكر الحقيقی هو الذی يوصل الإنسان،الى التفكير فی عوامل النعم و أسبابها،و بالتالی المحافظه عليها،لتدوم له النعم،حيث ان بقاءها مرهون ببقاء عواملها،فظاهره الصحه-هذه النعمه-باقيه ما دامت الوقايه،و ما دامت سلامه النفس و الحركه،هذا من جهه.

و من جهه أخرى نجد موقف الكفر،و الذى يتلخص فى ثلاثه أمور هى:عدم الاهتمام بعوامل النعمه أولا،و عدم السعى لتحقيق أهدافها ثانيا،و اتخاذ الموقف الخاطئ منها ثالثا.

و فى هذا الدرس نجد معالجه عميقه لهذين الموقفين-الشكر و الكفر-فمع أننا لا نجد هاتين الكلمتين الا ان الآيات-من هذا الدرس حتى قصه قارون-تحدد للإنسان الموقف السليم من النعمه.

إن أهل مكه من العرب كانوا يتصورون ان النعمه التى يتقلبون فيها ناشئه من الواقع القائم،حيث عباده الأصنام،و فرض السيطره على العرب من خلال الموقع الاقتصادى و الاجتماعى،لذلك لم يكونوا يريدون الإيمان بالرسول صلى الله عليه و آله خوفا من تمرد العرب ضدهم،و بالتالى خسران هذه المكتسبات،فأجابهم اللّه:

أولا:انكم لم تعرفوا السبب الحقيقى للنعمه.انه اراده اللّه،و حكمه الذى قضى بحرمه البيت،و هكذا إذا تمسّكوا بسائر أحكام اللّه نزلت عليهم البركات لا تلك القيم الفاسده التى تتصورونها،و بالتالى فان الايمان به و برسوله سوف يزيد هذه النعمه و يحافظ عليها.

ثانيا:ان النعم قد تكون نقمه على صاحبها،و ذلك عند ما تخدعه و تدعوه للغرور،فكم هى القرى التى تصاعدت فى مدارج النعم الماديه الى ان بطرت معيشتها فدمرها اللّه بسبب كفر أهلها،بعد ان أقام اللّه عليهم الحجه ببعث رسله و أنبيائه،و إذ يشير اللّه الى ما آلت اليه تلك القرى،فان فى ذلك إنذارا لأهل مكه.

ثالثا:ثم لو افترضنا جدلا أنها لم تكن من عند اللّه،فان دعوه القرآن لهم ليست من أجل الرخاء المادى فحسب،بل من أجل نعيم الآخره الذى لا يحصى

أیضا،و لو انهم خسروا هذا النعیم المحدود بسبب إیمانهم بالرساله،فان اللّه سیعوّضهم ما هو أفضل منه فی الدار الآخره،فکیف و الحال ان الایمان بها یمنحهم مزیدا من النعیم فی الدنیا،و الثواب فی الآخره؟! و الدرس بمجمله یطهرّ القلب من أدران حب الدنیا المانعه من الایمان بالرساله، و ذلک من خلال بیان خطأ موقف أهل مکه الذین لم یبادروا الی الایمان خشیه فقدان مصالحهم العاجله.

بینات من الآیات:

اشاره

[۵۷]تری بعض النظریات ان المدنیه تورث الخوف لأن أهلها یریدون الاحتفاظ بمکتسباتها،فیقدمون التنازلات لدرء الاخطار عن أنفسهم،و لعل أهل مکه کانوا فی هذه المرحله.إذ کانوا یخشون من الاصطدام مع قبائل العرب حتی لا یخسروا مکتسباتهم،و کانت القضیه التی یتوقع انها تثیر العرب ضدهم هی ایمانهم بالرساله الجدیده،فکفروا بها و قالوا:نخشی ان تزول حاله الأمن التی نعیشها لو أننا آمنا،فتطفق العرب باقتحام بلدنا،و اختطافنا من الأرض.

وَ قٰالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدیٰ مَعَکَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنٰا و فی هذا الحدیث اعتراف منهم بان سبب کفرهم بالرساله لیس فی نقص الادله،بل اتباعهم الهوی المتمثل فی مصالحهم الخاصه،و قد رد اللّه علیهم:

۱/ان مصدر هذه النعم هو اللّه،و لیس الناس حتی یتصوروا ان الاختلاف معهم سوف یؤدی الی زوالها،فاللّه هو الذی جعل الکعبه محلاّ آمنا،و فرض علی الناس جمیعا و من فیهم العرب-من الناحیه التشریعیه الدینیه-الالتزام بحرمتها و الا لما کانت مکه بلدا آمنا فی عرف قوم شعارهم الخوف،و دثارهم السیف،

و لهجموا عليها،و حطموا الحضاره الناشئه فيها.

و لو كان ثمه قانون يمنعهم من ذلك لمنعهم من التقاتل.ان الـذى يمنعهم هو القانون الإلهى منذ أيّام إبراهيم عليه السـلام بحيث لو التجأ الصيد الى الحرم ما كانوا يصطادونه احتراما للكعبه،حتى قال شاعرهم:

و المؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكه بين العيل و السلم

يعنى قسـما باللّه الـذى أعطى الأمان للطيور التى تسـتعيذ بالحرم،حتى ان القوافل التى تـذهب الى مكه ليمس على ظهرها،و لكن قريش لم يعقلوا هذا العامل الأساسـى،لما يتمتعون به من أمن و رفاه،لذلك لم يشـكروا اللّه،و لم يؤمنوا برساله الإسلام،و لو أنهم فعلوا ذلك لاستزادوا من الأمن و البركه.

أَ وَ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبىٰ إِلَيْهِ ثَمَرٰاتُ كُلِّ شَـيْءٍ ان أهم النعم لـدى أهل مكه كانت هى:الأمن الآتى من حرمه الكعبه، و الرفاه بسبب سيطره أهلها على التجاره،و بسبب توافد الحجاج الى البيت الحرام.

كانوا يحملون معهم خيرات الأرض بالرغم من أنّ مكه كانت بين جبال و عره، و أراض جرداء.

رِزْقاً مِنْ لَـدُنّا وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ لقد ذكرنا مره ان هناك فرقا بين الرزق و الكسب،فالرزق هو ما يعطيه اللّه للإنسان هبه و عطاء،و ربما بـدون سـعى،بينما الكسب هو ما يعطيه اللّه له بعد السـعى،و الآيه تبيّن ان نعمتى الأمن و الرخاء التى كانت و لا تزال لأهل مكه،لم يسع أهلها من أجلها سعيا،و انما اللّه هو الذى تفضّل عليهم بهما،و عدم إدراكهم

لهذا العامل-الذى جاءت بسببه هاتان النعمتان-هو الذى جعلهم يبطرون بالنعمه،و يكفرون بالرساله،بدل أن يشكروا اللّه عبر الإيمان برسالته،و طاعه القياده التى فرضها.

و لعل الآيه تشير إلى أهميه التشريعات الرشيده فى بناء الحضارات،و ان القيم الالهيه هى السبب فى بركتى الأمن و الرخاء للناس.

[۵۸]/۲قد تضحى النعمه نقمه على أصحابها،و ذلك إذا صارت هدفا بذاتها،بينما ينبغى للإنسان ان يشكر ربه عليها،و انّ شكر أهل مكه للّه على نعمتى الأمن و الرخاء يتمثل فى الايمان برسوله،و هذا هو السبيل الأوحد للحفاظ على النعم و منع تحويلها الى نقمه،و هكذا يبقى الضمان الوحيد لاستمرار الحضارات اتباع رسالات اللّه و رسله،و من أبرز فوائد الرسالات كبح جماح الإنسان من الاسترسال مع النعم الى حد البطر و الطغيان و الغرور،حتى ينسى الحدود،و يتجاهل الحقوق،و يندفع فى اتباع اللذات الى أبعد مدى.

وَ كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَهٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَها و اللّه لا يدمر القرى لمجرد أنّها مرفهه،و كيف يكون ذلك و قد خلق البشر ليرحمهم؟كلا..إنه هو الذى وفر النعم للناس،و يخطئ أولئك الذين يصوّرون الدّين بأنه يعارض النعم بذاتها،مفسرين الآيات و الروايات التى تتناول موضوع الزهد:بان الدين لا يجتمع مع الدنيا،أو السياسه.كلا..إنما دمّرها لأنها بطرت بالنعم،و أصابها الغرور، و لم تصل بالنعم الى اهدافها.

فَتِلْكَ مَساكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاّ قَلِيلاً وَ كُنّا نَحْنُ الْوارِثِينَ

لقد سكنت من بعدهم تلك المساكن و لكن قليلا،لأنّها كانت لا تزال منحوسه،مما جعل ساكنيها الجدد يرحلون عنها سريعا،و لعل الآيه تشير الى سنّه إلهيه هى:ان البلاد المدمّره بالعذاب لا تبقى فيها مقومات الحضاره،و هكذا لا نجد الحضاره قد تجددت فى ذات المواقع التى دمّرت،مما تجعل نتائج البطر بالمعيشه تمتد الى المستقبل البعيد.

[۵۹]ثم يبين اللّه-و خلافا لنظريه الحتميه التاريخيه التى تتصور الدورات الحضاريه مرهونه بالزمن ذاته-ان العامل الاول فى الدورات الحضاريه بعد اراده اللّه هى اراده الإنسان،فلو بقيت أمه تسير فى الخط السليم،فستبقى تتقدم و تتطور أكثر فأكثر،و لن يؤثر فيها الزمن بذاته،و اللّه لا يسلب حضاره قوم أو يهلكهم هلاكا ماديّا،إلا بعد تحقق أمرين:

الاول:اقامه الحجه:

وَ مٰا كٰانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرىٰ حَتّٰى يَبْعَثَ فِى أُمِّهٰا رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيٰاتِنٰا و قال فى آيه أخرى: «وَ مٰا كُنّٰا مُعَذِّبِينَ حَتّٰى نَبْعَثَ رَسُولاً» و يعلل اللّه عز و جل هذا الأمر فى الآيه(۴۷)من نفس السوره إذ يقول: «وَ لَوْ لاٰ أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَهٌ بِمٰا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنٰا لَوْ لاٰ أَرْسَلْتَ إِلَيْنٰا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيٰاتِكَ وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» و بعث اللّه رسولا فى أم القرى يتناسب مع هدف اقامه الحجه،و قد لا يقصد القرآن من كلمه الام المدينه الأكثر سكانا،بل الأنسب حيث تصل أصداء الرساله منها الى أوسع رقعه من الأرض.

الثانی:الظلم:

فبالاضافه الی أن سنن اللّه تقتضی زواله،و دمار أهله،فانه یحمل عوامل انهیاره فیه،فالطاغوت الذی یظلم الآخرین،و یسلب حقوقهم لا یسلم من ردّه الفعل ان لم ینزل علیه عذاب مباشر من اللّه کالمرض و الغرق و ما الی ذلک.

وَ مٰا کُنّٰا مُهْلِکِی الْقُریٰ إِلاّٰ وَ أَهْلُهٰا ظٰالِمُونَ و الظلم هو الصوره العملیه لرفض رسالات اللّه،بل لمحاربه اللّه تعالی.

و کلمه أخیره:ان قسما من الناس یتصورون بأن الإیمان باللّه،و الالتزام برسالته،و بما یتضمنه کل ذلک من الالتزامات المالیه،أو التحدیات السیاسیه و ما شابه سوف یسلب منهم النعیم،بینما سنه الحیاه تقضی بالعکس،حیث یهلک اللّه الذین یکذبون برسالاته،و العبره جلیه فی التاریخ،و بالتالی فمن الأولی أن یخشی أهل مکه من عاقبه رفضهم للرساله ان یفقدوا کل شیء لا من ایمانهم بها،أو لیس الشکر هو التفکیر فی عوامل النعمه،و الحفاظ علیها،و بالتالی الحفاظ علی النعمه ذاتها؟! [۶۰]/۱۳ان الهدف الأسمی الذی یجب ان یسعی الإنسان من أجله هو نعیم الآخره لا حطام الدنیا،و الدنیا یجب ان تکون وسیله تخدم الغایه العظمی للبشر.الا ان الکثیر من الناس یتوقفون عند الوسیله،و تضحی عندهم هدفا،و ذلک لضآله طموحاتهم،و ضیق افقهم:

وَ مٰا أُوتِیتُمْ مِنْ شَیْءٍ فَمَتٰاعُ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا وَ زِینَتُهٰا المتاع هو الوسیله لتحقیق هدف ما،و بتعبیر آخر الضروریات،و متاع المسافر

هو ما يحتاجه لسفره،و الزينه وسيله التجميل اى الكماليات.

وَ مٰا عِنْدَ اللّٰهِ خَيْرٌ من حيث النفع و الإفاده(البعد المادى).

وَ أَبْقىٰ من حيث الدوام(البعد الزمنى).

أَ فَلاٰ تَعْقِلُونَ ان فى الإنسان جانبان،هما العقل و الشهوه،و طبيعه النفس البشريه انها ميّاله للهوى،و اللّه لم يقل:تخلوا عن الدنيا بكاملها،و انّما حمّل الإنسان مسئوليه الإختيار السليم الذى تدعو له رسالات اللّه و عقل الإنسان،و هل يختار عاقل المتاع و الزينه الزائلين على الخير الدائم؟! ان التعقل الذى تدعو له الآيه الكريمه،هو ان يجعل الإنسان الدنيا وسيله للآخره،و لن يتضرر الإنسان لو خسر الدنيا(و تخطف من أرضه)إذا كان ذلك فى سبيل اللّه، و لو أنّنا وقفنا على مفترق الطريق بين زينه الدنيا و نعيم الآخره،فان واجبنا أن نختار الآخره على الدنيا،و هذا ما يحكم به العقل السليم.

[۶۱]و لهذا نجد القرآن يؤكد:

أَ فَمَنْ وَعَدْنٰاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لاٰقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنٰاهُ مَتٰاعَ الْحَيٰاهِ الدُّنْيٰا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ من مشاكل النفس البشريه أنها تميل للأشياء الحسّيه الآنيّه،و الإنسان ينساق

وراء الـدنيا لأنها بين يـديه،و يرفض الآخره لأنها مؤجله،و مثل الإنسان الـذى يختار الدنيا على الآخره كالذى يفضّل دينارا واحدا حاضرا،على مليار دينار غائب، تتأخر عنه يوما أو بعض يوم.

ص:۳۵۲

[سوره القصص (۲۸): الآیات ۶۲ الی ۷۰]

اشاره

وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ اَلَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (۶۲) قالَ اَلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ اَلْقَوْلُ رَبَّنا هؤُلاءِ اَلَّذِينَ أَغْوَيْنا أَغْوَيْناهُمْ كَما غَوَيْنا تَبَرَّأْنا إِلَيْكَ ما كانُوا إِيَّانا يَعْبُدُونَ (۶۳) وَ قِيلَ اُدْعُوا شُرَكاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَ رَأَوُا اَلْعَذابَ لَوْ أَنَّهُمْ كانُوا يَهْتَدُونَ (۶۴) وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ ما ذا أَجَبْتُمُ اَلْمُرْسَلِينَ (۶۵) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ اَلْأَنْباءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَساءَلُونَ (۶۶) فَأَمَّا مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً فَعَسى أَنْ يَكُونَ مِنَ اَلْمُفْلِحِينَ (۶۷) وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ اَلْخِيَرَةُ سُبْحانَ اَللَّهِ وَ تَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (۶۸) وَ رَبُّكَ يَعْلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ ما يُعْلِنُونَ (۶۹) وَ هُوَ اَللَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ لَهُ اَلْحَمْدُ فِي اَلْأُولى وَ اَلْآخِرَهِ وَ لَهُ اَلْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۷۰)

وَ رَبُّکَ یَخْلُقُ مٰا یَشٰاءُ وَ یَخْتٰارُ

هدی من الآیات:

لماذا یکفر المرء بکتاب ربه و برسوله؟و کیف ینبغی ان نتجاوز عقبات الایمان بهما؟ فی درس سبق تلونا آیات تنسف عقبه عباده الهوی،و رعایه مصالح الدنیا، و لکن هل کل الناس تأسرهم مصالحهم؟فکیف بهؤلاء المحرومین الذین یکفرون بالرسالات أیضا؟ الجواب:انهم یتبعون مترفیهم،و یتخذونهم آلهه یشرکون بهم ربهم،أو لیسوا یسمعونهم دون تفکر،و یخضعون لهم و ما أنزل اللّه لهم سلطانا؟! هکذا یعالج القرآن فی هذا الدرس مرض الشرک لنعرف ان توحید اللّه الخالص منهج کل هدی،و سبیل کل صلاح.

و الشرک فی القرآن الحکیم،هو ان یعتقد الإنسان،بأن شیئا أو شخصا غیر اللّه یهیمن مع اللّه علی أحداث الکون و متغیرات الحیاه،و یبیّن لنا القرآن عبر آیاته الکریمه العوامل النفسیه للشرک،و یطهّرها من هذه العوامل.

و فی هذا الدرس یصور لنا اللّه مشهدا من القیامه.إذ یقف المشرکون مع آلهتهم المزیفه للحساب،فیسأل اللّه الشرکاء المزعومین:لماذا اتخذوکم آلهه من دونی؟ و لماذا أضللتم الناس؟ فیکون جوابهم:اننا بدورنا کنّا ضالّین أیضا،و نستفید من هذا الحوار أمرین:

الاول:ان المشرکین اتبعوا بشرا مثلهم،فلیس الشرک-اذن-محصورا فی عباده الأصنام و التماثیل الحجریه.إذ لیس معقولا-ان یحمل الحجر مسئولیه شرک الآخرین به،کما لا یصح للحجر الهدی أو الضلال حتی یقول: «أَغْوَیْناهُمْ کَما غَوَیْنا» .

الثانی:ان معنی الشرک هنا هو الشرک الثقافی،إذ ان الناس اتبعوا مجموعه آراء و عقائد من دون ان یتبیّنوا،أو ان یکون ثمه حجه و برهان من عند اللّه علیها،فلا هم اتبعوا عقولهم،و لا هم اتبعوا الحجه الإلهیه،و یتضح هذا فی قولهم«کما غوینا»إذن الغوایه هی الضلال المتعمد و علماء السوء،و الصحفیون المأجورون، و المفکرون المنحرفون مثال واضح لهؤلاء،فهم بدورهم یضلّون و یضلّون.و اتباع هؤلاء الفریق یجب ان یکون مبنیّا علی بیّنه و حجه واضحه و الا فهو شرک.

و نستوحی من تواصل الحدیث حول الشرک و القیاده الشرعیه التی یختارها الرب:ان اللّه قد خلقنا و هو الذی یختار و لسنا نحن المخلوقین،أقول:نستوحی من ذلک:أن اتّباع أولیاء الشیطان هو الشرک بعینه،بل ای متابعه لم یأذن بها اللّه

شرک أیضا.

کما نستوحی من سیاق الآیات التالیه:ان اتباع الرسول و خلفائه تطبیق عملی لعقیده التوحید فی الحیاه،ذلک لأن ربنا یذکرنا فیها بأنه هو اللّه لا اله الا هو.

و یبدو ان هذا الدرس-اجمالا-یکرس شرعیه قیاده الرسل،و زیف القیادات الجاهلیه.

بینات من الآیات:

أَغْوَیْناهُمْ کَما غَوَیْنا:

[۶۲]فی یوم القیامه یجمع اللّه الآلهه المزیفه،و الذین عبدوهم من دون اللّه،ثم تبدأ فصول المحاکمه التی تجری علی الملأ العام،و نستفید ذلک من کلمه «ینادیهم».

وَ یَوْمَ یُنادِیهِمْ فَیَقُولُ أَیْنَ شُرَکائِیَ الَّذِینَ کُنْتُمْ تَزْعُمُونَ و التعبیر القرآنی ذروه فی البلاغه ان ربنا یسمیهم بالشرکاء،و یتساءل أین هم الآن لیجعل وجدانهم یجیب قبل ألسنتهم،بل لیجعلهم یبلغون الحقیقه الیوم بنقله وجدانیه خاطفه قبل ان یتورطوا فی العذاب فی ذلک الیوم،و لات حین مندم.

فی ذلک الیوم لیس فقط یتبرأ التّابعون حین یرون العذاب من المتبوعین،بل یبادر هؤلاء بالاعتراف الصریح بغوایتهم.

[۶۳]فیجیب الذین سبقوا الی الضلاله،و هم طلائع أهل النار و أئمتها:

قالَ الَّذِینَ حَقَّ عَلَیْهِمُ الْقَوْلُ

هؤلاء قد ثبت عليهم القول فى الدنيا قبل الآخره.إذ اضلّهم اللّه بظلمهم، و سلب منهم مصباح العقل،و نور القلب،و تركهم فى ظلمات يعمهون.

و نجد هؤلاء ينطقون فى الموقف.أو ليسوا فى الدنيا وضعوا ناطقين باسم تابعيهم؟!دعهم اليوم يعترفون بأنفسهم على غوايتهم،و هؤلاء يدخلون النار من دون حساب.

و تلخص الآيه موقفهم فى نقطتين:

الاولى:الاعتراف بالضلاله:

رَبَّنا هؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنا اى أضللناهم عن الطريق المستقيم.

أَغْوَيْناهُمْ كَما غَوَيْنا فنحن بدورنا كنا ضالين،و ما فعلناه أننا عكسنا ضلالتنا عليهم،و هكذا تنكشف الحقائق كلها يوم القيامه،قال تعالى: لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَهٍ مِنْ هذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (۱) الثانيه:البراءه من المشركين:

تَبَرَّأْنا إِلَيْكَ ما كانُوا إِيّانا يَعْبُدُونَ لعل معناه:انهم فى قراره أنفسهم كانوا يعلمون بأننا لسنا بآلهه،و انما عبدونا

۱- ۱) ق/(۲۲).

لشهواتهم و أهوائهم،و إذ ينقل القرآن هذا المشهد من القيامه،فلكى يستثير وجدان الإنسان نحو عدم اتباع الآلهه المزيفه من الطغاه و القوى الاجتماعيه المختلفه.إذ كيف يتّبع شخصا أو جهه تتبرأ منه حين العسره؟! [۶۴]ثم يتوجه الخطاب الى التابعين و المشركين باللّه.

وَ قِيلَ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ ليخلّصوكم من العذاب.

فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ و تحتمل الآيه معنيين:

۱-ان المشركين حينما يرون العذاب يتمنّون فى أنفسهم لو كانوا مهتدين من قبل فى الدنيا.

۲-ان المشركين كانوا يرون هذه النتيجه منذ كانوا فى الدنيا لو أنهم كانوا يتبعون الهدى،لم يقعوا فيها الآن،لان الذى يتّبع هدى الرساله يكتشف نتائج الشرك و هو العذاب.

[۶۵]تجرى محاكمه المشركين الذين أطاعوا كبراءهم و مترفيهم من دون ان يأذن اللّه لهم فى ذلك،و يسألون عن موقفهم من الرسل و خلفائهم الشرعيين الذين هم القياده الحق لهم.

وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ ما ذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ فهل أطعتموهم؟

ان القياده المنتخبه من قبل اللّه ميزان فى الـدنيا بين الحق و الباطل،و ميزان فى الآخره بين الجنه و النار،و لذلك يسأل الناس عنها يوم القيامه.

نقرأ فى النصوص ان أبا حنيفه-امام المذهب-يحاور الامام الصادق عليه السلام فى الآيه «ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» .

فيسأله الامام عنها:

«مـا النعم عنـدك يـا نعمـان»؟قـال:القـوت من الطعـام و المـاء البـارد،فقـال الامـام عليه السـلام :«لئن أوقفـك اللّه بين يـديه يـوم القيامه،حتّى يسألك عن كل أكله أكلتها،أو شربه شربتها ليطولن وقوفك بين يديه»قال:فما النعيم جعلت فداك؟قال:

«نحن أهـل البيت النعيم الـذى أنعم اللّه بنا على العباد،و بنا ائتلفوا بعـد ما كانوا مختلفين،و بنا ألف اللّه قلوبهم فجعلهم إخوانا بعد ان كانوا أعـداء،و بنا هـداهم اللّه للإسـلام،و هو النعمه التى لا تنقطع،و اللّه سائلهم عن حق النعيم الـذى أنعم به عليهم و هو النبى صلى الله عليـه و آله و عـترته عليه السـلام » (۱)[۶۶] فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبـاءُ يَوْمَئِـذٍ فَهُمْ لا يَتَساءَلُونَ فهناك خرست ألسـنه الأنباء،و عميت عيونهـا،و توقفت المصـادر الخبريه فلم تحمل حقيقه،لـذلك عاشوا فى منتهى الحيره،و لم يسأل بعضـهم بعضا شـيئا،لأنهم جميعا فى الجهل شرع سواء،و ذلك لبلاغه الحجه الإلهيه التى لا تترك لهم مجالا للتبرير.

۱- ۲) بح ج(۷)ص(۲۵۸).

[۶۷]نعم لو ضلّ الإنسان لفتره من الزمن عن اتباع القياده الرساليه أو الانتماء الى صفوف التجمعات الرساليه،لكنه تاب بعد ذلك،فان اللّه يقبل توبته:

فَأَمّا مَنْ تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً و شرط قبول التوبه هو الرجوع عن الخطأ بمحو آثاره الباطنيه من النفس عن الايمان بالرساله،و آثاره الظاهريه من السلوك بالعمل الصالح،إذ لا يكفى ان تفتح مع اللّه صفحه جديده،بل لا بد ان تملأها بعمل الصالحات.

فالضباط الذين انتموا الى جيش الطاغوت يمكنهم ان يتوبوا بالتمرد على النظام الفاسد،و الانتماء و العمل فى صفوف الحركه الاسلاميه،كما فعل الحر بن يزيد الرياحى(رض)حينما ترك معسكر ابن زياد،و حارب بين يدى الامام الحسين عليه السلام حتى الشهاده.

فَعَسى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ و يستخدم القرآن كلمه«فعسى»التى يستفاد منها الإمكان ظاهرا و ليس التحقيق،حتى يتضح لنا عظم الذنب فلا نصاب بالغرور،أو الرجاء المفرط الذى لا تقل نتيجته سوءا عن القنوط التام من رحمه اللّه،كما ان بقاء عقده الذنب فى نفس الإنسان من صالحه إذا كان يدفعه للعمل و السعى الأكثر فى سبيل اللّه.

طمعا فى مرضاته عز و جل.

و ربک يختار:

[۶۸] وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ

ان فطره الإنسان و عقله يهديانه الى ان مالك الشيء هو الذى يحق له التصرف فيه،و مالك الخليقه هو الذى يصح له التصرف فيها لأنه خالقها،و لان الإنسان جزء من الخليقه فلا بد ان ينتظر إذن اللّه فى اتباع القياده التى يعينها سبحانه، فليس من المقبول- وجدانا-ان يخلقنى اللّه ثم اختار لنفسى دونه القياده السليمه و الولايه الضروريه.

قال الامام الصادق عليه السلام فى تفسير هذه الآيه:

«يختار اللّه عز و جل الامام،و ليس لهم ان يختاروا » (۱)

و فى أصول الكافى عن الامام الرضا عليه السلام فى فضل الامام و صفاته قال:

لقد راموا صعبا،و قالوا إفكا،و ضلوا ضلالا بعيدا،و وقعوا فى الحيره إذ تركوا الإمام عن بصيره «زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ كانُوا مُسْتَبْصِرِينَ» رغبوا عن اختيار اللّه و اختيار رسول اللّه الى اختيارهم،و القرآن يناديهم: «وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَهُ سُبْحانَ اللّهِ وَ تَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ» و قال عز و جل: «وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَهٍ إِذا قَضَى اللّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ» (۲) سُبْحانَ اللّهِ وَ تَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ و فى الآيه تأكيد على ان اختيار قياده غير إلهيه،و التى تعرف بالتعيين المباشر، أو من خلال المقاييس المبدئيه يعتبر نوعا من الشرك.

۱- ۳) نور الثقلين/ج(۴)ص(۱۳۶).

۲- ۴) أصول الكافى ج(۱)باب فضل الامام و حجته.

[۶۹]و لا يحق لنا حينما نعرف القياده الحقيقيه ان نتركها الى غيرها بمختلف التبريرات،أو بالهوى فى مقابل النص و المقياس الإلهى،فإننا مهما أخفينا الأسباب و الدوافع،الا أن اللّه يعلمها.

وَ رَبُّكَ يَعْلَمُ مٰا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ الأسباب الباطنيه.

وَ مٰا يُعْلِنُونَ الأسباب الظاهريه.

[۷۰]فاذا أردنا اختيار قياده فلا نختار غير ما يريده اللّه لأنه إلهنا،فهو أولى بنا من أنفسنا،و هذا معنى التوحيد.

وَ هُوَ اللّٰهُ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِى الْأُولىٰ وَ الْآخِرَهِ وَ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فالذى خلق و أحاط علمه بالغيب و الشهاده أحاطت رحمته الخلق فى المبدأ و المصير،و هو المهيمن على شؤون الخليقه.انه الحميد الذى يختار لنا إمامنا الذى نطيعه.

[سوره القصص (۲۸): الآیات ۷۱ الی ۷۷]

اشاره

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اَللّٰهُ عَلَيْكُمُ اَللَّيْلَ سَرْمَداً إِلىٰ يَوْمِ اَلْقِيٰامَهِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اَللّٰهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيٰاءٍ أَ فَلاٰ تَسْمَعُونَ (۷۱) قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اَللّٰهُ عَلَيْكُمُ اَلنَّهٰارَ سَرْمَداً إِلىٰ يَوْمِ اَلْقِيٰامَهِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اَللّٰهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَ فَلاٰ تُبْصِرُونَ (۷۲) وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اَللَّيْلَ وَ اَلنَّهٰارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۷۳) وَ يَوْمَ يُنٰادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكٰائِيَ اَلَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (۷۴) وَ نَزَعْنٰا مِنْ كُلِّ أُمَّهٍ شَهِيداً فَقُلْنٰا هٰاتُوا بُرْهٰانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ اَلْحَقَّ لِلّٰهِ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ (۷۵) إِنَّ قٰارُونَ كٰانَ مِنْ قَوْمِ مُوسىٰ فَبَغىٰ عَلَيْهِمْ وَ آتَيْنٰاهُ مِنَ اَلْكُنُوزِ مٰا إِنَّ مَفٰاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَهِ أُولِي اَلْقُوَّهِ إِذْ قٰالَ لَهُ قَوْمُهُ لاٰ تَفْرَحْ إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يُحِبُّ اَلْفَرِحِينَ (۷۶) وَ اِبْتَغِ فِيمٰا آتٰاكَ اَللّٰهُ اَلدّٰارَ اَلْآخِرَهَ وَ لاٰ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ اَلدُّنْيٰا وَ أَحْسِنْ كَمٰا أَحْسَنَ اَللّٰهُ إِلَيْكَ وَ لاٰ تَبْغِ اَلْفَسٰادَ فِي اَلْأَرْضِ إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يُحِبُّ اَلْمُفْسِدِينَ (۷۷)

اللغه

۷۱[سرمدا]:أی دائما.

۷۶[تنوء]:تثقل.

وَ أَحْسِنْ كَمٰا أَحْسَنَ اللّٰهُ إِلَيْکَ

هدی من الآیات:

الإله فی اللغه هو ما یتأله الیه بالبکاء (۱)و یرجع الیه عند الشدائد،و بالتالی هو الذی ینبغی ان یتّخذ ولیّا،و فی هذا الدرس الذی یذکرنا بربنا عسی ان نسقط الشرکاء من حسابنا،و نخلص العبودیه لربنا،و نطیع من أمرنا بطاعته من رسله و أولیائه،و نتمرد ضد الطغاه،و الظالمین الذین اتّخذوا من دون اللّه أندادا، و یتساءل السیاق عن الإله الحقیقی،الذی یجب ان یتّخذه الإنسان ولیّا و نصیرا،و قائدا و مولی،ثم یقول مباشره: «أَ فَلٰا تَسْمَعُونَ» «أَ فَلٰا تُبْصِرُونَ» .

و کثیرا ما تتکرر هذه الصیغ و شبیهاتها «أَ فَلٰا تَعْقِلُونَ ، أَ فَلٰا تَذَکَّرُونَ ...إلخ» فی القرآن،و فی ذلک تأکید لفکره مهمه هی:ان وجود الآیات وحدها فی الکون لا

۱- ۱) قال ابن الاعرابی الألّ کل سبب بین اثنین و قال ابن الفارسی:الألّ:الربوبیه،و قال الفراء:الألّ رفع الصوت بالدعاء و البکاء،و یبدو ان ما ذکرناه آنفا یجمع المعانی المختلفه للکلمه.راجع معجم مقایس اللغه ج (۱)ص(۲۱/۲۰).

یکفی،بل لا بـد من وجود جهاز اسـتقبال عنـد البشـر حتی ینتفع البشـر منها،فهل ینفع نور الشـمس من أغمض عینیه؟! ان اللّه هو الذی جعل اللیل سـکنا،و النهار میدانا للسعی و النشاط،و هو الذی یقدّر حیاه الخلق و موتهم،و المطلوب منّا ان نتخذه إلها حقّا،و ذلک بان نستمع لرسله،و نبصر آیاته،ثم نعقلها لنعرف الحقائق.

نجـد فی الآیـات الاـخیره من هـذا الـدرس اشاره بل توضـیحا لفکره القوّه المالیه فی الحیاه،فما هو الهـدف من النعم الالهیه علی البشـر؟ ان الهـدف من النعم هـو الوصول الی الکمـال الروحی،و العروج بقیم الإنسـان و روحه فی مـدارج المجـد و العظمه عـبر الشـکر للّه،و الـذی یمثـل الأثر الإیجابی المنبعث عن وجود النعم،و ذلک أسـمی من الرفاه و الرخاء المادی،و من لا یشـکر النعم تتحول لـدیه الی نقمه من النـاحیه النفسـیه،فتری نعمه الفراغ تتحول عنـده الی قلق و ضـیاع،تجـده بـدل ان یصـرف الملایین التی یمتلکها فی سبیل راحه نفسه و عائلته و أمته،یذهب بها للفساد فیحطم شبابه،ثم یعود صفر الیدین.

و شـکر النعمه هو الـذی یجعلهـا نـافعه،بینما الکفر بها یحولها نقمه علی صاحبها، و یتمثل الشـکر فی الانتفاع بها ضـمن الحـدود المشـروعه لأهداف خیّره،و قارون کان بعکس ذلک تماما،فقد أعطاه اللّه من الکنوز ما تنوء مفاتحها بالعصبه الأقویاء، لکنه بدل ان یستفید منها،و هو من شعب مستضعف کفر بها و بربّها کما یذکر القرآن ذلک فی الدرس القادم،و لکن السؤال:ما هی مناسبه الحـدیث عن قصه قـارون،و بالضـبط عنـد الحـدیث عن القیاده؟ الجواب:ان الانحراف البشـری عن القیاده الصـحیحه،یتم بسـبب ضغط

أحدى القوتين:

فأما قوه الإرهاب و السيف،أو قوه المال و الثروه،و إذا كان فرعون مثلا للقوه الاولى،فان قارون مثل للقوه الثانيه،و إذ يضرب اللّه لنا هذه الأمثال فلكى يقيم الحجه علينا،فلا نلتف حول صاحب الثروه لماله،و لا حول من يملك الحكم لقوته.

بينات من الآيات:

اشاره

[٧١]لا ينكر أحد بأن الذى أضاه بنوره الأرض و ما فيها هو اللّه،و يعرف الكل انّه الأحق بالطاعه ممن لا يملك نفعا و لا ضرا،و لا ضياء و لا هدى من جبابره الأرض و مترفيها.

بلى..يعرف الناس جميعا هذه الحقيقه،و لكنهم لا يعقلونها،فتراهم يركضون وراء الطغاه و المفسدين طمعا فى بعض الثروه،أو خشيه من أذاهم.

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً دائما و مستمرا.

إِلى يَوْمِ الْقِيامَهِ و هذا هيّن على اللّه،فهو يستطيع ان يحجب نور الشمس لتتحول الأرض ظلاما دامسا،و لو فعل ذلك لما استطاع أحد ان يعيد النور مره أخرى.

مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ أَ فَلا تَسْمَعُونَ [٧٢]ثم لو جعل اللّه أبدا سرمدا،هل يقدر من نعبدهم من دونه على المجىء بالليل لنسكن فيه،و ننعم بهدوئه الذى ينفذ حتى فى عظامنا.،و أنسجه أعصابنا.

قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللّٰهُ عَلَيْكُمُ النَّهٰارَ سَرْمَداً إِلىٰ يَوْمِ الْقِيٰامَهِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَ فَلٰا تُبْصِرُونَ و بالمقارنه بين الإثنين نستفيد فكرتين مهمتين:

الاولى:ان اللّه قال فى الآيه(٧١): «يَأْتِيكُمْ بِضِيٰاءٍ أَ فَلٰا تَسْمَعُونَ» من دون ان يبين فائده الضياء،بينما قال فى الآيه(٧٢):«يأتيكم بليل»و بيّن إحدى فوائده«تسكنون فيه»و لعل ذلك لان الإنسان ينام بالليل،فلا يتفكر فى أهميته فاقتضى التنبيه.

الثانيه:انه عز و جل قال فى حديثه عن الليل: «أَ فَلٰا تَسْمَعُونَ» بينما قال فى حديثه عن النهار: «أَ فَلٰا تُبْصِرُونَ» لأن الحاسه التى يمكن للإنسان الاستفاده منها فى الظلام هى السمع،لأنه لا يرى فيه،بينما يعتمد أكبر شىء فى النهار على حاسه البصر.

و يبدو ان معنى الآيه:أ فلا تسمعون عن نعمه الليل،و أ فلا تبصرون نعمه النهار.

[٧٣] وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهٰارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ اى فى الليل.

وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ فى النهار،كأمر طبيعى بالنسبه للإنسان،و الليل و النهار يبعثان حاله الشكر و الرضى فى البشر.

وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ و ذلك ل:

۱-لان نفس الإنسان لا ترتاح على نمط واحد،بينما التنوع يرضيها و يبعثها على الشكر.

۲-الذى يعمل بالنهار و ينام بالليل يحصل على وقت للتفكير فى إنجازاته فيرتاح،و للتفكير فى مستقبله فيخطط له،و حينما يأتى لعمله فى النهار يكون قد أخذ قسطا من الراحه و الاستعداد لبذل جهد و نشاط أفضل.

۳-ثم ان هدف المؤمن من الحياه أسمى من الماديات،فهو من وراء النعم يسعى للشكر،لذلك تراه فى حاله من الرضى و الاطمئنان مهما كانت الظروف معاكسه للطموحات الماديه المغروزه فيه، لأنه ينظر الى الجوانب الايجابيه فى الحياه.

و فى الحديث عن ابن عباس:

«ان امرأه أيوب قالت له يوما:لو دعوت اللّه ان يشفيك،فقال:ويحك!كنا فى النعماء سبعين عاما،فهلّم بضر فى الضراء مثلها» (۱)

فعلموا ان الحق للّه:

[۷۴]اللّه هو الخالق و صاحب الفضل و النعمه على البشر،و له وحده يصرف الشكر،الا ان البعض بدل ان يفعل ذلك تراه يشرك باللّه،فيعتقد ان السلطه أو أصحاب القوى المختلفه هم مصدر النعم و الفضل عليه،فيعبدهم من دونه تعالى، و حساب هؤلاء عسير عند اللّه.

۱- ۲) بح ج(۱۲)ص(۳۴۸).

وَ يَوْمَ يُنادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ فلا يجيبون،و قد سبقت آيه مشابهه تماما لهذه الآيه و هى آيه(۶۲)مما يدل بان النداء الالهى مره يكون أمام قاده المشركين من أئمه الضلال،و مره فى حضور الرسل و خلفائهم من أئمه الهدى.

[۷۵]و يتم الحجه عليهم عند ما يستدعى الشهود على كل امه منها:

وَ نَزَعْنا مِنْ كُلِّ أُمَّهٍ شَهِيداً و هم الأنبياء و الأئمه.جاء فى آيه كريمه: «فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّهٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً» (۱)

و جاء فى حديث شريف فى تفسير هذه الآيه:

«و من هذه الامه امامها » (۲)فَقُلْنا للمشركين:

هاتُوا بُرْهانَكُمْ ان كانت لديكم حجه على طاعتكم للأنداد،و اتباعكم لذوى الثروه و السطوه،و لكنهم لا يجدون جوابا.إذن علينا ان نفكر مرتين قبل ان نتبع قائدا، لننظر هل نملك على طاعته برهانا يوم القيامه،حيث لا ينفع الجدل و التظنى

۱- ۳) النساء/(۴۱).

۲- ۴) عن تفسير الميزان ج(۱۶)ص(۲۰).

و التبرير.

فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلّٰهِ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ يوم القيامه تبلى السرائر،و تظهر الحقائق،و يتلاشى الباطل و الكذب،كما تتبدد الأعمال المنافقه،و لعل فاتحه الآيه تشير الى ضلال و ضياع عبادتهم للأنداد، و أيضا أعمالهم التى مارسوها فى الإطار الشركى.

[۷۶]و من جمله ما يفترى الإنسان على اللّه هو اتباع مالكى المال و الثروه.

إِنَّ قٰارُونَ كٰانَ مِنْ قَوْمِ مُوسىٰ فَبَغىٰ عَلَيْهِمْ انحرف عنهم،و صار يظلمهم.

وَ آتَيْنٰاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مٰا إِنَّ مَفٰاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَهِ أُولِى الْقُوَّهِ و العصبه كما فى تفسير على بن إبراهيم:

«ما بين العشره الى خمسه عشر» (۱)لقد رزقه اللّه كنوزا ذات مفاتيح(صناديق و خزائن)لو حملتها العصبه أولوا القوه لأرهقتها،و كان الهدف من إعطائه الثروه امتحانه.ذلك ان المؤمن الحقيقى تزيده الثروه قربا الى اللّه،و تواضعا فى خدمه الناس،و لهذا

جاء فى الحديث:

«الغنى الشاكر خير من الفقير الصابر » أما ضعيف الايمان أو المنافق فانها لا تزيده من اللّه إلّا بعدا،و فى الناس إلّا

۱- ۵) بح ج(۱۳)ص(۲۴۹).

تكبرا و غرورا،و لم يكن قارون من النوع الاول،فبادر المؤمنون لنصيحته:

إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ و الفرح فى هذه الآيه بمعنى الغرور،و هو انعدام الهدف،و إحساس الإنسان بحاله الإشباع(انعدام المسؤوليه)و كثير هم الذى يصابون بهذا الداء بسبب الجاه و الثروه،قال تعالى: «كَلاّ إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى» (۱) إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ لأنهم ينسون اللّه فينساهم،بل كثير ما يجرّهم الفرح لمبارزه اللّه.

[۷۷]الدنيا سلاح ذو حدين فإمّا تؤدى بصاحبها الى النار و ذلك حين يتصورها هدفا بذاتها،و أما ان تؤدى به الى الجنه و ذلك حينما يتّخذها مطيه لعمل الصالحات،فالغنى يصير فضيله إذا استخدمه صاحبه فى سبيل اللّه.

هكذا

يقول الامام أمير المؤمنين عن الدنيا:

«من أبصر بها بصّرته،و من أبصر إليها أعمته » (۲)وَ ابْتَغِ فِيمٰا آتٰاكَ اللّٰهُ الدّٰارَ الْآخِرَهَ بإخراج حق اللّه و حق المحتاجين،و صرف المال فى عمل الصالحات كبناء المساجد،و مساعده الحركات الاسلاميه،و الإسلام لا يطالب الإنسان بإعطاء كل ماله فى سبيل اللّه ثم يجلس خالى اليد،بل يطالبه بالاعتدال فى الإنفاق بقوله

۱- ۶) العلق/(۶-۷).

۲- ۷) عن نهج البلاغه الخطبه رقم(۸۲).

تعالى فى سوره الفرقان: وَ الَّذِينَ إِذٰا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كٰانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوٰاماً (۱) وَ لاٰ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيٰا و هذه الآيه دليل على هذا التفسير،و على خطأ النظره القائله بفصل الدين عن الدنيا.إذ بإمكان الإنسان ان يبنى مسجدا الى جانب بيت فخم.الا ان للإمام على عليه السلام تفسيرا آخر للآيه ينسجم-مع سياق الآيات-و نفسيّه شحيحه،كما كانت عند قارون أمثوله الترف و الفساد،

يقول الامام عليه السلام :

«لا تنس صحتك،و قدرتك،و فراغك،و شبابك،و نشاطك ان تطلب بها الآخره » (۲)ذلك ان ما يبقى من الدنيا ليس سوى ما يبعثه الإنسان الى الآخره.

ثم أكد السياق ضروره الإحسان إلى النّاس،و الإحسان هو بذل المزيد من الأموال مضافه الى الحقوق الماليه المفروضه،و لا ريب ان الثروه المكدّسه لا تهنئ لصاحبها من دون الإحسان،و ان لذّه روح الإنسان من الإحسان أعظم بكثير من لذّه بدنه بالترف،كما أن الإحسان يمتص نقمه المحرومين على صاحب الثروه، و يحولها الى ذكر حسن،و ثواب عند اللّه عظيم،بينما الشح يودى الى الفساد و الاستكبار فى الأرض.

وَ أَحْسِنْ كَمٰا أَحْسَنَ اللّٰهُ إِلَيْكَ وَ لاٰ تَبْغِ الْفَسٰادَ فِى الْأَرْضِ إِنَّ اللّٰهَ

۱- ۸) الفرقان/(۶۷).

۲- ۹) تفسير نمونه ج(۱۶)ص(۱۵۶).

لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ و لعل نهايه الآيه(۷۶) إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ تلتقى مع هذه الآيه فى ان الغرور(الفرح)يؤدى للفساد فى الأرض.

ص:۳۷۴

[سوره القصص (۲۸): الآیات ۷۸ الی ۸۳]

اشاره

قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِي أَ وَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعاً وَ لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (۷۸) فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (۷۹) وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً وَ لا يُلَقَّاها إِلَّا الصَّابِرُونَ (۸۰) فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ الْأَرْضَ فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ ما كانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (۸۱) وَ أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَوْ لا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا لَخَسَفَ بِنا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ (۸۲) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (۸۳)

هدى من الآيات:

بالاضافه الى الجوانب العلميه فى القرآن هناك جوانب بالغه الأثر فى الحكمه، تمثل مفتاحا لشخصيه الفرد،و شفاء لأمراضها و عقدها،فعند ما نقرأ قصه قارون فان الذى نعتبر به من هذه القصّه يساوى أو يفوق ما نتعلمه منها،فنحن نتعلم منها أثر الثروه و ميكانيكيتها فى المجتمع(قانون الثروه)و هذا وحده لا يكفى إذا لم نعتبر منها فى إصلاح أنفسنا عند مواجهه زينه الحياه الدنيا بتجاوز ظاهر الأحداث الى لبها،و تفاصيل القصه الى هدفها و ذلك من خلال وعى الآيه القرآنيه:

«يَوْمَ لاٰ يَنْفَعُ مٰالٌ وَ لاٰ بَنُونَ إِلاّٰ مَنْ أَتَى اللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» .

و الحديث الشريف عن الدنيا انها:

«تغر و تضر و تمر » (۱)و كثير هم الذين تخدعهم الدنيا،فيحسبونها غايه المنى،و لكنهم حينما يجربونها يجدونها كالحيه ظاهرها أملس،و باطنها السم الزعاف،و هى كماء البحر كلما يشرب العطشى منه كلما يزدادون ظمأ،و هكذا كلما لهث الإنسان وراء زينه الدنيا،يحسبها تحقق اهدافه،كلما ازداد بعدا عنها،

و صدق الامام على عليه السلام إذ قال:

«منهومان لا يشبعان طالب العلم و طالب دنيا » (۲)و أهم ما نستفيده من هذه القصه التاليه:

و أهم ما نستفيده من هذه القصه التاليه:

۱-من الناحيه النفسيه يجب ان لا تخدعنا الثروه، و تبعدنا عن هدفنا الأكبر و هو الآخره،فلقد كان بإمكان قارون الذى يعجز عن حمل مفاتح خزائنه الرجال الأقوياء،ان يجمع آخرته الى دنياه،و لكنه حينما قيل له ذلك رفض و قال:ان الأموال التى حصلت عليها كانت نتيجه جهدى و عملى و أنكر فضل اللّه،بينما لم يكن علمه سوى وسيله بسيطه فى جمع هذا المال الذى أعطى له لاختباره، و امتحان إرادته،لذلك فشل فى الامتحان،فخسر الدنيا و الآخره ذلك هو الخسران المبين.

۲-من الناحيه الاجتماعيه يجب ان نلتف حول الأشخاص لما يحملونه من رساله صالحه،و ما يجسدونه من صفات ساميه،و ليس لأموالهم و سلطتهم،و الذى جعل الكثير من الطواغيت يتسلطون على رقاب الناس هو تقديس الناس للثروه، و احترامهم لأصحابها،و جعلها مقياسا بدل ان تكون القيم هى المحور،و الإسلام

۱- ۱) نهج البلاغه/ح(۴۱۹).

۲- ۲) نهج البلاغه/ح(۲۲۸).

يحسّ الإنسان بكرامته،و أنها أكبر من المال و الجاه حتى لا يقع فريسه للرأسماليين.رجالا كانوا كما فى الغرب،أو أحزابا فى الشرق،

و فى الحديث الشريف:

«من أتى غنيّا فتواضع له ذهب ثلثا دينه » (۱)۳-ان الذى يستفيد من الثروه فى غير أهدافها،كما لو استخدمها للتّباهى و التّفاخر يخسر الآخره،كما لا يتنعم بثروته فى الدنيا،بل يخسرها.ان هدف الثروه هو عماره الأرض،فإذا استخدمناها للتعالى على الناس،و الفساد فى الأرض فسوف يكون مصيرنا ما انتهى اليه قارون، الذى خسف به فى الدنيا، و هو فى الآخره من الخاسرين.

بينات من الآيات:

وَ لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ:

[۷۸]عند ما نصح المؤمنون من قوم موسى قارون،بان لا يفرح بماله،و ان يسعى به نحو أهدافه الحقيقيّه،و هو جعل الدنيا وسيله للآخره،و ليس هدفا بذاتها.

قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ عِنْدِى الثروه كانت نتيجه لجهودى،و بالتالى فليس لزاما أن تعطى فى سبيل اللّه لأنها ليست من عنده،هكذا لم ير أىّ اثر للغيب فى حصوله على الثوره،بل لم يجد الغيب قادرا على ان يذهب به و بثروته جميعا،هكذا طغى،و أضحى من الفرحين بما أوتى،لقد كانت نفسه ضيّقه غمرها حب الثروه،فحجبها عن سائر

۱- ۳) بحار الأنوار/ج(۱)/ص(۱۸۲).

الكمالات المعنويه،بل و حجبه عن رؤيه المستقبل،و احتمال زوال هذه الثروه، بل و هلاكه هو معها،و حتى عن رؤيه سائر نعم اللّه عليه التى لا أثر للثروه فيها.

و يعالج القرآن هذه النفسيه المريضه بتوسيع أفقها لتنظر إلى التّاريخ،و يتساءل أين أولئك الذين كانوا يملكون القوه و الثروه؟!و يقول:

أَ وَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّهً فى الأنصار.

وَ أَكْثَرُ جَمْعاً فى المال،و ذلك بسبب فسادهم،و لن يمنع اللّه الغنى أن يهلك أحدا.

وَ لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ البعض يتصور أن بإمكانه تبرير انحرافه،و لكن حينما ينزل العذاب فليس ثمه مجال لسماع التبريرات.هكذا يكون السير فى الأرض،و النظر فى عواقب الأمم الغابره،و زياره المقابر،و دراسه حياه الأثرياء و السلاطين الهالكين أفضل نجاه من غرور النعم و طغيانها.

فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ الْأَرْضَ:

[۷۹]كان قارون يسعى لفرض سلطته على الناس من خلال ثروته،مما كان يدفعه للتباهى و الظهور بمظهر العظمه،و قد ورد فى الأخبار:انه لم يكن يخرج إلّا مع أربعين فارسا،قد لبسوا زيّا واحدا.

و فی الأثر أیضا: و خرج علی موسی علیه السلام فی زینته علی بغله شهباء،و معه اربعه آلاف مقاتل،و ثلاثمائه و صیفه علیهن الحلّی. (۱)

و فی خبر ثالث: خرج علی براذین بیض علیها سروج الأرجوان،و علیهم المعصفرات. (۲)

فَخَرَجَ عَلی قَوْمِهِ فِی زِینَتِهِ و لا شک ان فی المجتمع من تقع هذه المظاهر الدنیویه موقعا فی نفسه لضعف ایمانه،و لأنّه یلتقی مع أمثال قارون فی نقطه واحده هی حب الدنیا.

قالَ الَّذِینَ یُرِیدُونَ الْحَیاهَ الدُّنْیا یا لَیْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِیَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِیمٍ هکذا أفسد قارون بالثروه المجتمع الاسرائیلی،حیث ضللهم عن قیم الرساله الی القیم المادیه.

[۸۰]أما المؤمنون الذین ینظرون للحیاه من خلال بصیره الإیمان،فقد تحملوا مسئولیتهم تجاه هذا الانحراف،فبادروا الی النهی عن المنکر.

وَ قالَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ و بالتالی عبروا الظواهر إلی ألبابها،و الدنیا الی الآخره،بل و عرفوا عاقبه هذا الموقف،و هکذا ینبغی للمؤمن ان یتحمل مسئولیته حینما یتأثر الناس بمظاهر الثروه الباذخه.

۱- ۴) بحار الأنوار/ج(۱۳)/ص(۲۵۳).

۲- ۵) المصدر/ص(۲۵۴).

وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً هؤلاء لم يتأثروا بزينه الحياه لأن هدفهم هو الآخره التى لا تقاس بالدنيا، و هذه الكلمات تكشف عن النفسيه العاليه التى تتحدى إغراءات الدنيا بقوه الايمان،و لا ريب ان هذه التحدى يحتاج الى الصبر،أو ليس الصبر ينمى فى الإنسان النظره المستقبليه؟! وَ لا يُلَقّاها إِلاَّ الصّابِرُونَ لقد تقدم فى الدروس السابقه:ان من مشاكل النفس البشريه هى العجله، و الميل لما هو حاضر،و حتى يتجاوز الإنسان هذه المشاكل،فانه بحاجه الى الصبر حتى يحصل على ما فى المستقبل و هو العاقبه الحسنه فى الدنيا،و الجنه فى الآخره.

[٨١] فَخَسَفْنا بِهِ وَ بِدارِهِ الْأَرْضَ و لكن لماذا يخسف اللّه بداره الأرض؟ لعل ذلك حتى لا تغر بما فيها من زينه أحد غيره.

ان مقام الظالمين يكتسب نحوسته منهم فيستحق الهلاك،هكذا أهلك اللّه القرى لما ظلم أهلها.

فَما كانَ لَهُ مِنْ فِئَهٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللّهِ حتى الذين تجمعوا حوله،كانوا يريدون شيئا من دنياه،أما و قد ذهبت من يده فهو لا يسوى عندهم شيئا،بل لو حاولوا نصره لما استطاعوا أبدا.

وَ ما كانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ

و هذه الآیه مثل علی الحقیقه الآنفه «أَ وَ لَمْ یَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ قَدْ أَهْلَکَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ» .

و قد نهی النبی صلی الله علیه و آله ان یختال الرجل فی مشیته فقال:

«من لبس ثوبا فاختال فیه خسف اللّه به من شفیر جهنم،و کان قرین قارون،لأنه أوّل من اختال فخسف اللّه به و بداره الأرض » (۱)[۸۲]و بعد ما خسف بقارون،و انتهی کل ملکه تبیّنت للذین تمنوا مکانه حقیقتان:

الاولی:عرفوا کذب ما قاله لهم قارون من ان هذه الأموال من عنده،منکرا أنّ اللّه هو الذی یوّسع و یضیّق علی من یشاء،و الدلیل أنّ اللّه هو الذی سلب منه ماله،و الذی یقدر علی سلب المال بهذه الکیفیه لهو قادر علی إعطائه.

وَ أَصْبَحَ الَّذِینَ تَمَنَّوْا مَکانَهُ بِالْأَمْسِ یَقُولُونَ وَیْکَأَنَّ اللّهَ یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ یَقْدِرُ ثم حمدوا اللّه انهم ما انحرفوا مع قارون،و الا لشملهم العذاب.

لَوْ لا أَنْ مَنَّ اللّهُ عَلَیْنا لَخَسَفَ بِنا الثانیه:عرفوا أن الکافر الذی یکابر اللّه،و لا یستفید من نعمه فی أهدافها الحقیقیه یفشل فی الحیاه،و أنّ المفلح هو المؤمن الذی یعمل الصالحات،کما أکّد علی ذلک أهل العلم الإلهی فی الآیه(۸۰).

۱- ۶) نور الثقلین/ج(۴)ص(۱۴۰).

وَيْكَأَنَّهُ ای ویل لک یا قارون انه...

لا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ و العاقبه للمتقین.

[۸۳]و جاءت فی خاتمه الدرس آیه توجز عبرها و حکمها: ان رسالات اللّه نزلت حتی تزکّی أفئده الناس من دنس الاستکبار و الفساد،و تطهر جنبات المجتمع من المستکبرین و المفسدین،فهذا فرعون علا فی الأرض و استکبر،فقصم اللّه ظهره حین بعث موسی برسالاته و آیاته،ثم نبذ فرعون و جنوده فی الیم،و قارون إذ بغی علی بنی جلدته،ففسد فی الأرض خسف اللّه به و بداره الأرض بدعوه موسی علیه السلام .

ان فرعون لهو الامثوله الظاهره للاستکبار،و ان قارون لهو الأحدوثه البیّنه للفساد.

و إذ یضرب اللّه بهما مثلا فلان الأمثال تضرب بأوضح المصادیق،و أشدّها إثاره،بینما تتسع عبرتها لکل من یکون مثلهما بنسبه وجود صفتهما فیه.

ان القلب الذی ینزع نحو العلو فی الأرض ینطوی علی فرعون صغیر،و الفؤاد الذی یهوی الفساد یحمل فی ذاته قارونا بقدره،

ورد فی الحدیث:

«طوبی لمن أطاع موسی تقواه،و عصی فرعون هواه » و کما ان النار تحرق ما حولها بقدرها،کذلک الانحراف یؤثر بقدره،و لا یمکن

ان ننكر طبيعه الحرق فى النار حتى و لو كانت قبسا،كذلك لا يجوز ان نستهين بخطر الاستكبار و الفساد حتى و لو كان بقدر ذره،و الدنيا دار ابتلاء و تمحيص،و لا بد ان يتطهر القلب من أثار التكبر و الفساد حتى يضحى أهلا للجنه.دار ضيافه اللّه،و مقام كرامته،و مأوى أوليائه و أحبائه.

تِلْكَ الدّارُ الْآخِرَهُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ أما الطغاه و أولياؤهم فان لهم دارا أخرى،حيث يساقون الى النار و ساءت مصيرا.

و أىّ امتحان عسير يتعرض له أهل الولايه و السياسه،حيث يطالبهم الرب بان ينزعوا عن قلوبهم رداء التكبر،و يعيشوا للناس و مع الناس،و فى مستوى المحرومين من الناس؟!و اين تجد مثل هؤلاء؟! بلى،كان ذلك أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام حيث

يروى عنه راذان:

«انه كان يمشى فى الأسواق و هو وال يرشد الضال،و يعين الضعيف،و يمّر بالبياع و البقّال،فيفتح عليه القرآن و يقرأ هذه الآيه،و يقول:نزلت هذه الآيه فى أهل العدل و التواضع من الولاه،و أهل القدره من سائر الناس » (۱)و كل من طلب الرئاسه بغير حقها فى كل حقل حتى و لو كان ضمن قياده حزب أو تجمع أو هيئه،بل و حتى رئاسه عشيرته و أسرته تشمله هذه الآيه.

يقول الامام على عليه السلام : و هو يصف الذين شقوا عصى الأمّه فى عصره،و فرقوها يقول:

۱- ۷) نور الثقلين/ج(۴)ص(۱۴۴).

«فلما نهضت بالأمر نكثت طائفه،و مرقت أخرى،و فسق آخرون،كأنهم لم يسمعوا اللّه سبحانه إذ يقول: «تِلْكَ الدّارُ الْآخِرَهُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِينَ» بلى..و اللّه لقد سمعوها و وعوها،و لكنهم حليت الدنيا فى أعينهم،و راقهم زبرجها » (۱)و نقرأ حديثا يجعل كل حب للاستعلاء حاجزا بين الإنسان و دخول الجنه،

يقول الامام على عليه السلام :

«الرجل يعجبه شراك نعله،فيدخل فى هذه الآيه » (۲)وَ لا فَساداً إنّ اجلى مصاديقه:تخريب قيم المجتمع و محاوله السيطره عليه عبر الثروه، و السعى وراء إفساد ضمير أبنائه بالرشوه.

و من مصاديقه:إفساد اقتصاده بالغش،و سرقه جهود الفقراء بوسائل غير شريفه،و التلاعب بأرزاق العباد بالاحتكار،و لكن لا يتوقف الفساد عند هذا الحد،بل شهوات الدنيا جميعا تدعوك الى الفساد إذا لم تضبطها فى حدود العقل و الشرع.أو ليس الإسراف فى استهلاك الموارد الطبيعيه ينشر الفساد فيها،كذلك الإكثار فى الطعام و الجنس يرهق جسمك،و هو بدوره يعتبر ضربا من الفساد؟! أو ليس طلب المزيد من الحقوق فى مقابل القليل من الواجبات يرجح كفه الفساد فى حياتك؟!بلى..لذلك

جاء فى الحديث فى صفه المؤمن:

۱- ۸) المصدر/ص(۱۴۳).

۲- ۹) المصدر/ص(۱۴۴).

«المؤمن حسن المعونه،خفیف المؤنه » و أقولها بصراحه:ان منهج الاستهلاک و الشره و الحرص علی الدنیا فی أبناء المجتمع هو الذی یؤدی-بالتالی-الی سیطره المترفین من أولی الثروه علینا،و من خلالهم تحکمنا الإمبریالیه الدولیه.ان المترفین هم الجزء الظاهر من جبل الثلج فی فساد الاقتصاد.انهم فروع شجره ضربت بعروقها بعیدا فی أعراض المجتمع.

ان الرکض وراء الربح السریع،و التهاون فی العمل،و البحث عن الرفاه و الرخاء المجانیین،و ترک الإتقان،و التطفیف فی العمل.کل هذه عوامل للانحطاط الاقتصادی،الذی یؤدی بدوره الی الفقر و التبعیه.

متع الدنیا وسائل بلوغ الآخره،و أفضل المناهج للتحرز من الفساد الزهد فی الدنیا،دعنا نتلوا معا الحدیث التالی فی تفسیر الآیه،و بیان المصادیق الخفیّه منه.

الحدیث یقول:

روی حفص بن غیاث قال ابو عبد اللّه علیه السلام :

ما منزله الدنیا من نفسی الا بمنزله المیته.إذا اضطررت إلیها أکلت منها، یا حفص!ان اللّه تبارک و تعالی علم ما العباد عاملون،و إلی ما هم صائرون، فحلم عنهم عند أعمالهم السیئه لعلمه السابق فیهم،فلا یغرنک حسن الطلب ممن لا یخاف الفوت،ثم تلا قوله: «تِلْکَ الدّارُ الْآخِرَهُ....» الآیه،و جعل یبکی و یقول:ذهبت-و اللّه-الأمانی عند هذه الآیه قلت جعلت فداک،فما حد الزهد فی الدنیا؟

فقال:

قد حدّ اللّه-عز و جل-فی کتابه فقال: «لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ» (۱) و إذا کان الامام الصادق علیه السلام یبکی عند تلاوه هذه الآیه خشیه الا یکون ممن تشملهم فکیف بمثلی ممن استبد بقلبه حب الدنیا،و حلیت فی عینه الضیّقه، و استهوته الرئاسات و طلبها بکل وسیله؟!أعاذنا اللّه جمیعا منها و من شرورها.

وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِينَ الذین یحفظون أنفسهم من نار جهنم بالتزام نهج الحق،و تعالیم الشرع فی کل صغیره و کبیره.

۱- ۱۰) نور الثقلین/ج(۴)/ص(۱۴۳).

[سوره القصص (۲۸): الآیات ۸۴ الی ۸۸]

اشاره

مَنْ جٰاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهٰا وَ مَنْ جٰاءَ بِالسَّيِّئَهِ فَلاٰ يُجْزَى اَلَّذِينَ عَمِلُوا اَلسَّيِّئٰاتِ إِلاّٰ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۸۴) إِنَّ اَلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ اَلْقُرْآنَ لَرٰادُّكَ إِلىٰ مَعٰادٍ قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ مَنْ جٰاءَ بِالْهُدىٰ وَ مَنْ هُوَ فِى ضَلاٰلٍ مُبِينٍ (۸۵) وَ مٰا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقىٰ إِلَيْكَ اَلْكِتٰابُ إِلاّٰ رَحْمَهً مِنْ رَبِّكَ فَلاٰ تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكٰافِرِينَ (۸۶) وَ لاٰ يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيٰاتِ اَللّٰهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَ اُدْعُ إِلىٰ رَبِّكَ وَ لاٰ تَكُونَنَّ مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ (۸۷) وَ لاٰ تَدْعُ مَعَ اَللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هٰالِكٌ إِلاّٰ وَجْهَهُ لَهُ اَلْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (۸۸)

كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ

هدى من الآيات:

كما فى خواتيم السور نتلو فى الدرس الأخير من هذه السوره أهم ما جاء فيها من بصائر نشير إليها:

١-تختلف الحسنات عن السيئات فى أن جزاءها مضاعف،فبينما يجازى أصحاب السيئات بقدرها،يعطى أصحاب الحسنات عشره أضعاف ما عملوا من الأجر،و مثل السيئات و الصالحات فى الدنيا ما يلى:لو أردت حرق بيدر من القمح يكفيك ان تشعل النار فيه حتى تأتى عليه و تحوله رمادا،و لكن هل يقدر الرماد على حرق بيدر آخر.كلا..أما لو زرعت حبه قمح فانها تتحول الى سنبله،و تصير عشرات الحبوب،التى إذا زرعت تحولت الى سنابل جديده،و من ثم الى بيدر آخر، و هكذا سنه اللّه فى الحياه،فقد بنى اللّه الكون على أساس نمو الصالحات،و تحديد السيئات،ذلك لان كل ما فى الكون من قوانين و سنن يساعد بفعاليه على البناء،

بینما لا تساعد الهدم الا فی ظل قوانین الهلاک الفطریه.

الـذی یبنی یعمـل معه کـل مـا فی الکون لأـنه الآـخر یبنی،و نسـتوحی من هـذا فکره هامه و هی:ان أفضل وسـیله لنمو الإنسان و تکامله لیس هـدم الآخرین و انما بناء ذاته،لأنه بالبناء سوف تتفاعل معه قوی الطبیعه و سـننها،أما عن طریق الهدم فهو یخسـر کل ذلک.

۲-ان الحرکات القسـریه التی لا تنسـجم و طبیعه الحیاه یحکمها الفشل، فبالرغم من ان الظلم و البغی و ما أشـبه،قـد فسـح له ربنا المجال لیختبر اراده البشـر، الا انه لا یدوم باعتباره حرکه قسـریه فالذین یخرجون من بلادهم بالظلم لا بد ان یعودوا الیه و لو بعد حین،و فی التاریخ تمت هجرات قسـریه کثیره،بعضـها من أجل الرساله،و بعضـها من أجل الکلأ و الماء،و بعضها بسبب الإرهاب الحاکم،و لکن أصحابها کانوا یعودون و لو بعد قرون منتصرین.

و هذا یدل علی ان تلک الأعمال التی جرت علی الرغم من العداله و الحق فی الکون،محکومه بالفشل و قد انتهت بالفعل،و هذا ما تؤکـده الآیه الثانیه فی هـذا الـدرس،و التی نزلت علی المهاجرین فی المدینه،فی الوقت الذی کان أکثرهم لا یحلمون بالعوده الی وطنهم الاول.

۳-علی الإنسان الذی یحمل مشـعل العلم و الرساله ان لا یتصور بأن ذلک له بل انه من اللّه القی الیه،و بالتالی یجب أن لا یسـعی للحفـاظ علیهـا و علی مرکزه فیهـا حتی لو کـان ذلـک علی حسـاب قیمه و مبـادئه،فالرسول لو لا رساله اللّه لکان فردا عادیا.اذن فالـذی منحه الرسـاله هو القـادر ان یبقیه فی علو الشأن الـذی بلغه بسـببها،و یجب ان لا یفکر بأن یکون ظهرا للکافرین،لیکتسـب منهم القدره، أو یتنازل عن بعض ما أنزل الیه طمعا فی تأییدهم(کما فعل النصاری بدینهم

فافسدوه)و هذا يجرى فى علماء الدين،لأن القرآن نزل كما

فى الحديث على لغه:

«ايّاك أعنى،و اسمعى يا جاره » الخطاب موجه للرسول،و لكن الذى يجب ان يسمع هم الذين يسيرون على خطّه،و يعملون بمنهجه و هم علماء الدين،فسرّ عظمتهم هو الرساله التى يتحملون مسئوليتها،فلو فكّروا أن يكتسبوا الشهره و العظمه من مصدر آخر كالكفار،أو السلطات الفاسده،أو الجماهير المنحرفه،فإنّ ذلك يكون خرقا لسنن اللّه فى الحياه، و من ثم عاملا فى انحطاط منزلتهم،و ربما نهايتهم،فليحترموا أنفسهم و العلم الذى تحملوا أمانته،و ليستقيموا،و ليتحدّوا الصّعاب،و ليتجاوزوا العقبات بالتوكل على اللّه،و العمل بهدى الرساله.

و فى الأخير تختم السوره بالتذكره بالتوحيد،و هو لا يعنى الإيمان باللّه،و انه فاطر السموات و الأرض فقط-فهذا أمر لا ريب فيه- قال تعالى: أَ فِي اللَّهِ شَكٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ (۱)و قال: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ (۲)و لكن مشكله البشر الشرك،حيث يخلط بين القيم الإلهيه الساميه،و الاخرى الماديه الجاهليه.الأمر الذى لا يجعله يخلص العباده للّه.

و أكثر الذين ضلّوا منذ خلق اللّه آدم حتى اليوم انما ضلّوا بسبب شركهم، و مشركى العرب انما عبدوا الأصنام تصوّرا منهم بأنها تقربهم الى اللّه زلفى: «مٰا نَعْبُدُهُمْ إِلاّٰ لِيُقَرِّبُونٰا إِلَى اللّٰهِ زُلْفىٰ» (۳)

۱- ۱) إبراهيم/(۱۰).

۲- ۲) لقمان/(۲۵)،الزمر/(۳۸).

۳- ۳) الزمر/(۳۷).

و هذه الفكره تتناسب مع الفكره السابقه،انما يعبد القوى التى تملك ذلك كالاغنياء،و الحكومات،و الناس،بينما ينبغى له أن يعبد إله الناس و ليس الناس أو كبراؤهم و اغنياؤهم.

بينات من الآيات:

[۸۴]ان عامل البناء يسبق عامل الهدم فى الحياه:

مَنْ جٰاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهٰا

و فى الحديث القدسى:

«لما اعطى اللّه إبليس ما أعطاه من القوه،قال آدم:يا رب!قد سلّطت إبليس على ولدى،و أجريته منهم مجرى الدم من العروق،و أعطيته ما أعطيت فمالى و لولدى؟قال:لك و لولدك السيّئه بواحده،و الحسنه بعشر أمثالها،قال:

يا رب زدنى،قال:التوبه مبسوطه حتى تبلغ النفس الحلقوم،قال:يا رب زدنى، قال:أغفر و لا أبالى » (۱)و قال عز و جل: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ كَمَثَلِ حَبَّهٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنٰابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَهٍ مِائَهُ حَبَّهٍ وَ اللّٰهُ يُضٰاعِفُ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ اللّٰهُ وٰاسِعٌ عَلِيمٌ» (۲)و على العكس من ذلك تقوم الحياه على محدوديه السيئه(الهدم).

وَ مَنْ جٰاءَ بِالسَّيِّئَهِ فَلاٰ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئٰاتِ إِلاّٰ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ

۱- ۴) كلمه اللّه ص(۳۵۴).

۲- ۵) البقره/(۲۶۱).

و هذا و ذاک من نعم اللّه على الإنسان،و الشقى الشقى هو الذى لا يستفيد من بحر رحمه اللّه،فتزيد سيئاته على حسناته مع ان تلک بواحده،و هذه بعشر أمثالها.

قال ابو عبد اللّه عليه السلام :كان على بن الحسين عليه السلام يقول:

«ويل لمن غلبت آحاده»فقلت له:و كيف هذا؟!فقال:«أما سمعت اللّه عز و جل يقول: مَنْ جٰاءَ بِالْحَسَنَهِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثٰالِهٰا وَ مَنْ جٰاءَ بِالسَّيِّئَهِ فَلاٰ يُجْزىٰ إِلاّٰ مِثْلَهٰا فالحسنه الواحده إذا عملها كتبت له عشرا،و السيئه الواحده إذا عملها كتبت له واحده،فنعوذ باللّه ممن يرتكب فى يوم واحد عشر سيئات،و لا يكون له حسنه واحده فتغلب حسناته سيئاته » (۱)و تشير خاتمه الآيه إلى أنّ جزاء العمل فى الآخره ذات العمل بعد ان يتجسد فى صوره ماديه بشعه،فالظلم فى الدنيا ذاته هى الظلمات التى تحيط بصاحبها فى الآخره،و من أكل اموال اليتامى ظلما فانما يأكلون فى بطونهم نارا،و سيصلون سعيرا،اما النتن الذى يخرج من أفواه الفاسقين فانه ذاته الكذب الذى افكوه أو الغيبه و التهمه و الفريه التى مارسوها فى دار الدنيا.دعنا نستغفر ربنا حتى يقينا شر السيئات التى اقترفناها،و الذنوب التى احتطبناها.

[۸۵]الحياه قائمه على أساس سبق البناء لا الهدم،و أن الحركات القسريه نهايتها الفشل،بينما الحركات التى تجرى وفق سنن اللّه فى الخلق تنجح و تثمر، لأن عامل الزمن يكون فى صالحها،و هذه الفكره هى منطلق لفكره أخرى و هى ضروره انتصار الحركات الإلهيه عبر الأجيال.

إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْکَ الْقُرْآنَ لَرٰادُّکَ إِلىٰ مَعٰادٍ

۱- ۶) نور الثقلين ج(۱)ص(۷۸۵).

ای ان الذی أنزل القرآن و فرضه علیک یردک الی وطنک الذی هجرک منه الکفار و المشرکون.

و لکن لماذا قال تعالی: إِنَّ الَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ الْقُرْآنَ »و لم یقل ان اللّه العزیز مثلا؟ الجواب:هناک قاعده بلاغیه تقتضی انسجام المفردات مع السیاق،و هنا نجد ترابطا وثیقا بین فرض القرآن و عوده الرسول الی بلده،فما دام اللّه هو الذی أعطی الرسول منهج العمل،و فرض علیه الالتزام به،فانه یجعل هذه الأداه فعاله و کفیله بأخذ حقه،و بلوغ أهدافه کعودته إلی بلده منتصرا بعد الهجره،و هذا ینطوی علی فکره حضاریه هی:ان المهاجر لا یمکن أن یعود الی بلده،إلّا إذا طبّق البرنامج الالهی و هو القرآن الحکیم.

ثم یشیر القرآن الی ما یبدو انه تعلیل للحکم السابق إذ یقول:

قُلْ رَبِّی أَعْلَمُ مَنْ جاءَ بِالْهُدی وَ مَنْ هُوَ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ ان الهدی ینسجم مع سنن اللّه فی الخلق،بینما یتنافر الانحراف معها، و بالتالی فالذی یتّبع الهدی اعتقادا و عملا سیصل إلی أهدافه،لأن اللّه المهیمن علی الخلق هو العلیم بالمهتدین فینصرهم،بینما أصحاب الضلال یحبط أعمالهم.

[۸۶]و الضمانه الرئیسیه لوصول الإنسان الی الجادّه هی الاستقامه علی الهدی، و بدونها لا یزداد إلا بعدا عنها،فلو استجاب للضغوط أو الإغراءات التی تحف طریقه نحو تطلعاته و اهدافه فهل یصل إلیها؟بالطبع کلا..

وَ ما کُنْتَ تَرْجُوا أَنْ یُلْقی إِلَیْکَ الْکِتابُ إِلاّ رَحْمَهً مِنْ رَبِّکَ

اذن فلا تطلب الجاه أو الشهره و العلو من عند غير اللّه.

فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكافِرِينَ و الظهير هو المعين.

[۸۷]و يؤكد القرآن هذه الفكره مره أخرى و يقول:

وَ لا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آياتِ اللّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ و يثنيك عنها الكفار بوسائلهم المختلفه،فمن اتبعهم أو نصرهم لا ينتفع من آيات اللّه فى الخلق،و لا آيات اللّه فى الكتاب.

وَ ادْعُ إِلى رَبِّكَ اى استمر فى الدعوه الى اللّه وحده.

وَ لا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بخضوعك لهم.

[۸۸] وَ لا تَدْعُ مَعَ اللّهِ إِلهاً آخَرَ لقد تقدم القول بأن الشرك هو مشكله الإنسان الأولى،فترى الكثير من الناس يخضعون للّه ظاهرا،و لكنهم يخضعون فى قسم كبير و مهم من حياتهم للسلطه،أو المال،أو الشهره،أو..أو..،و إذ يدعو اللّه للتوحيد المخلص فلأن الواقع ينسجم مع هذه الدعوه،حيث لا يوجد إله سواه.

لا إِلهَ إِلاّ هُوَ

الإنسان مفطور على الخضوع للقوه،و الجاه،و الثروه،و لكنه يضل الطريق فيخضع لغير اللّه،بينما اللّه هو مطلق القوه،و الثروه،و..و..،فتراه تاره يتصور والده هو مصدر المال،أو أنّ السلطه هى منتهى القوه،فيخضع لهما مخالفا هدى اللّه و أوليائه.

كما ان من طبيعه الإنسان البحث بين متغيرات الحياه عن شىء ثابت يعتصم به،و اللّه يؤكد له ان لا شىء ثابت غير اللّه.

كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ لا ريب ان اللّه باق،لكن الآيه تؤكد على ان ما يتعلق به سبحانه هى الأخرى باقيه،فكلّ شىء هالك إلاّ ما كان لوجه اللّه تعالى،فوجه الشىء هو الظاهر منه، و وجه اللّه هو سبيله و نهجه.

لَهُ الْحُكْمُ السلطه.

وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فله العاقبه و اليه المنتهى.

ص:۳۹۶

سوره العنکبوت

اشاره

ص:۳۹۷

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره:

۱-

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و سلّم:

«من قرأ سوره العنكبوت كان له من الأجر حسنات بعدد كلّ المؤمنين و المنافقين».

تفسير نور الثقلين ج /۴ص ۱۴۷ ۲-

عن أبى عبد اللّه الحسين-عليه السلام-أنّه قال:

«من قرأ سوره العنكبوت و الروم فى شهر رمضان ليله ثلاث و عشرين فهو -و اللّه يا أبا محمد-من أهل الجنه،لا أستثنى فيه أبدا،و لا أخاف أن يكتب اللّه علىّ فى يمينى إثما،و انّ لهاتين السورتين من اللّه مكانا».

تفسير مجمع البيان ج /۸ص ۲۷۱

الإطار العام

الاسم:

العنكبوت حشره حقيره إلاّ أنّ نسجها يرى فى كلّ مكان،و هى تعتمد عليه كأنّه فعلا بيت معمور إلاّ أنّ هبّه نسيم كفيله باقتلاعه..هكذا يضرب ربّنا مثلا للعلاقات الشركيه،و يسمّى به سوره تحدثنا عن حقيقه الدنيا،و علاقات أبنائها ببعضهم،و فتنتها للمؤمنين.

ما هى الدنيا؟و ما هى حقيقتها؟و ما هى علاقات أبنائها ببعضهم؟و ما هو مصيرها؟و ما هى مسئوليتنا فيها؟ إن عشرات من الأسئله ترتسم يوميا فى أذهاننا و نحن نصارع ظواهر الدنيا، و نجد فى الذكر الحكيم بصائر جليّه تهدينا ليس فقط الى الحقائق و انما ترفع الستائر الغليظه التى لا تدعنا نرى الدنيا على حقيقتها،و لعلنا نجد منظومه متكامله لهذه البصائر هنا فى سوره العنكبوت.

ص:۴۰۱

و يبدو أن الهدف الأسمى من هذه البصائر التى تجلو بها الأفئده الزّاكيه بناء المؤمن الصابر الذى يتحدى كالجبل الأشم عواصف الفتن.

لقد شاهدنا عبر الطواسين التى سبقت سوره العنكبوت،كيف جاهد رسل اللّه الأمم الفاسده. و ينبغى أن يسير على هداهم الصالحون الذين يجاهدون الفساد، و يصبرون على الأذى،و ينتظرون نصر ربهم،و هو كما يبدو موضوع هذه السوره.

من أجل تحقيق هذا الهدف التربوى المتسامى لا بد أن يعرف المجاهد حقيقه الدنيا،و حكمه فتنها،و ضرورتها،و أن الذين يرتكبون السيئات لا يسبقون ربهم -هذا ما نجده فى الآيات الثلاث الأولى-و يعرف ان مده الفتنه محدوده إلى أجل مسمّى،حين يلقى المجاهد ربه ليوفيه جزاءه.

أما الضغوط فتأتى من الوالدين اللذين قد يجاهداه على الشرك،و قد تأتى من المجتمع الفاسد الذى يريد أن يفتنه،و قد تأتى من السلطه الفاسده التى مهما كانت فتنتها شديده فانها أخف من عذاب اللّه.

و يعود القرآن يذكرنا بقصص نوح و إبراهيم و لوط و سائر الأنبياء العظام -عليهم السلام-و كيف جاهدوا رفض الفاسدين من أممهم،و ان اللّه أهلك أولئك الفاسدين،و نصر عباده المخلصين.كل ذلك يذكرنا به الرب لعلنا نتخذه قدوه،و نعرف أن سنن الصراع كانت جاريه عند المقربين الى اللّه سبحانه،و هم الذين اختارهم اللّه على علم،فكيف بنا و لمّا يعلم المجاهدون منا و الصابرون.

و عبر قصه إبراهيم و الحوار الذى جرى بينه و بين قومه المشركين يذكرنا الرب بزيف الأوثان،و انها تعبير عن العلاقات الاجتماعيه الباطله التى يتجلى زيفها فى الآخره،حيث أن الكفار الذين اتخذوا الأوثان محور تجمعهم يلعن بعضهم بعضا.

و يبدو ان الآيات(۳۶-۴۰)التى اختصرت قصص العديد من الرسل الكرام، و أو جزت القول فى مصير المكذّبين بهم تبين السنن الإلهيه التى جرت فيهم جميعا -سنه الإنذار،سنه الرفض،سنه العذاب المدمر-لعلنا نعرف حقائق كبرى من خلال تلك القصص و بالذات فيما يتصل بالجهاد فى سبيل اللّه.

و بعدها مباشره نقرأ الآيه التى سميت السوره بها و لعلّها تبين أهم بصائر السوره أو تختصر بصائرها جميعا و هى ان العلاقات الشركيه تشبه فى زيفها،و ثقه أصحابها بها،و اعتمادهم عليها العنكبوت التى اتخذت بيتا و إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت.

ما أكرم هذه الآيه،و ما أعظم البصائر التى فيها،و ما أحوجنا إليها و نحن نصارع المستكبرين و المترفين.

انها تبين واقع هؤلاء المشركين،و أنه أوهن البيوت،و أن عاصفه الرفض تقتلعها بإذن اللّه.

لماذا هم كذلك؟لأن بناء الخلق قائم على أساس الحق،أما بناؤهم فهو متشبث بنسج العنكبوت الباطل،و من خلال هذه البصيره يعرفنا الذكر بحقيقه الدنيا،و التى لو عرفناها هانت علينا مصيباتها،و احتقرنا زينتها،و اتقينا مكرها، و انقشعت عن بصائرنا غشاوه غرورها.

ما هو البرنامج الذى يجعلنا نعرف حقيقه الدنيا،و نتحدى الفتن التى تتوالى علينا؟ انه يتلخص فى تلاوه الكتاب،و اقامه الصلاه،و ذكر اللّه.

و يتعرض السياق لبيان الموقف من أهل الكتاب،و لعلّه بهدف تكميل الصوره،حيث أن الموقف من المفسدين أضحى واضحا من خلال قصص الرسل، و بقى الموقف من اتباع الرسل،و لأن تكريمهم يقتضى تكريم أتباعهم،و لأن جو

السوره هو جو الجهاد،و الجهاد مع الظلم و الكفر بحاجه الى وحده الصف،فانه كان مناسبا الحديث عن أهل الكتاب،و أنه ينبغى جدالهم بالتى هى أحسن، و بيان أسس الوحده التى تجمعنا و إياهم،و انما القسوه تكون مع الظالمين منهم(كما تكون مع الظالمين منا).

و يبين السياق مصداق الجدال بالتى هى أحسن.أى شواهد صدق الرساله التى تقنع المنصفين من أهل الكتاب،أما الكافرون فإنهم يجحدونها(من واقع كفرهم)فهذا النبى لم يكتب و لم يقرأ من قبل و قد جاء بآيات تتبين فى صدور العلماء فيصدقونها،بيد أن الظالمين يجحدون بها(من واقع ظلمهم)و هم يطالبون بالمزيد من الآيات و لا يعلمون أن أمر الآيات بيد اللّه لا الرسول،و هذا الكتاب العظيم أليس فيه آيه كافيه،و اللّه أعظم شهيد على صدق رسالاته بما يهدى القلوب الصادقه إليها و بنصره و تأييده لها.

و يجادل الذكر الذين يستعجلون بالعذاب،و يقول:انه سوف يؤخّر الى أجل مسمى،و لكن يأتيهم بغته و هم لا يشعرون،و ان جهنم لمحيطه بالكافرين،حيث تغشاهم النار من فوقهم و من تحت أرجلهم.

و هكذا يثبّت اللّه الذين آمنوا،و يعلمهم كيف يجادلون عن الرساله،و لكن ماذا عن الضغوط التى يتعرضون لها؟يقول ربنا:ان الهجره الى أرض اللّه الواسعه، و معرفه أن الموت قدر لكل نفس،و ان العاقبه هى الأهم،حيث يبوّء اللّه الصالحين جنات جزاء أعمالهم،و ان علينا الصبر على البلاء و التوكل على اللّه عند الشدائد حتى نستحق تلك الجنات.

و ان الأرزاق بيد اللّه،فلا يخشى المجاهد قطع رزقه بسبب الهجره،أو لأمره بالمعروف و نهيه عن المنكر.و يفصل الذكر الحديث فى ذلك،و يبين أَنَّ اللّهَ يَبْسُطُ

الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ و انه هو الذى يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيِى بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها .

و لكى تطمئن نفوس المجاهدين يبين القرآن حقيقه الدنيا،و انها لهو و لعب، و انما الحياه حقا فى الدار الآخره.

و ان علاقات المشركين باطله،و الدليل انها لا تنفعهم عند الشده،فحين تحيط بهم أمواج البحر،و تكاد تبتلعهم يدعون اللّه مخلصين له الدين،ثم يشركون بعدئذ باللّه.كفرا بنعمته،و مزيدا من التمتع بملذات الدنيا الزائله التى سوف يعلمون مدى خسارتهم بها.

ثمّ يبين اللّه انهم يؤمنون بالباطل،و يكفرون بنعمته عليهم-و الرساله أعظم نعمه-ألا تراهم لا يعتبرون بهذا الحكم الإلهى الذى يؤمن لهم السلام فى مكه، بينما يتخطف الناس من حولهم.

و بعد أن يبيّن مدى الظلم الذى يقترفه الذين يفترون على اللّه كذبا بحق أنفسهم و الناس،يبشر المجاهدين بأنه سيهديهم سبله التى تقربهم إليه،و تساعدهم للتمكن فى الأرض،و ان اللّه لمع المحسنين.

[سوره العنكبوت (۲۹): الآيات ۱ الى ۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . الم (۱) أَ حَسِبَ اَلنّٰاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّٰا وَ هُمْ لاٰ يُفْتَنُونَ (۲) وَ لَقَدْ فَتَنَّا اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اَللّٰهُ اَلَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ اَلْكٰاذِبِينَ (۳) أَمْ حَسِبَ اَلَّذِينَ يَعْمَلُونَ اَلسَّيِّئٰاتِ أَنْ يَسْبِقُونٰا سٰاءَ مٰا يَحْكُمُونَ (۴) مَنْ كٰانَ يَرْجُوا لِقٰاءَ اَللّٰهِ فَإِنَّ أَجَلَ اَللّٰهِ لَآتٍ وَ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ (۵) وَ مَنْ جٰاهَدَ فَإِنَّمٰا يُجٰاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اَللّٰهَ لَغَنِيٌّ عَنِ اَلْعٰالَمِينَ (۶) وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئٰاتِهِمْ وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ اَلَّذِي كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۷) وَ وَصَّيْنَا اَلْإِنْسٰانَ بِوٰالِدَيْهِ حُسْناً وَ إِنْ جٰاهَدٰاكَ لِتُشْرِكَ بِي مٰا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاٰ تُطِعْهُمٰا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۸) وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي اَلصّٰالِحِينَ (۹)

اللغه

۸[جاهداك]:اى أجهدا أنفسهما من أجل الضغط عليك.

أَ حَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا؟!

هدى من الآيات:

تفتتح سوره العنكبوت،التى تهون من شأن الحضارات الجاهليه آياتها الكريمه ببيان حقائق شتى،تمهد بها لبيان سنن اللّه فى المجتمعات الفاسده.

أولا-لن يترك الناس من دون فتنه تمحصهم كما تمحص النار الذهب،و انها سنه جاريه غابرا و حاضرا،ليعلم اللّه الصادقين و الكاذبين فى ادعائهم الايمان.

ثانيا:خطأ يزعم المسيئون انهم يتحدّون ربهم بذنوبهم كلا..انهم لا يعجزون.

ثالثا:و هناك أجل مسمى،لا بد أن يأتى المحسنين فينتهى بلاؤهم،و المسيئين فتنتهى أيام مهلتهم فيخسرون.

رابعا:الذين يجاهدون أهواءهم و شياطين الإنس انما يعملون لأنفسهم(و هم

بالتالى لا يربحون اللّه شيئا)ذلك لأن اللّه غنى عن العالمين.و من أعظم مكاسب هؤلاء ان اللّه سيكفر عنهم سيئاتهم و ليجزينهم أحسن ما كانوا يعلمون.

خامسا:من العقبات التى تعترض طريق المجاهدين عاده ضغوط الاسره،و قد أوصانا ربنا بالإحسان الى الوالدين،و لكن أمرنا بتحدى ضغوطهم التى تدفع باتجاه الشرك باللّه،و سيقف الجميع أمام رب العزه لينبؤهم بما كانوا يعملون،و ليوفيهم أجورهم،فالذين آمنوا و عملوا الصالحات يدخلهم فى الصالحين.

هكذا تأتى فاتحه السوره أذانا بما سوف تبيّنه آياتها الكريمه.

بينات من الآيات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ تشير هذه البسمله الى ما تحمله هذه السوره من معان من تجاوز عقبه الذات، و ترك الدنيا و زينتها،و لا يتم ذلك إلا بالتوكل على اللّه،و إعمار القلب بالإيمان، و بالتالى باسمه سبحانه.

[٢-١] الم* أَ حَسِبَ النّٰاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّٰا وَ هُمْ لاٰ يُفْتَنُونَ كان بعض اتباع الرسل من المؤمنين المخلصين يلقى فى قدور الزيت،و تحفر للبعض أخاديد تسعر نارا،و يلقون فيها أحياء،و كان البعض ينشرون بالمناشير،أو يقتّلوا،أو يصلبوا،و لم يفتنوا فى دينهم أو يتركوه لما يلاقونه فى سبيله،فثبت اللّه فى اللوح ايمانهم،و قيل لهم ادخلوا الجنه مع الداخلين،و هذه السنه جاريه فى كل زمان و مكان، مهما اختلفت الظروف و تعددت المشارب.

فبعض كان يستمر على الايمان رغم الفتن،و البعض عند ما يجد ان السجن و التعذيب و التشريد و القتل ثمن إيمانه،ينهار إلّا من رحم ربك.

جاء فى الأثر المروى عن الامام أبى الحسن عليه السلام فى تفسير الآيه انه قال لمعمّر بن خلاد:«ما الفتنه؟»قلت:جعلت فداك الفتنه فى الدين،فقال:

«يفتنون كما يفتن الذهب»ثمّ قال:«يخلصون كما يخلص الذهب » (۱)و حكمه الفتنه فى الدنيا أنها تطهر القلب كما يطهّر الذهب،و قد صنع اللّه الدنيا بطريقه تتناسب و الفتنه،

يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام:

«و لكن اللّه-جل ثناؤه-جعل رسله أولى قوه فى عزائم نياتهم،و ضعفه فيما ترى الأعين من حالاتهم من قناعه تملأ القلوب و العيون غناؤه و خصاصه يملأ الأسماع و الأبصار أداؤه،و لو كانت الأنبياء أهل قوه لا ترام،و عزه لا تضام، و ملك يمد نحوه أعناق الرجال،و يشد اليه عقد الرحال لكان أهون على الخلق فى الاختبار،و أبعد لهم فى الاستكبار،و لآمنوا عن رغبه قاهره لهم أو رهبه ماثله بهم، فكانت النيات مشتركه،و الحسنات مقتسمه،و لكن اللّه أراد أن يكون الاتباع لرسله،و التصديق بكتبه،و الخشوع لوجهه،و الاستكانه لأمره،و الاستسلام اليه أمورا خاصه لا يشوبها من غيرها شائبه،و كلما كانت البلوى و الاختبار أعظم كانت المثوبه و الجزاء أجزل ألّا ترون ان اللّه جلّ ثناؤه اختبر الأولين من لدن آدم الى آخرين من هذا العالم بأحجار ما تضر و لا تنفع،و لا تبصر و لا تسمع،فجعلها بيته الحرام الذى جعله للناس قياما،ثمّ جعله بأوعر بقاع الأرض حجرا،و أقل نتائق الدنيا مدرا و أضيق بطون الأوديه معاشا،و أغلظ محال المسلمين مياها،بين جبال خشنه،و رمال دمثه،و قرى منقطعه،و أثر من مواضع قطر السماء داثر، ليس يزكو به خف و لا ظلف و لا حافر،ثم أمر آدم و ولده أن يثنوا أعطافهم

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج /۴ص ۱۴۸

نحوه. » و بعد أن بين الامام انه لو كانت مكه فى مناطق ذات بهجه و ثمر لسقط البلاء

قال:

و لكن اللّه جلّ و عز يختبر عبيده بأنواع الشدائد،و يتعبدهم بألوان المجاهد، و يبتليهم بضروب المكاره،إخراجا للتكبر من قلوبهم،و إسكانا للتذلل فى أنفسهم،و ليجعل ذلك أبوابا[فتحا]إلى فضله،و أسبابا ذللا لعفوه،و فتنه كما قال:« الم أَ حَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ* وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ » (۱)أجل يتبين الايمان المستقر من العوارى حين تجرد العوائل من فلذات أكبادها، و حين يهجرون خلال حقول الألغام،ليكونوا طعمه يقتات عليها المتحاربون، و التعبير القرآنى «أَ حَسِبَ النّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا» استفهام استنكارى على أولئك الذين يتصورون ان طريق الإيمان ملىء بالورود.إن طريق الإيمان صعب.

و قد قال الامام الصادق عليه السلام :

«هلك العاملون إلّا العابدون،و هلك العابدون إلّا العالمون،و هلك العالمون إلّا الصادقون،و هلك الصادقون إلّا المخلصون،و هلك المخلصون إلّا المتقون، و هلك المتقون إلّا الموقنون،و إن الموقنين لعلى خطر عظيم » (۲)و يشرح الرسول-صلى اللّه عليه و آله-أنواع الفتن التى سوف تبتلى الأمه بها كما

جاء فى نهج البلاغه: و قام إليه عليه السلام رجل فقال:أخبرنا عن الفتنه و هل سألت رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-عنها؟فقال عليه السّلام:لما أنزل اللّه

۱- ۲) المصدر/ص ۱۵۰-۱۵۳

۲- ۳) بحار الأنوار ج ۷۰ ص ۲۴۵

سبحانه قوله: «الم* أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لاٰ يُفْتَنُونَ» علمت أن الفتنه لا تنزل بنا و رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله-بين أظهرنا،فقلت يا رسول اللّه ما هذه الفتنه التى أخبرك اللّه بها؟فقال:يا على إن أمتى سيفتنون من بعدى،فقلت:يا رسول اللّه:أو ليس قد قلت لى يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين،و أحيزت عنى الشهاده فشق ذلك علىّ فقلت لى:أبشر فان الشهاده من ورائك،فقال لى:إن ذلك لكذلك فكيف صبرك إذا؟فقلت:

يا رسول اللّه ليس هذا[من]مواطن الصبر،و لكن من مواطن البشرى و الشكر، و قال:يا على سيفتنون بعدى بأموالهم،و يمنون بدينهم على ربهم،و يتمنون رحمته، و يأمنون سطوته،و يستحلون حرامه بالشبهات الكاذبه،و الأهواء الساهيه، فيستحلون الخمر بالنبيذ،و السحت بالهديه،و الربا بالبيع،قلت:يا رسول اللّه فبأى المنازل أنزلهم عند ذلك أ بمنزله رده أم بمنزله فتنه،قال:بمنزله فتنه (۱) [۳]ثمّ يبين اللّه سبحانه إن الفتن تصيب الإنسان. عمل السيئات أو الخيرات،و ان مشكله الذين يعملون السيئات أو ينهارون أمام المشاكل أكبر لأنهم يخسرون الدنيا و الآخره.

وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ و الفتن تتباين أشكالها و صورها و جوهرها واحد،كما أن فتن السابقين كانت مختلفه،فقد جاء فى جوامع الجامع،

و فى الحديث: «قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين،ما يصرفه ذلك عن دينه،و يمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم و عصب ما يصرفه ذلك عن دينه » (۲)

۱- ۴) المصدر/ص ۱۴۸

۲- ۵) المصدر/و جوامع الجامع هو مختصر تفسير مجمع البيان للعلامه الطبرسى.

و نحن نرى اليوم من المجاهدين الصامدين تحت تعذيب الجلادين من البطولات النادره ما يجعلنا نزداد يقينا بصدق الأخبار هذه،التى أنبأت عن صبر و صمود المجاهدين السابقين.

يضعونهم فى توابيت مغلقه لعده أشهر بل لعده سنوات،أو يسمرونهم على الحيطان خلال أعوام السجن،لا ينظفون تحتهم،أو يلقون بهم فى أحواض الأسيد، أو يعذبونهم بأجهزه تدار الكمبيوتر لتزرع أجسامهم بالألم الشديد،و تمنع عنهم النوم و الراحه لأسابيع،أو يحرقون أشد أجزاء بدنهم حساسيه بأعقاب السجائر،أو يعتدون على شرفهم و شرف أخواتهم و أزواجهم أمام أعينهم.

و لكنهم لا يزالون صامدين بتوفيق اللّه،لأن أرواحهم قد صفت من حب الدنيا،و ربتهم هذه الآيه الكريمه،و عرفوا حقيقه الدنيا و حقيقه الآخره،فلم يختاروا على الآخره شيئا.

و ليس المهم أن يعلم الناس إيمانك،بل الأهم أن يعلم اللّه صدقك.

[۴]مسكين ابن آدم يزعم انه يهرب من حكومه اللّه،أو يعجزه هربا،و يسبق قضاءه و قدره،و انما مثله

مثل الرجل الذى جاء إلى الامام الحسن عليه السلام فقال له:أنا رجل عاص،و لا أصبر عن لمعصيه،فعظنى بموعظه،فقال-عليه السّلام-:«افعل خمسه و أذنب ما شئت:فأول ذلك:لا تأكل رزق اللّه و أذنب ما شئت،و الثانى:

اخرج من ولايه اللّه و أذنب ما شئت،و الثالث:اطلب موضعا لا يراك اللّه، و أذنب ما شئت،و الرابع:إذا جاءك ملك المت يقبض روحك،فادفعه عن نفسك،و أذنب ما شئت،و الخامس:إذا أدخلك مالك فى النار،فلا تدخل فى النار،و أذنب ما شئت » (۱)

۱- ۶) بحار الأنوار/ج /۷۸ص ۱۲۶.

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ أَنْ يَسْبِقُونا يفوتوننا.كلا..

ساءَ ما يَحْكُمُونَ ما من يوم يمر على الصابرين حتى يقتربوا يوما إلى رحمه ربهم، و لا يمر يوم على الجلادين حتى يقتربوا خطوه إلى العذاب.

[۵] مَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ اللّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللّهِ لَآتٍ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ و تعطى هذه الآيه أملا لمن يرزح تحت سياط الجلادين،أو فى دهاليز المخابرات،أو المنبوذون بسبب إيمانهم،فمتى ما تناهى البلاء قرب الفرج،و ان جهادك و صبرك إنما هو بعين اللّه.

لقد بعث الطاغيه العباسى هارون الرشيد إلى الامام موسى بن جعفر عليه السلام الذى كان معتقلا عنده من يستميله،فرفض الامام و قال:ما محتواه:لا يمر على يوم إلّا و أزداد عند ربى ثوابا،و تزداد عند ربك عقابا،و سنلتقى عند ربنا للحساب.

[۶] وَ مَنْ جاهَدَ فَإِنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ عند ما يقاوم المؤمن سلبيات نفسه،و يتحدى ضغوط الحياه يكتب عند اللّه مجاهدا،و الجهاد:بذل الجهد قدر الطاقه فى سبيل اللّه،و جهاد الإنسان يحسب له، و لن يضيع اللّه عمل عامل.

و أيام الإنسان كالأوراق النقديه التى تسقط بسقوط نظام و قيام آخر،فهو إن لم يسارع إلى تغييرها،أو تحويلها إلى بضاعه،ستصبح مجرد أوراق ملونه بدون

رصید،و أیام ابن آدم إن ذهبت فلن تعود،

فقد ورد فی الحدیث عن أمیر المؤمنین علی (علیه السلام):

«ما من یوم یمر علی ابن آدم إلاّ قال له ذلک الیوم:یا بن آدم!أنا یوم جدید و أنا علیک شهید،فقل فیّ خیرا،و اعمل فیّ خیرا أشهد لک به یوم القیامه » (۱)فلنستغل الفرصه کیلا تتحول أیامنا إلی أوراق نقدیه لا رصید لها،

جاء فی الحدیث: «الدنیا ساعه فاجعلوها طاعه » (۲)و لا یزید ربنا بأعمالنا غنی.

إِنَّ اللّهَ لَغَنِیٌّ عَنِ الْعالَمِینَ [۷] وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُکَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَیِّئاتِهِمْ وَ لَنَجْزِیَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِی کانُوا یَعْمَلُونَ و هذه هی البشاره الکبری،فان ربنا-عز و جل-سیمحی السیئات عمن آمن و عمل صالحا،و یعطیهم بدل سیئاتهم حسنات،و هذه أسمی نعم اللّه علی المؤمن،فلو أن شخصا انتبه ذات صباح عند أذان الفجر فتماهل قلیلا-و أخذته الغفوه،ثم انتبه ثانیه،و إذا بالشمس قد طلعت فان علیه أن یصمم لمحو أثر هذا الذنب من نفسه بأن یقوم بعمل عظیم لئلا یفتضح فی یوم البعث علی رؤوس الأشهاد بأنه لم یصلّ الصبح ذلک الیوم إلاّ قضاء،آنئذ لا ینفعه الکذب،و لا تجدیه الواسطه،و أین هی تلک الواسطه التی تستطیع أن تغیّر ما فی الکتاب؟! بلی.فی ذلک الیوم ینفع شیء واحد ألاّ و هو اللّه الکبیر المتعال،و الواسطه هی

۱- ۷) سفینه البحار/الشیخ عباس القمی/ج /۲ص ۷۳۹

۲- ۸) بحار الأنوار/ج /۷۷ص ۱۶۴.

العمل الصالح،فمن عمل صالحا فان اللّه يبدل سيئاته حسنات،و تكتب له فى قائمه أعماله.

اذن فلنبادر إلى استغلال الفرصه،فكلنا مسىء،و من منا من لم يعمل السيئات؟!كلنا خطّاؤون،فلا بدّ أن نغسل خطايانا بالمزيد من الأعمال الصالحه،و العطاء فى سبيل اللّه-جهادا و تضحيه-عسى ربنا أن يغفر لنا خطايانا.

[٨] وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً إن أصعب الحالات التى تعترض الإنسان هى مقاومه المجتمع الذى ينشأ فيه، و هنا يشير القرآن الحكيم إلى ان اللّه يطلب من الإنسان أن لا يجعل والديه مبررا لتنازله عن مسئوليته،بالرغم من ضروره الإحسان إليهما و الاهتمام بهما، فالوالدان ليسا بالضروره مثالا يحتذى بهما الابن حتى لو ضغطا عليه خضع إليهما.

وَ إِنْ جاهَداكَ أى أكثرا عليك الضغوط.

لِتُشْرِكَ بِى ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما أى ضغطا عليك لتشرك باللّه-أيا كان نوع هذا الشرك-و إن ذكراك بالتعب الذى تعبا عليك فى تربيتك،و إن عابا عليك انتماءك إلى تجمع إسلامى.

فَلا تُطِعْهُما فهذا شرك خفىّ.

إِلَيَّ مَرْجِعُكَمْ فيوم القيامه لن يحاسبك أبواك،فأنت و هما سيحاسبكم اللّه جميعا.

فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ و الأب الذى يجعل ابنه نصرانيا،أو يهوديا،أو مجوسيا،أو طاغوتيا،أو مشركا مسئول يوم القيامه عما فعل،و لا تسقط من مسئوليه الابن شيء.

[۹] وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ لا تفكر بما أصابك فى جنب اللّه،فان اللّه سوف يبدلك بما هو أحسن،لقد كان مصعب بن عمير وحيد والديه الثريّين،و لكنهما طرداه بعد أن لم ينصاع إليهما، فجرداه من كل ما أسبغا عليه،و أخرجاه من البيت،و لكن ما ان أصبح وحيدا، فاذا بمجموعه من المؤمنين الصادقين ممن تصافت قلوبهم،و تلاقت أفكارهم على الإيمان يحتضنون مصعبا،فيتحول من طريد أهله إلى أول مبعوث لرسول اللّه صلى الله عليه و آله إلى أهل يثرب.

و كان بذلك أول فاتح إسلامى حقيقى للمدينه المنوره،و أول رجل يمهّد الأرضيّه لهجره الرائد العظيم رسول اللّه صلى الله عليه و آله .

فلا تتلف أعصابك،و لا تخف،و لا تحزن أيها المؤمن المجاهد فالمسأله هيّنه، فاذا أخرجتك عائلتك،فسوف تحتضنك القلوب و الأفئده،كما

قال الامام على عليه السلام : «من تهجره الأقران احتضنه الأبعاد. »

[سوره العنکبوت (۲۹): الآیات ۱۰ الی ۱۷]

اشاره

وَ مِنَ اَلنّاسِ مَنْ یَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ فَإِذا أُوذِیَ فِی اَللّهِ جَعَلَ فِتْنَهَ اَلنّاسِ کَعَذابِ اَللّهِ وَ لَئِنْ جاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّکَ لَیَقُولُنَّ إِنّا کُنّا مَعَکُمْ أَ وَ لَیْسَ اَللّهُ بِأَعْلَمَ بِما فِی صُدُورِ اَلْعالَمِینَ (۱۰) وَ لَیَعْلَمَنَّ اَللّهُ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ لَیَعْلَمَنَّ اَلْمُنافِقِینَ (۱۱) وَ قالَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا لِلَّذِینَ آمَنُوا اِتَّبِعُوا سَبِیلَنا وَ لْنَحْمِلْ خَطایاکُمْ وَ ما هُمْ بِحامِلِینَ مِنْ خَطایاهُمْ مِنْ شَیْءٍ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ (۱۲) وَ لَیَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ وَ لَیُسْئَلُنَّ یَوْمَ اَلْقِیامَهِ عَمّا کانُوا یَفْتَرُونَ (۱۳) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلی قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِیهِمْ أَلْفَ سَنَهٍ إِلاّ خَمْسِینَ عاماً فَأَخَذَهُمُ اَلطُّوفانُ وَ هُمْ ظالِمُونَ (۱۴) فَأَنْجَیْناهُ وَ أَصْحابَ اَلسَّفِینَهِ وَ جَعَلْناها آیَهً لِلْعالَمِینَ (۱۵) وَ إِبْراهِیمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اُعْبُدُوا اَللّهَ وَ اِتَّقُوهُ ذٰلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۱۶) إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّهِ أَوْثاناً وَ تَخْلُقُونَ إِفْکاً إِنَّ اَلَّذِینَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّهِ لا یَمْلِکُونَ لَکُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اَللّهِ اَلرِّزْقَ وَ اُعْبُدُوهُ وَ اُشْکُرُوا لَهُ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ (۱۷)

وَ لَيَعْلَمَنَّ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

اشاره

وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنافِقِينَ

هدى من الآيات:

تأكيدا لامتحان اللّه للإنسان فى إيمانه تذكرنا آيات هذا الدرس ان الإيمان انما هو وقر فى القلب،و ملكه نفسيه قبل أن يكون شعارا،و إن بعض الناس الذين يدّعون الإيمان حينما يفتنون فى سبيل اللّه بسبب إيمانهم ينهارون أمام الفتن، و يتنصلون عن إيمانهم،و إن ربنا سبحانه يرد على هؤلاء مستنكرا:ان هذا العذاب البسيط الذى لا يعدو كونه فتنه لا يساوى ذلك العذاب الشديد الدائم الذى ينتظركم.

إن هناك فرقا فى التعبير القرآنى بين الفتنه و العذاب،حيث نستوحى من لفظه الفتنه محدوديتها زمانا و مكانا،بالنسبه للفرد أو الجماعه،و أن الهدف منها هو اختبار الإنسان فى إيمانه ليس إلّا،أما العذاب فانه نتيجه لتلك الفتنه،فحينما يذهب المرء إلى قاعه الامتحانات فانه لا يلبث إلّا قليلا ثمّ يعود بعدها إلى منزله، و لكن نتيجه تلك السويعات القليله تستمر معه بعد ذلك و ربما تصل إلى سنين

عدیده،فالفتنه إذا تساوی بمحدودیتها العذاب بدوامه و استمراره،

و قد ورد فی الدعاء:

«یا رب و أنت تعلم ضعفی عن قلیل من بلاء الدنیا و عقوباتها،و ما یجری فیها من المکاره علی أهلها،علی أن ذلک بلاء و مکروه قلیل مکثه،یسیر بقاؤه،قصیر مدته،فکیف احتمالی لبلاء الآخره؟!و جلیل وقوع المکاره فیها؟!و هو بلاء تطول مدته،و یدوم مقامه،و لا یخفف عن أهله،لأنه لا یکون إلّا عن غضبک و انتقامک و سخطک » (۱)و تشیر الآیات القرآنیه بعد ذلک إلی الأخطاء المنتشره فی المجتمع،و لکنها قبلئذ تذکر بأن الأفکار الخاطئه تشبه الجرائم الخطیره التی إذا تکاثرت علی قلب الإنسان حجبته عن الخیر،و قضت علی کلّ أثر للسلامه عنده «کَلاّ بَلْ رانَ عَلی قُلُوبِهِمْ ما کانُوا یَکْسِبُونَ» و مثل علی هذه الأفکار أن یقول إنسان لآخر:اعمل ما آمرک به و أنا المسؤول عن ذلک غدا عند اللّه.إن هذا القول لا ینفی مسئولیه المنفذ،إذ أن من یتّبع إنسانا مفسدا فانه لا یستطیع الادعاء بأنه بریء،و لا شک ان المتبوع مسئول عند اللّه سبحانه،ذلک لأن الإنسان یتحمل تبعه تضلیل الآخرین فیعاقب علیها، دون أن یسقط عنهم العقاب.

و حین یبین القرآن الکریم هذه الحقیقه فلکی نتجنب الأفکار التبریریه التی تحول بین الإنسان و رؤیته للحقیقه،و التی تجعل الفکر مقیدا بحدود ضیقه،لا یری خلالها الواقع کما هو.

بدلا من تبنی هذه الأفکار الخاطئه أو اعتناقها،فان علی الإنسان أن ینفتح علی الحیاه، و یری الحقائق ببصیره ثاقبه دون حجب،و ینزع عن عینیه تلک النظارات القاتمه.

۱- ۱) مفاتیح الجنان/دعاء کمیل.

و هناك كثير من الناس يضع على عينيه نظّارات حمراء و خضراء و سوداء،و لكن على شكل مجلات،و جرائد،و إعلام مضّلل،فلا ينتبهون لذلك الاعلام المضلل، إن تلك المجلات الزاهيه ذات الورق المصقول،و الصور الملونه،تزرّق فى الأذهان تفسيرات خاطئه للأحداث و تبريرات مبتدعه للجرائم و تشويه للحقائق الواضحه،هذا عدا اللغو و الكذب و البهتان.

فعلى المؤمن أن لا يعطل عقله و يأخذ ما فى هذا الاعلام أخذ المسلمات،بل عليه أن يستخدم عقله،و يعمل على تغذيته بقراءات موجهه هادفه،ليرى العالم على حقيقته لا كما يراه الآخرون.

و بعد عرض و جهات النظر القرآنيه حول بعض الأفكار،يضرب ربنا سبحانه و تعالى الأمثال من واقع الأمم السابقه،و كيف ان المؤمنين قاوموا الصعوبات و هم يدعون إلى ربهم،دون أن ينهاروا إزاء الأذى و الصعوبات التى تعرضوا لها.

استمر نوح(عليه السلام)خمسين و تسعمائه سنه.يدعو قومه دون أن يستجيبوا له،حتى اضطر أن يستقل ظهر السفينه عند ما أراد اللّه إهلاكهم،فأنقذه اللّه سبحانه و الذين آمنوا معه من الطوفان،و هذا النبى إبراهيم(عليه السلام)يمكث فى قومه زمنا طويلا فلم يكن جزاؤه إلاّ الإلقاء فى النار،و لما نجّاه اللّه نفوه بعيدا عن بلاده،و هذه الامتحانات لا تدل على ان اللّه سبحانه لا يحب الإنسان،بل على العكس تماما،فقد تكون الفتنه فى كثير من الأحيان دليلا على حب اللّه للمفتون، و لرفع درجته عنده.

جاء فى الأثر: ان الامام الحسين عليه السلام رأى جده رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى المنام ذات مره فشكا إليه جفاء قومه،فقال له الرسول صلى الله عليه و آله :«يا بنى!إن لك عند اللّه درجه

مغشّاه بنور اللّه و لست تنالها إلاّ بالشهاده » (۱)

و جاء فی الحدیث المعروف: «أشد الناس بلاء الأنبیاء ثمّ الذین یلونهم الأمثل فالأمثل » (۲)

بینات من الآیات:

[۱۰] وَ مِنَ النّاسِ مَنْ یَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ ادعاء و لیس اعتقادا.

فَإِذا أُوذِیَ فِی اللّهِ جَعَلَ فِتْنَهَ النّاسِ کَعَذابِ اللّهِ و هل تقاس الفتنه التی یمتحن اللّه بها عباده بعذابه؟!انه قیاس باطل،فأین الفتنه المحدوده البسیطه التی قد تنطوی علی هدف کریم من العذاب الشدید الدائم،الذی یعنی نقمه اللّه و هوانه علی من فشل فی دار الفتنه،و ما الأذی الذی کان یلحق بالمؤمنین الصادقین من العلویین إلاّ لأنهم کانوا یثورون ضد السلطان الجائره الفاسده،و لا یتوانون عن الثوره رغم ما کانوا یلاقونه من قمع و إرهاب.

کانوا یلقون بالثلاثه أو الأربعه منهم فی سجن مظلم لا یمیّز فیه اللیل عن النهار، کانوا یتناوبون علی قراءه القرآن لتحدید مواعید الصلاه،فمثلا یقرأ الأول ثلث القرآن فیصلون الصبح،و یقرأ الثانی الثلث الثانی من القرآن فیصلون الظهر و العصر،و یقرأ الثالث الثلث الأخیر من القرآن فیصلون المغرب،أما غذاؤهم فلا یأتیهم إلاّ مره واحده فی الیوم یرمی به إلی طامورتهم المغموره الرطبه،التی تنتشر فیها الجراثیم و الحشرات السامه،و فی تلک الظروف الحرجه حیث القاذورات

۱- ۲) مقتل أبی مخنف ص ۲۴

۲- ۳) الکافی ج ۲ ص ۲۵۲.

و الروائح الكريهه و إذا مات أحدهم،يبقى على وضعه حتى ينتن جثمانه، و يتفسخ،ثم يموت الآخرون الواحد بعد الآخر فيهدم عليهم السجانون الطاموره بعد أن أضحى الجميع رميما.

و بالرغم من تلك الفتنه المجهده كان الواحد منهم-لو كتب له الخروج من تلك الطاموره-انما يخرج ليشهر سيفه ثائرا،و ما كان ذلك الإرهاب ليلويهم عن أهدافهم،لأنهم قد اختاروا طريقهم بوعى،و آمنوا بما عملوا إيمانا حقيقيا،و لأنهم عرفوا أن هذا الأذى الدنيوى أمره حقير،و خطره يسير،و أمده قصير،إذا ما قورن بما ينتظر أعداءهم يوم القيامه،ذلك العذاب الذى يتمنّى الإنسان لو أن عنده ملء الأرض ذهبا فيفدى نفسه به.

وَ لَئِنْ جٰاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنّٰا كُنّٰا مَعَكُمْ أ يتصور هؤلاء إن ادعاءهم الإيمان سينقذهم؟!يقولون:نحن مع المؤمنين حينما تكون عند المسلمين دوله،و لكنهم مع الكفار حينما يتعرض المسلمون للسجن و القتل!! أَ وَ لَيْسَ اللّٰهُ بِأَعْلَمَ بِمٰا فِي صُدُورِ الْعٰالَمِينَ بلى ان اللّه سبحانه يعلم ما فى صدر هذا و ذاك،و ما يكنّونه من الايمان أو الكفر.

[۱۱] وَ لَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْمُنٰافِقِينَ فاللّه يعلم من الذى آمن و صبر،كما يعلم من هم الذين آمنوا ثم انهاروا، و المنافقون هم أولئك.

[۱۲] وَ قٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنٰا وَ لْنَحْمِلْ

خَطٰايٰاكُمْ وَ مٰا هُمْ بِحٰامِلِينَ مِنْ خَطٰايٰاهُمْ مِنْ شَيْءٍ تعالى معى و انا أتحمل عنك تبعات عملك.انه منطق مرفوض قرآنيا،و هل يعمل الإنسان عملا دون ان يسأل عنه و يحاسب عليه؟!انك ستحاسب عليه يوم القيامه مع من أغواك،و يتبرأ منك.

[۱۳] وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقٰالَهُمْ وَ أَثْقٰالاً مَعَ أَثْقٰالِهِمْ وَ لَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ عَمّٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ كل مخطئ يتحمل خطاياه بقدر عمله و نيته،و يحمل مع أوزاره أوزار من تبعوه.

ان كل خطيئه تتحول يوم القيامه الى غلّ يناط بعنق المذنب،فكم سيحمل الجانى المضلل من أغلال يوم القيامه؟! من يظلم إنسانا،أو لا يعطى حقّا من حقوق اللّه كالزكاه أو الخمس،أو يغتصب أرضا فان ذلك يتحول الى ثقل يحمله على ظهره يوم القيامه.و فى الحديث:

روى الطبرسى عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله انه قال:

«ما من رجل لا يؤدى زكاه ماله الا جعل فى عنقه شجاع يوم القيامه » (۱)ثم يذكرنا الرب-مره أخرى-بقصه نوح فإبراهيم،و يعود السؤال الى أذهاننا:لماذا هذا التكرار؟و نقول:ان الحوادث التى خلّدها القرآن كانت ذات أهميه قصوى،فليست حادثه الطوفان،أو مجمل قصص إبراهيم و سائر المسلمين هيّنه نسمعها مره و نمضى عنها،لا بد أن تحفر فى قلوبنا،و تتحول الى وعى ايمانى عميق، يسمو بالبشريه أبدا الى التّكامل المعنوى،و هكذا يكرر الذكر هذه الظواهر المره تلو

۱- ۴) شجاع بضم الشين و كسرها:ضرب من الحيات.بحار الأنوار ج(۷)ص(۱۴۱)الحديث طويل أخذنا موضع الحاجه.

الاخرى،و يعتصر منها عبرها و آياتها و حكمها،و يلعن الظالمين ليصبحوا عبره، و يكرم أنبياءه الكرام ليصبحوا أئمه و هداه.

[۱۴] وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَهٍ إِلاّ خَمْسِينَ عاماً و رغم هذه المئات التسع و الخمسين سنه لم يؤمن قوم نوح به،فاضطر عليه السلام ان يدعو ربّه لينزل عليهم العذاب.

فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَ هُمْ ظالِمُونَ لم يأخذهم الطوفان الا لأنهم كانوا ظالمين.

[۱۵] فَأَنْجَيْناهُ وَ أَصْحابَ السَّفِينَهِ وَ جَعَلْناها آيَهً لِلْعالَمِينَ حيث أهلك اللّه أولئك الظالمين جميعا بذلك الطوفان الرهيب الذى وسع البسيطه، الا فئه محدوده كان اللّه قد أمرها بصنع سفينه فى الفلاه،ثم ركبوها و بدأ الطوفان.

أو ليس فى ذلك آيه للعالمين؟! [۱۶-۱۷] وَ إِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللّهَ وَ اتَّقُوهُ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أَوْثاناً دعا إبراهيم عليه السلام قومه الى عباده اللّه و تقواه،مبينا ان ذلك أفضل لهم،ثم حدد لهم ماهيّه افكارهم و واقعها عبر الأسلوب الرسالى الذى يتكرر فى كل رساله، و الذى يعتمد على نقطتين:

الف:بيان بصيره التوحيد التى تحقق للمجتمع حريته و استقلاله،و تمنحه القيم الانسانيه الراقيه من الحق،و العداله،و السلام.

باء:تعریه الواقع الفاسد،و تسلیط الضوء علیه لیتبین لأفراد المجمع خطوره الفساد الذی هم فیه.

أوضح النبی إبراهیم علیه السلام لقومه وضعهم المزیف بقوله: «إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أَوْثاناً» .

ثم ان هذه الأوثان التی تعبدون أنتم صنعتموها،ثم أضفیتم علیها صبغه الواقعیه،و لکن مهما فعلتم فانها تفتقر الی الواقعیه،و لعلنا نستوحی من قوله سبحانه: «وَ تَخْلُقُونَ إِفْکاً» حقیقه نجدها فی آیات أخری أیضا هی:أن الناس هم الذین یخلقون الطاغوت دون نفسه،لأن الطاغوت أضعف من ذلک،ان الذین یرضون بالطاغوت،و یسکتون علیه،و الذین یلتفون حوله،و یسمعون أوامره، و یحاربون معه،أولئک هم الذین یخلقونه.

وَ تَخْلُقُونَ إِفْکاً ای تخلقون کیانا باطلا کذبا.

إِنَّ الَّذِینَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ لا یَمْلِکُونَ لَکُمْ رِزْقاً انکم أنتم الذین تعطون لما خلقتم القوه،و أنتم الذین تقتطعون لهم من أرزاقکم و لیسوا هم،و هل یستطیع الطاغوت ان یعیش دون ضرائب یفرضها علی أبناء الشعب؟! فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ فانبذوا هذا الواقع المزیف،و اطلبوا من بارئکم الحق رزقکم،فهو الجدیر بالطاعه،و الخضوع،و التسلیم،ثم...

وَ اشْكُرُوا لَهُ و الشكر هو العباده العمليه،كما قال: «اعْمَلُوا آلَ داوُدَ شُكْراً» و هذا يعنى:

ان تكون أعمالكم و سلوكياتكم بحيث تجلب لكم المزيد من النعم و البركات، و كذلك فان من يشكر يزداد رزقه،و نستوحى هذا المعنى من قوله تعالى: «فَابْتَغُوا عِنْدَ اللّهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ وَ اشْكُرُوا لَهُ» أى أنّ من يريد الرزق فليبتغه من اللّه بالعباده و الشكر،و قد قال تعالى: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» .

إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ و بالتالى ستعودون الى ربكم.

و مره أخرى يؤكد الذكر الحكيم ان كل الصفات الحسنه،و الأخلاق الفاضله انما تأتى من الايمان الصادق باللّه و اليوم الآخر،فمن يؤمن بيوم الجزاء سيجعل من حياته هذه مزرعه للخيرات،و قنطره للسعاده فى الآخره،كما يستمر السقف صحيحا ما دامت أسسه سليمه،فكذلك حياه الإنسان تعمر و تزدهر كلما كانت عقائده صحيحه و واقعيه.

[سوره العنکبوت (۲۹): الآیات ۱۸ الی ۲۴]

اشاره

وَ إِنْ تُکَذِّبُوا فَقَدْ کَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِکُمْ وَ مٰا عَلَی اَلرَّسُولِ إِلاَّ اَلْبَلاٰغُ اَلْمُبِینُ (۱۸) أَ وَ لَمْ یَرَوْا کَیْفَ یُبْدِئُ اَللّٰهُ اَلْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ إِنَّ ذٰلِکَ عَلَی اَللّٰهِ یَسِیرٌ (۱۹) قُلْ سِیرُوا فِی اَلْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ بَدَأَ اَلْخَلْقَ ثُمَّ اَللّٰهُ یُنْشِئُ اَلنَّشْأَهَ اَلْآخِرَهَ إِنَّ اَللّٰهَ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۲۰) یُعَذِّبُ مَنْ یَشٰاءُ وَ یَرْحَمُ مَنْ یَشٰاءُ وَ إِلَیْهِ تُقْلَبُونَ (۲۱) وَ مٰا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِینَ فِی اَلْأَرْضِ وَ لاٰ فِی اَلسَّمٰاءِ وَ مٰا لَکُمْ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لاٰ نَصِیرٍ (۲۲) وَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا بِآیٰاتِ اَللّٰهِ وَ لِقٰائِهِ أُولٰئِکَ یَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِی وَ أُولٰئِکَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ (۲۳) فَمٰا کٰانَ جَوٰابَ قَوْمِهِ إِلاّٰ أَنْ قٰالُوا اُقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجٰاهُ اَللّٰهُ مِنَ اَلنّٰارِ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیٰاتٍ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ (۲۴)

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ

هدى من الآيات:

يوصينا القرآن الكريم-مره بعد أخرى-بضروره العوده الى التاريخ للاعتبار بسير السابقين بنفس القدر الذى يؤكد فيه على ضروره البحث المباشر،و التطلع الى ما يحيط بالإنسان من مظاهر طبيعيه،و اثار تحمل اخبار الماضين،و ما يكتنف الحياه عموما من السنن و الحقائق و التطورات.

و التأكيد على هاتين القضيتين تحقق عده أهداف:

أولا:ان سعه الأفق العلمى،و شمول المعرفه البشريه يساعد الإنسان على النهوض من واقع التخلف،و التسامى الى سماء القيم بعيدا عن الخرافات و الأساطير،ذلك لأنه ليس ايمان الجاهل كايمان العالم،فكلما تقدم العالم فى ميدان العلم، اقترب أكثر فأكثر من حقيقه الايمان باللّه،و نشأه الكون،و بدء الحياه،و لذلك فالإيمان باللّه هو قمه العلم و المعرفه.

ثانیا:معرفه أحوال الأمم السابقه،و کیفیه نشوئها و تطورها،و الأدوات التی استخدموها،لا یتم الا بدراسه الآثار التی تحمل مخلفاتهم،و مطالعه کتاباتهم،و نوع تفکیرهم و فنونهم،عبر النقوش علی الصخور و الکهوف،و بتلک الدراسه المستوفاه، نستطیع التعرف علی الأمم السابقه،و کیف تقدمت و لماذا بادت.

ثالثا:ان الحیاه لم تکن علی وتیره واحده،و انما منح ربنا سبحانه الحیاه الکمال شیئا فشیئا،و خلقا بعد خلق،و لیس الأمر کما یقول الجاهلون بأن الطبیعه کانت شعله متوهجه منذ البدایه،و ستبقی هکذا الی النهایه،و لو کانت شعله منذ الأزل لانتفی الکمال،ذلک لان فلسفه الکمال تتخلص فی:ان المسیره ابتدأت من وضع غایه فی البساطه،ثم راحت تتصاعد فی مدارج الکمال عبر ملایین السنین، حتی وصلت الی ما نحن علیه الآن،و ستواصل المسیره فی المستقبل الی ان تصل القمه التی شاءها اللّه،فیأذن بأمره.

و العلم الحدیث قد توصل الی هذه النتیجه بدلیل علمی و هو قدره العلماء علی اکتشاف عمر الإنسان من الحفریات و الآثار التی یعثرون علیها،عن طریق التحلیل الطیفی لذره الکربون الموجوده فی الکائنات العضویه-الحیوان و النبات -و کلما مرّ قرن من الزمان علی ذره الکربون زاد فی عدد نیوتروناتها واحد،و بقدر ما فی الذره من نیوترونات یعرفون عدد القرون التی مرت علی هذه الذره، و بالتالی یعرف عمر الجمجمه مثلا بعد معرفه عدد السنین التی مرت علی هذه الذره،و ان دل هذا الاکتشاف علی شیء فانما یحمل دلاله علی ان الإنسان کانت له بدایه و کذلک کل الخلائق،و السیر فی الأرض هو من أجل معرفه تلک البدایه،و إذا کان اللّه سبحانه هو الذی أوجد الإنسان فی البدء و لم یکن شیئا مذکورا،أو لیس بقادر علی أن یعیده مره أخری؟!و لا یستطیع أحد ان یقول ان اللّه لیس بقادر لأن ابتداع الخلق من بعد العدم أصعب بذاته من إعادته،بعد ان کان-و بالطبع-لیس

أصعب على اللّه سبحانه،لان الأمور عند البارى سواء.

رابعا:لكى نعتبر من التاريخ العام بعد التعرف الدقيق على سير الأمم التى سبقتنا،يجب ان نتيقّن بأننا مسئولون عن أعمالنا،و أن السنن التى حكمت السابقين تحكمنا أيضا،و القرآن الحكيم حينما يحدثنا عن التاريخ فانه لا يتحدث بأسلوب علمى محض لمجرد نقل الخبر،و انما يخترق الفواصل الزمنيه ليبين:ان سنه اللّه تجرى فيمن يأتى بمثل ما جرت على من مضى.

و اكتشاف القانون لتطبيقه على الواقع الحاضر هو الهدف القرآنى،من هنا نرى ان النظره الاسلاميه للتاريخ(نظره عبريه)ليتحول التاريخ من حقيقه علميه الى حقيقه سلوكيه فى حياتنا،و الى حقيقه ايمانيه فى أذهاننا.

و من سنن اللّه:

أولا:ان اللّه يفعل ما يشاء،يرحم أو يعذب من يشاء،دون ان يقدر أحد على تحدى مشيئه الرب سبحانه،مما يجعلنا أكثر واقعيه و ان الناس يرجعون-بالتالى- الى ربهم ليوفيهم الجزاء الوفاق.

ثانيا:ان البشر لا يقدر على مقاومه قدره الالهى،فاذا نزل به فلا شىء و لا أحد ينصره أو يواليه.

ثالثا:الكفار لن ينالوا رحمه اللّه فى الدنيا،و ينزل بهم فى الآخره عذاب اليم.

كل ذلك قاله إبراهيم(عليه السلام)لقومه،و لكنهم كذبوه،و أرادوا ان يحرّقوه فأنجاه اللّه من النار.

بينات من الآيات:

[۱۸] وَ إِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ لستم أول من كذب،فقبلكم أمم قد كذبت،و حاق بها العذاب،فاعتبروا! و ليس على الرسول الا ان يبلغكم،و قد سبق القول:ان من مشاكل الإنسان النفسيه انه يعتقد بان الهدايه ليست من مسئوليته،و لكن القرآن الكريم يؤكد على ان السعى وراء الهدايه من مسئوليه البشر نفسه،و ليست مسئوليه الأنبياء، فمسئوليه الأنبياء تنتهى بمجرّد التبليغ،و على الإنسان ان يسلك بقيه الطريق.

[۱۹] أَ وَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ان بعض أنواع المخلوقات لها أعمار مديده جدا،و العرب يضربون المثل فى طول العمر بالغراب،يقال:(عند ما يشيب الغراب)لأن الاباء و الأبناء يرون الغراب نفسه رغم تعاقب الأجيال،و هذه الأنواع لا يمكن للفرد مراقبه أطوار حياتها،و هناك أنواع أخرى قصيره الأجل كالذبابه أو البعوضه التى لا تعيش أكثر من ثلاثه أيام، و كذلك هناك بعض الحشرات التى لا تلبث سوى ساعتين هما كل عمرها،و يمكن للإنسان ان يراقب ولادته و نهايته ببساطه ليعرف كيف يولد بيسر،و كيف ينتهى بلا ضوضاء،و ليعتبر ان عودته كما بدايته سهله و لا يعجز اللّه شيء،و لا يصعب عليه فعل سبحانه. إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ فإرادته سبحانه بين الكاف و النون.

[۲۰] قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ

ان قضيه السير فى الأرض لا يمكن ان تدرس فى الغرفه المغلقه،و انما على الطبيعه.ينقّب الإنسان عن الآثار،و يبحث فى الطبقات،و يدرس الحفريات، حتى يفهم كيف ابتدع اللّه الخلق ابتداعا.

و كل واحد قادر على ان يلاحظ تطورات الحياه،من خلال سيره فى الأرض، بأعين مفتوحه،و قلب واع،و ضمير يقظ.

ثُمَّ اللّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَهَ الْآخِرَهَ إذا عرفنا ان الخليقه لم تكن ثم كانت،و ان تحريكها يتم بصوره غيبيه(اى بتدخل قوه خارجيه فى الكون)نعرف بان اللّه هو الذى خلقها،و نعرف ان الذى خلقها قادر على ان يعيدها بعد ان يميتها و آنئذ نؤمن.

إِنَّ اللّهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لأنه يقلب الحياه خلقا بعد خلق،و نشأه بعد نشأه.

[٢١] يُعَذِّبُ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَرْحَمُ مَنْ يَشٰاءُ لأنه هو المالك المتصرف،و لا أحد يستطيع الاعتراض على مالكيته-شاء أم أبى-فهو الذى خلق،و وهب الحياه،و أهدى الوجود،و رزق الكائنات،فان عذب فبعدله،و ان رحم فبعفوه و تجاوزه.

وَ إِلَيْهِ تُقْلَبُونَ الى اللّه المآب و المرجع.

[٢٢] وَ مٰا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِى الْأَرْضِ وَ لاٰ فِى السَّمٰاءِ

فلا- تمنى نفسك بالتهرب من الجزاء،كما يمنّى المجرم نفسه بالفرار،فان عرف المرء منذ البدايه انه لا فرار من العقوبه فسوف يرتدع عن الجريمه.

وَ مٰا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لاٰ نَصِيرٍ و هذا ردّ لمن يمنّى نفسه بالشفاعات،و يظن مثلا ان عيسى عليه السلام سيفديه بنفسه، و يدرأ عنه العذاب،الا ان الحق تبارك و تعالى يقول:لا عيسى و لا سائر الأنبياء و لا الأولياء يستطيعون ان ينقذوكم من عذابه الا بإذن منه.

و ينذر ربنا الكفار الذين لا يؤمنون بيوم القيامه،بأنهم يائسون من رحمته،فلا ينتظروا منه رحمه-و هو الذى وسعت رحمته كل شيء-فلا يتمنوا عليه ان يدخلهم جنات النعيم،الا بعد الايمان و إصلاح أنفسهم.

[٢٣] وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيٰاتِ اللّٰهِ وَ لِقٰائِهِ أُولٰئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي و لعل الآيه تشمل فيمن تشملهم أولئك الذين يدّعون الإيمان بالآخره،و لكنهم يبنون عملهم و سلوكهم على أساس عدم وجود النشور.

وَ أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ و أحد أنواع العذاب اليأس.

ان المؤمن على العكس من ذلك،فهو يعيش الرجاء،فالرجاء يعطى فرصه التفكير فى المستقبل،و التخطيط للنجاح،و بلوغ الأهداف،و قد صدق الشاعر حين قال:

أعلّل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحه الأمل

فالعيش ضيق،و العمر كئيب،و الحياه مظلمه لولا فسحه الأمل،و لكن الكافر لا يملك فسحه الأمل،و لا روح الرجاء،لأنه لا يثق باللّه سبحانه،لذلك يعيش الألم.

[۲۴]تلك كانت خلاصه ما قاله النبى إبراهيم عليه السلام لقومه:إذ أمرهم بالفتح لأعينهم،و السير فى الأرض،و النظر فى سير الآخرين،و الاستخدام لعقولهم.

فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاّ أَنْ قالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ طلب إبراهيم عليه السلام من قومه التعقل و التروّى قبل الحكم السريع،و مناقشه واقعهم الفاسد على ضوء الادله،و مع ذلك لم يبدو منهم الا العناد و الرد القبيح بالقتل أو الحرق.

فَأَنْجاهُ اللّهُ مِنَ النّارِ و ما أوسع رحمه اللّه إذ لم يأخذهم بالعذاب بغته،فنحن لم نقرأ فى التاريخ أو فى القرآن:ان اللّه عذب قوم نمرود أو دمرهم،أو انزل عليهم رجزا من السماء،و انما قرأنا ان اللّه سبحانه أنجى نبيه من نارهم،فخرج مهاجرا عن القوم الظالمين.

إِنَّ فِى ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ أجل.ينبغى ان يكون أملنا باللّه تعالى قويا،فرحمته وسعت كل شىء،و قد سبقت رحمته غضبه،فهو مولانا.عليه توكلنا،و اليه أنبنا،و اليه المصير.

[سوره العنکبوت (۲۹): الآیات ۲۵ الی ۳۵]

اشاره

وَ قالَ إِنَّما اِتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ أَوْثاناً مَوَدَّهَ بَيْنِكُمْ فِى اَلْحَيواهِ اَلدُّنْيا ثُمَّ يَوْمَ اَلْقِيامَهِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَ مَأْواكُمُ اَلنّارُ وَ ما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ (۲۵) فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَ قالَ إِنِّى مُهاجِرٌ إِلى رَبِّى إِنَّهُ هُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ (۲۶) وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ جَعَلْنا فِى ذُرِّيَّتِهِ اَلنُّبُوَّهَ وَ اَلْكِتابَ وَ آتَيْناهُ أَجْرَهُ فِى اَلدُّنْيا وَ إِنَّهُ فِى اَلْآخِرَهِ لَمِنَ اَلصّالِحِينَ (۲۷) وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ اَلْفاحِشَهَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ اَلْعالَمِينَ (۲۸) أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ اَلرِّجالَ وَ تَقْطَعُونَ اَلسَّبِيلَ وَ تَأْتُونَ فِى نادِيكُمُ اَلْمُنْكَرَ فَما كانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاّ أَنْ قالُوا اِئْتِنا بِعَذابِ اَللّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ اَلصّادِقِينَ (۲۹) قالَ رَبِّ اُنْصُرْنِى عَلَى اَلْقَوْمِ اَلْمُفْسِدِينَ (۳۰) وَ لَمّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِيمَ بِالْبُشْرى قالُوا إِنّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ اَلْقَرْيَهِ إِنَّ أَهْلَها كانُوا ظالِمِينَ (۳۱) قالَ إِنَّ فِيها لُوطاً قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلاَّ اِمْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ اَلْغابِرِينَ (۳۲) وَ لَمّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِىءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَ قالُوا لا تَخَفْ وَ لا تَحْزَنْ إِنّا مُنَجُّوكَ وَ أَهْلَكَ إِلاَّ اِمْرَأَتَكَ كانَتْ مِنَ اَلْغابِرِينَ (۳۳) إِنّا مُنْزِلُونَ عَلى أَهْلِ هذِهِ اَلْقَرْيَهِ رِجْزاً مِنَ اَلسَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ (۳۴) وَ لَقَدْ تَرَكْنا مِنْها آيَهً بَيِّنَهً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (۳۵)

اللغه

۲۹[ناديكم]:النادى المجلس إذا اجتمعوا فيه.

۳۳[ضاق بهم ذرعا]:أی ضاق قلبه و قیل حیلته فیما أراد من حفظهم.

۳۴[رجزا]:أی عذابا.

ص:۴۳۹

وَ جَعَلْنٰا فِی ذُرِّیَّتِهِ النُّبُوَّهَ وَ الْکِتٰابَ

هدی من الآیات:

یواصل السیاق بیان قصه إبراهیم علیه السلام و قومه و کیف هاجر مجتمعه الفاسد،فآمن له لوط.و یبین ان التجمع الصنمی لا ینفع شیئا عند اللّه،إذ یکفرون ببعضهم یوم القیامه،و یتلاعنون،و مصیرهم جمیعا جهنم و لا یتناصرون،و لقد هاجر هو و لوط الذی آمن معه،و رزقه اللّه اسحق و یعقوب،و جعل النبوه و الرساله فی ذریتهما، و آتاه أجره فی الدنیا،و ادخله فی الآخره فی زمره الصالحین،ثم یبین قصه لوط و کیف واجه فساد قومه الفاحش من إتیان الرجال،و قطع السبیل،و الإجهار بالمنکرات.

اما قومه فقد طالبوه بالعذاب،فدعا ربه فنصره إلا أن الملائکه أصروا علی إبراهیم قبل ان یصبوا العذاب علی قوم لوط علیه السلام فجادلهم بان فی القریه لوطا،فأخبروه بأن اللّه سوف ینجیه و اهله إلاّ امرأته،و هکذا أنجاهم اللّه و دمر الباقین.

و لاـن سوره العنکبوت تشدد علی ضروره جعل محور العلاقه بین الإنسان و نظیره الإنسان علاقه الایمان باللّه،و رفض المحاور الوثنیه الأخری،لأنها زائله و ضاره،

و تستدرجنا الى عذاب اللّه الأليم،فإننا نجد إبراهيم عليه السلام يبين فكره هامه هنا هى:

ان اتخاذ الأوثان انما تم بهدف الموده المتبادله بين المشركين،و ان هذا الهدف باطل،إذ يكفر المشركون ببعضهم يوم القيامه.

ان البشر خلق اجتماعيا،و لعل اسم الإنسان و الناس مستوحى من هذه الفطره الراسخه فيه،اما كلمه الحضاره أو المدنيه فانها تشير الى حضور الإنسان عند نظيره، و هو بعيد عن ذات الفطره،الا ان هذه النزعه الاجتماعيه تضل سبيلها و هى كسائر الغرائز البشريه بحاجه الى توجيه و تزكيه،فكما غريزه الجنس يهذّبها الإسلام و يهديها الى السبيل القويم لها بالزواج،كذلك النزعه الاجتماعيه،و لكن بسبب انفلات هذه النزعه عن قنواتها المحدده،جرّت،البشريه الى مآسى مروعه.

كيف ذلك؟ قبل ان نجيب عن هذا السؤال نوضح حقيقتين:

الف:النزعات الفاسده فى قلب البشر هى التى تضحى علاقات اجتماعيه شاذه فى حياته،فحب المال حبّا جمّا يفرز الطبقيه،و التكبر يولد الاستكبار و العلو فى الأرض،و الجبن يسبب الاستضعاف،و الحرص يجر الى الفساد الاقتصادى.

و..و.

و لذلك كان الجبت و الطاغوت و جهان لعمله فاسده واحده،فعباده المال و التسليم للصولجان هو جبت القلب،بينما الديكتاتوريه و الاستبداد طاغوت المجتمع.

باء:ان الجاهليين الذين كانوا يعبدون الأوثان لم يكونوا ناقصى العقول الى هذه الدرجه ليزعموا ان هذه الأحجار التى يصنعونها بأيديهم هى التى خلقتهم

فعلا.

كلا..انما كانت الأوثان رمزا لتجمعهم،و تعبيرا عن نوع العلاقه التى ارتضوها لأنفسهم،و لذلك كانت الأصنام تكبر و تصغر حسب حجم القبيله،فهناك صنم قريش(هبل)يعتبر أكبر الأصنام فى الجزيره،لان تلك القبيله كانت تزعم انها كبرى قبائل العرب،و أصغر منها حجما كان صنم ثقيف(مناه)لان تلك القبيله كانت أقل مستوى من قريش،و كلما صغرت القبيله تضاءلت اهميه أوثانها،حتى بلغ بتجمع صغير حقير ان صنع لنفسه صنما من التمر،فاذا أصابتهم مخمصه وقعوا على إلههم المزعوم و التهموه عن آخره.

بعد بيان هاتين الفكرتين نجيب عن السؤال السابق:

باستثناء التجمعات التوحيديه انحدرت البشريه الى درك الوثنيه بطريقه أو بأخرى،إذ انها ارتبطت ببعضها عبر المصالح و العصبيات و الخرافات البعيده عن العلاقه التوحيديه. ما الذى جمع طبقه المترفين الى بعضهم؟أو ليس الحرص على تكديس الثروه؟!إذا المحور هنا حبّ المال،و العلاقه بالإنسان تمر عبر قناه جمع الثروه،و لا يحترم الإنسان كإنسان بل بصفته صاحب ثروه،إذ ان الاحترام هو للثروه ذاتا و لم يملكها بالتبع أ ليس كذلك؟!إذا الثروه معبوده،و هى محور العلاقه، و لا بد ان يختار و إلها رمزا يحترمونه و يكرمونه و يقدسونه،و بالتالى يعبدونه.ذلك الرمز قد يكون صنما من ذهب أو فضه أو أحجار كريمه-كما كان يصنعه الإنسان البدائى-و لكن قد يكون رمزا متطورا يسمونه ب(العلم)كما تصنعه امريكا،أو بتمثال الحريه،و برج ايفل،أو تمثال النيل أو التمساح.

و قد يختار تجمع المترفين شخصا يسمونه بالملك و يصبغون عليه قدرا من القداسه المزعومه،و الجلاله المزيفه،فيجعلونه رمزا لتجمعهم.

و كما محور الثروه كذلك محور القوميه و الوطنيه و ما أشبه،تنفلت من اطارها السليم،و تتحول الى صنم يعبد من دون اللّه.

أما و الآن و قد عرفنا ان هذه الأوثان التى كانت تعبيرا عن نزعات نفسيه شاذه و منحرفه جرت المزيد من الويلات على البشريه،فكم ارتكبت باسمها الجرائم و كم سوغت باسمها المجازر،و كم اشعلت نار الحروب الضاربه و لا تزال.

و قد بين ربنا على لسان محطم الأصنام إبراهيم عليه السلام ان اتخاذ الأصنام انما تم «موده بينكم»فالهدف هو إيجاد العلاقه،ثم أوضح أن الكفار سوف يتبرءون من بعضهم يوم القيامه.

و من هنا نعرف العلاقه بين الآيه الاولى و الثانيه فى هذا السياق،إذ ان رفض الإسلام للموده الوثنيه يقابله تشجيعه على الموده الرحمانيه،القائمه على أساس التوحيد.فكما حارب إبراهيم الوثنيه آمن به لوط،و رزقه اللّه اسحق و يعقوب، و من ورائهما الأسباط،و التجمع الايمانى،ذلك التجمع الذى باركه اللّه فى الدنيا، حيث أعطى جزاء إبراهيم عليه السلام وافيا،و فى الآخره ادخله فى الصالحين.أولئك الذين لا يتبرأ بعضهم من بعض.

اى تجمع يباركه الإسلام؟و هل كل تجمع مفيد؟و على اى أساس؟ ان التجمعات اليوم قائمه على محاور وثنيه،كالتجمع حول(وثن الوطنيه،أو صنم الاقليميه،أو القوميه،أو العنصريه،أو الطبقيه)هذه الأوثان التى قد يرمز لها بعلم،أو شخص(طاغوت)أو مسميات اخرى(كالجندى المجهول،أو تمثال الحريه،أو تمثال الفيل،أو التمساح،أو أبى الهول،أو شجره الأرز).

و لا تعنى هذه الرموز سوى النزعه الصنميه،ذلك لأن أولئك الذين كانوا

يقدسون الأصنام فى الجاهليه،التى كانوا يصنعونها من التمر ثم يأكلونها إذا جاعوا،هل كانوا يعتقدون فعلا- أنّها آلهتهم؟! كلا..فلو كانوا يعتقدون حقيقه أنّها آلهتهم لم يأكلوها عند ما يجوعون.انهم كانوا يزعمون أنّها رمز تجمعهم،لذلك كانت كل قبيله لها صنمها الخاص.

بينات من الآيات:

[۲۵] وَ قالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَوْثاناً مَوَدَّهَ بَيْنِكُمْ فِى الْحَيٰوهِ الدُّنْيٰا حيث اتخذتم وثنا يكون رمزا لعلاقاتكم فى الحياه الدنيا،بيد ان هذه العلاقات غير ثابته لأنها منبثقه عن النزعات النفسيه التى تتبخر عند الموت،فحينما ينزل ابن آدم الى قبره يودعه على حافته ماله،و عياله،و ذويه،و انتماءاته الحزبيه،و ولاءاته السياسيه،ليواجه مصيره وحده.

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَ مَأْوٰاكُمُ النّٰارُ وَ مٰا لَكُمْ مِنْ نٰاصِرِينَ ورد فى مواضع أخرى من القرآن تجسيد حى لبعض مشاهد الآخره،و هذه الآيه تعرض واحده من تلك الصور التى تجسّم النزاع الذى يدور بين الجماعات التى كانت متوحده فى الدنيا على بعض القيم المزيفه،إذا بهم يتلاعنون يوم القيامه،أما المؤمنون فيقول عنهم ربنا سبحانه: «وَ نَزَعْنٰا مٰا فِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوٰاناً عَلىٰ سُرُرٍ مُتَقٰابِلِينَ» (۱)

و جاء فى حديث مأثور عن أبى عبد اللّه الصادق عليه السّلام فى تفسير الآيه:

۱- ۱) الحجر/(۷۳).

عن مالك الجهنمی قال:قال لی ابو عبد الله:

«یا مالک انه لیس من قوم ائتمّوا بإمام فی الدنیا الا جاء یوم القیامه یلعنهم و یلعنونه الا أنتم،و من کان علی مثل حالکم » (۱) [۲۶]کلا الفریقین یعکسان طبیعه ما کانوا یعیشونه فی الدنیا من زیف أو حقیقه،و لکن علی الرغم من تکذیب القوم لإبراهیم علیه السلام و جوابه لهم بهذا المنطق الصارم،الا ان دعوته لم تذهب سدی حیث آمن به لوط علیه السلام .

فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَ قالَ إِنِّی مُهاجِرٌ إِلی رَبِّی إِنَّهُ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ و لوط علیه السلام بإیمانه قد حقق هجرتین لا هجره واحده،فالاولی هجره معنویه حیث هجر المجتمع الفاسد رافضا تمحوره حول الأوثان،لیتصل بالمجتمع الصالح المتمحور حول الایمان الحق،و الهجره الثانیه هجرته الجغرافیه حیث ترک مدینه بابل لیرحل الی مصر ففلسطین مع إبراهیم علیه السلام لکی یقوم ببناء محور جدید لتجمع یقوم علی أساس الایمان باللّه،و لیقوم بدوره فی تبلیغ رسالات ربه.

[۲۷] وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ وَ جَعَلْنا فِی ذُرِّیَّتِهِ النُّبُوَّهَ وَ الْکِتابَ وَ آتَیْناهُ أَجْرَهُ فِی الدُّنْیا وَ إِنَّهُ فِی الْآخِرَهِ لَمِنَ الصَّالِحِینَ و یشیر القرآن هنا الی امتداد إبراهیم عبر الزمن عن طریق اسحق و یعقوب، بینما کان أولاده بالفعل(إسماعیل و اسحق)و لکن اللّه سبحانه و تعالی رکز علی اسحق،و لم ینف إسماعیل و ذلک لان التجمع الرسالی امتدّ عبر الزمن عن طریق اسحق،و وراءه یعقوب،و من بعده ذریه طیبه کانت فیهم النبوه و الکتاب،

۱- ۲) تفسیر نور الثقلین/ج(۴)/ص(۱۵۱).

فتصدوا بذلك مسرح الاحداث،و كل أولئك كانوا من ذريه اسحق عليه السلام فى الوقت الذى كانت فيه ذريه إسماعيل عليه السلام تغط فى سبات و جهل و خمول الى ان بزغ نور رسول اللّه صلى الله عليه و آله فيهم،فكان رحمه للعالمين،و سيد المرسلين،و هكذا بارك اللّه فى امه إبراهيم بحيث أصبح ذكره اليوم محمودا عند أكثر من ملیارى إنسان.هذا فى الدنيا،أما فى الآخره فهو عند اللّه من الصالحين و كفى بذلك مقاما كريما.

[۲۸] وَ لُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفاحِشَهَ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ بدأ لوط(عليه السلام)باستنكاره على قومه الإتيان بالفاحشه،فقال لهم:

يا قوم انكم ترتكبون من الفواحش ما لم يسبقكم إليها أحد من العالمين،فأنتم أعظم خطرا،و أسوء شرا لأنكم ابتدعتم جرائم عديده.

و جاء فى حديث مروى عن الامام الصادق(عليه السّلام):

«ان إبليس أتاهم فى صوره حسنه،فيه تأنيث،عليه ثياب حسنه،فجاء الى شبان منهم فأمرهم ان يقعوا به،و لو طلب منهم ان يقع بهم لأبوا عليه،و لكن طلب منهم ان يقعوا به،فلما وقعوا به التذوه،ثم ذهب عنهم و تركهم فأحال بعضهم على بعض » (۱)[۲۹] أَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ وَ تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ اضافه الى فاحشه اللواط كانوا يقطعون الطرق الآمنه على الناس،لأن قراهم كانت فى مركز جغرافى حساس،فلا يسمحون بمرور القوافل.

وَ تَأْتُونَ فِي نادِيكُمُ الْمُنْكَرَ

۱- ۳) المصدر/ص(۱۵۷).

ای تجاهرون بالمنکرات،و تقترفونها فی نواديکم التی تجتمعون فیها بکل صراحه،فمن یعمل المنکر و یخفیه عن أعین الناس فان أمره هیّن و قد یغفر اللّه له، أما ان یفعل المنکر أمام الناس فذلک تعد علی الحرمات و القیم.

و ذکر فی بعض الروایات: «انهم کانوا یحذفون الحصاه علی بعضهم،و انهم کانوا یتضارطون فی مجالسهم » (۱)فَما کانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلاّ أَنْ قالُوا ائْتِنا بِعَذابِ اللّهِ إِنْ کُنْتَ مِنَ الصّادِقِینَ فوق ما اقترفوا راحوا یستکبرون،و یتوغلون فی التحدی،إذ أنّ من یعمل السیئات ثم یندم عسی اللّه ان یتوب علیه،اما ان یعمل السیئات،ثم یتحدی اللّه، فهو مخلد فی النار.

[۳۰] قالَ رَبِّ انْصُرْنِی عَلَی الْقَوْمِ الْمُفْسِدِینَ هناک انهی لوط علیه السلام رسالته،و أوکل الأمر الی اللّه،متوکلا علیه،طالبا منه النصره.و قد بقی ینصحهم ثلاثین عاما فلم یقبلوا.

[۳۱] وَ لَمّا جاءَتْ رُسُلُنا إِبْراهِیمَ بِالْبُشْری قالُوا إِنّا مُهْلِکُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْیَهِ إِنَّ أَهْلَها کانُوا ظالِمِینَ الحسم لا یتم الا بمعرفه القیاده العلیا،فالملائکه الرسل الذین جاؤوا لنصره لوط،و إهلاک قومه مروا فی طریقهم علی إبراهیم لکی یوعز ربنا سبحانه لإبراهیم:

بأنک أنت القائد الأعلی للتجمع الایمانی فی الأرض،و قد کان بإمکان هؤلاء

۱- ۴) المصدر.

الملائكه ان يذهبوا رأسا ناحيه لوط،و لكنهم مروا على إبراهيم جزاء من اللّه له على ايمانه الصادق و إخلاصه.

و هؤلاء الرسل لم يبدءوا إبراهيم بالإنذار،و انما ابتدأوه بالبشرى بان اللّه سيهب له اسحق و من ورائه يعقوب و الذريه الصالحه،رغم انهم يحملون العذاب لقوم لوط،و لا تخلو هذه اللفته من مفارقه كريمه و هى:ان ربنا سبحانه و تعالى قبل ان يهلك قوما كفروا و عاندوا بشر رئيس ذلك المجتمع إبراهيم عليه السلام بأنه سيعطيه ذريه صالحه،تحمل رايه الحق،و تنشر كلمه اللّه فى الأرض،فتلك هى المفارقه،يبشره بالعطاء أولا،ثم ينذره بأنه سوف يهلك الظالمين،و لكن إبراهيم عليه السلام حينما عرف ان اللّه مهلك قوم لوط فزع.

[٣٢] قٰالَ إِنَّ فِيهٰا لُوطاً و ذلك هو سلوك المؤمنين الصادقين،فمن صفات الأنبياء عليه السلام انهم رحماء بالبشر غيورون على المؤمنين،بحيث لم يتمالك نفسه،و اندفع قائلا:و ما هو مصير لوط؟!

و جاء فى حديث مأثور عن الامام الصادق عليه السّلام: ان إبراهيم كان يسعى لدرء العذاب عن قوم لوط،يقول الحديث(بعد بيان جوانب من قصه لوط):

«فقال لهم إبراهيم:لماذا جئتم؟قالوا فى إهلاك قوم لوط،فقال لهم:ان كان فيها مأه من المؤمنين أ تهلكونهم؟فقال جبرئيل عليه السّلام:لا،قال:فان كان فيها خمسون؟قال:لا،قال:فان كان فيها ثلاثون؟قال:لا،قال:فان كان فيها عشرون؟قال:لا،قال:فان كان فيها عشره؟قال:لا،قال:فان كان فيها خمسه؟قال:لا،قال:فان كان فيها واحد؟قال:لا،قال:فان فيها لوط، قٰالُوا:نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهٰا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كٰانَتْ مِنَ الْغٰابِرِينَ»

قال الحسن بن على عليه السلام :

لا اعلم هذا القول الا و هو يستبقيهم و هو قول اللّه عز و جل: «يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ» (۱) قالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيها لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ و فى هذه الآيه عوده للتذكر:بأن التجمع الاسرى مطلوب،و لكن فى حدود الايمان الحقيقى،و لان امرأه لوط كانت سيئه فقد أصبحت من الغابرين و استبعدت من الصالحين.

[۳۳] وَ لَمَّا أَنْ جاءَتْ رُسُلُنا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَ ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً كان لوط يحرث الأرض،و إذا به يرى مجموعه من الرجال يأتون اليه، فاستقبلهم بحفاوه و طلب منهم النزول عليه فى بيته ضيوفا،و لكن ما ان سمع القوم بقصتهم حتى هرعوا اليه يريدون ان يفعلوا الفاحشه،فضاق بهم ذرعا،و لم يدر ما يصنع،و لكن حينما رأى الضيوف حيره لوط طمأنوه..

وَ قالُوا لا تَخَفْ وَ لا تَحْزَنْ لا تخف على المستقبل،و لا تحزن على الماضى،فنحن رسل السماء إليك..

إِنّا مُنَجُّوكَ وَ أَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ [۳۴] إِنّا مُنْزِلُونَ عَلى أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَهِ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ

۱- ۵) المصدر/ص(۱۵۸).

و لا ـ بد من ملاـحظه الفرق بين«منزلين»بالتخفيف و«منزّلين» بالتشديد،الاولى من(انزل)اى دفعه واحده،بينما الثانيه من(نزّل)اى على فترات شيئا فشيئا،و الملائكه هنا أخبروا لوطا ان العذاب سينزل من السماء رجزا على الفاسقين دفعه واحده.

أما كيف نزل بهم العذاب؟

فقد روى ابو حمزه الثمالى قصه ذلك مفصلا فى روايه:

عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

ان رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله سأل جبرئيل كيف كان مهلك قوم لوط؟ فقال:ان قوم لوط كانوا أهل قريه لا ينتظفون من البول و الغائط و لا ـ يتطهرون من الجنابه،بخلاء أشحاء على الطعام،و ان لوطا لبث فيهم ثلاثين سنه،و انما كان نازلا عليهم و لم يكن منهم و لا عشيره له فيهم ثلاثين سنه و لا قوم،و انه دعاهم الى اللّه عز و جل و الى الايمان و اتباعه،و نهاهم عن الفواحش و حثهم على طاعه اللّه فلم يجيبوه و لم يطيعوه،و ان اللّه عز و جل لما أراد عذابهم بعث إليهم رسلا منذرين عذرا نذرا،فلما عتوا عن امره بعث إليهم ملائكه ليخرجوا من كان فى قريتهم من المؤمنين،فما وجدوا فيها غير بيت من المسلمين فاخرجوهم منها،و قالوا للوط:

«فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ» من هذه القريه الليله «بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ اتَّبِعْ أَدْبارَهُمْ وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَ امْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ» فلما انتصف الليل سار لوط ببناته،و تولت امرأته مدبره فانقطعت الى قومها تسعى بلوط،و تخبرهم ان لوطا قد سار ببناته،و انى نوديت من تلقاء العرش لما طلع الفجر:يا جبرئيل حق القول من اللّه تحتم عذاب قوم لوط، فاهبط الى قريه قوم لوط و ما حوت فاقلبها من تحت سبع أرضين،ثم أعرج بها الى

السماء فأوقفها حتى يأتيک امر الجبار فی قلبها،ودع منها ایه بینه من منزل لوط عبره للسیاره،فهبطت علی أهل القریه الظالمین فضربت بجناحی الأیمن علی ما حوی علیه شرقها،و ضربت بجناحی الأیسر علی ما حوی علیها غربها،فاقتلعتها یا محمد من تحت سبع أرضین الا منزل لوط ایه للسیاره،ثم عرجت بها فی حوافی جناحی حتی أوقفتها حیث یسمع أهل السماء زقاء دیوکها و نباح کلابها فلما طلعت الشمس نودیت من تلقاء العرش:یا جبرئیل!اقلب القریه علی القوم، فقلبتها علیهم حتی صار أسفلها أعلاها و أمطر اللّه علیهم حجاره من سجیل مسومه عند ربک و ما هی من الظالمین من أمتک ببعید (۱) [۳۵] وَ لَقَدْ تَرَکْنا مِنْها آیَهً بَیِّنَهً لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ ترکناهم عبره لمن یستفید من التجارب و الدروس التاریخیه.و قد أکّد اللّه سبحانه هذه الحقیقه فی آیه متقدمه من هذه السوره: «وَ إِنْ تُکَذِّبُوا فَقَدْ کَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِکُمْ» ثم قال: «قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ» .

فعلینا أن نسیر فی الأرض،و ننقّب فی الآثار،و نکتشف الی أیّ مدی من التحضّر أو التخلف وصلوا،حتی نفهم کیف کان هؤلاء،و لماذا هلکوا.

و ما أحوج البشریه الیوم للاعتبار بمصیر قوم لوط و هی تنزلق فی وحل الرذیله و الفحشاء،و تراها استمرأت الخلاعه و استباحت الزنا و انتشر فیها الشذوذ الجنسی و بدأ یکتسب وضعا قانونیّا فی بلاد عدیده،و بالرغم من تحذیر الحکماء،و إنذار الربّ بانتشار مرض الایدز فإنهم لا یزالون یهبطون نحو الهاویه،حیث غضب اللّه الذی لا یقدرون علی ردّه-أنجانا اللّه منه-.

۱- ۶) المصدر/ص(۱۵۸-۱۵۹).

[سوره العنكبوت (۲۹): الآيات ۳۶ الى ۴۳]

اشاره

وَ إِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيباً فَقالَ يا قَوْمِ اُعْبُدُوا اَللّهَ وَ اُرْجُوا اَلْيَوْمَ اَلْآخِرَ وَ لا تَعْثَوْا فِي اَلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (۳۶) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ اَلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ جاثِمِينَ (۳۷) وَ عاداً وَ ثَمُودَ وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَساكِنِهِمْ وَ زَيَّنَ لَهُمُ اَلشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ اَلسَّبِيلِ وَ كانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (۳۸) وَ قارُونَ وَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي اَلْأَرْضِ وَ ما كانُوا سابِقِينَ (۳۹) فَكُلًّا أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ اَلصَّيْحَةُ وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ اَلْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا وَ ما كانَ اَللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۴۰) مَثَلُ اَلَّذِينَ اِتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اَللّهِ أَوْلِياءَ كَمَثَلِ اَلْعَنْكَبُوتِ اِتَّخَذَتْ بَيْتاً وَ إِنَّ أَوْهَنَ اَلْبُيُوتِ لَبَيْتُ اَلْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (۴۱) إِنَّ اَللّهَ يَعْلَمُ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَ هُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ (۴۲) وَ تِلْكَ اَلْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ اَلْعالِمُونَ (۴۳)

اللغه

۳۶[و لا تعثوا]:يقال عثى إذا أفسد فسادا كثيرا.

۴۰[حاصبا]:الحاصب هو الريح العاصفه التى فيها الحصاء و هى الحصى الصغار.

وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ

هدى من الآيات:

اشاره

أوهن العلاقات الاجتماعيه،و أوهن الحضارات البشريه هى التى تقوم على أساس باطل،لأنّ هذه العلاقات و الحضارات و ان كانت قويه فى الظاهر،إلاّ أنها ضعيفه فى الواقع،لأنها لا تتفق و رسالات اللّه،و سنن الحياه،و عبر التاريخ، و يرفضها العقل و الفطره،مما يجعلها عرضه للزوال،لان من طبيعه الباطل الزوال و الزهوق،تماما كبيت العنكبوت الذى قد يخدع الإنسان بمداخله و مخارجه و هندسته،و لكنه سرعان ما يطير مع هبات الريح،و كذا هو عذاب اللّه بالنسبه لتلك الحضارات.

و تذكرنا هذه الآيات المباركه ببعض دروس التاريخ،و عبره الحضاريه،حيث تستعرض الأسباب التى أنهت مدنيات عديده،و تأتى بعده شواهد على ذلك،من مجتمعات متباعده زمنيّا،متباينه فى السلوك و التوجّهات،فمن قوم نوح إلى قوم إبراهيم الى قوم لوط الى قوم شعيب الى قوم عاد و ثمود،و بعد ذلك النموذج الأشهر

و هو قصه موسی و فرعون،متعرضا لقصه قارون.

و لنهایه الحضارات أسباب ذاتیه و خارجیه فی منظور القرآن،إلّا أنّ السیاق یبیّن الأسباب الذاتیه،لان العوامل الخارجیه لا تنهی الحضارات من دون وجود أسباب داخلیه لانهیارها، و حتی لو بدت بعض العوامل الخارجیه ذات أثر فعّال فلا بد أن نبحث فی أساس بنیان الحضارات مما أضعفها و جعل زوالها ممکنا،و تبین الآیات الممارسات الخاطئه التی تختلف من تجمع الی آخر،و لکنها تنتهی بالتالی الی ثلاثه عوامل-فیما یبدو لی-:

۱-الثقافه الجاهلیه:

حیث یلعب انحراف الثقافه دورا بارزا فی تبریر أخطاء الإنسان مما یجعله یفقد المناعه ضد الخطأ،و یغدو متراکم السلبیات عرضه للبوار،ثم ان الثقافه الباطله تحوّل القیم فتنحرف مسیره الحضاره الصاعده الی طریق هابط،و أخیرا تشوش الثقافه الفاسده الرؤیه فیتخذ البشر مواقف خاطئه،و لان الثقافه بمثابه البنیان التحتی لأیّ کیان،فمتی کان الأساس غیر سلیم،فان البنیان ینهار سریعا.

۲-الانحراف عن الصراط:

فالانحراف یذهب بطاقات الامه و الفرد بعیدا عن اهدافه الرئیسیه،کالذی یسیر بعیدا عن الجاده،لا تزیده السرعه الا بعدا،و کلما ابتعد الإنسان عن الطریق الذی ارتضاه اللّه له کلما قرب من نهایته،سواء کان الإنسان الفرد أم الحضاره.

۳-الاعتماد علی القوه المادیه:

ثقافه الإنسان الجاهلیه،و انحرافه عن الصراط یدفعانه الی تجاهل قدره اللّه، و الاعتماد أکثر فأکثر علی حسابات مادیه بحته،سواء کان یمتلکها هو أو تحیط به،

ناسيا ان من يسيّر الحياه هو رب العباد،و انه سبحانه هو الذى يشاء لا غيره،و هذه خاتمه المطاف فى مسيره التدهور البشرى،و حين تصل البشريه الى هذا المطلب،فقد اذن لها بالزوال.

و مع ان اللّه قدم لنا ادله واقعيه على أسباب سقوط الحضارات،الا أننا نرى الآن البرهان تلو البرهان على جاهليه هذا القرن،و زيف حقائقه،ففى هذا الزمان صار الهوى صنما،و صارت المظاهر الماديه قوت الإنسان اليومى،و الشواهد و الأرقام تبين مدى الاخطار التى تهدد البشريه،و لا ريب ان التصاعد الجنونى فى ميزانيات التسلح فى العالم،و اتساع الفجوه العظيمه بين الدول المستكبره و المستضعفين، و انتشار الفساد الخلقى و الإرهاب و النفاق،هو بعض مظاهر الكفر فى الجاهليه الحديثه التى تهدّد مكاسب الانسانيه جمعاء.

بينات من الآيات:

[٣۶] وَ إِلىٰ مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ وَ ارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ بعث شعيب عليه السلام الى مدين من أجل الإصلاح،و قد كانوا مفسدين،و ذكرهم شعيب عليه السلام بثلاث مسائل:

١/عباده اللّه،و التى تعنى إخلاص العبوديه له،و التوجه إليه.

٢/و ارجوا اليوم الآخر الذى يعنى الخوف من النار و الرجاء للجنه،بمعنى ان يضعوا اليوم الآخر فى حسبانهم،و يعرفوا انهم محاسبون على أعمالهم،و متى ما عرف الإنسان ذلك صلحت أعماله.

٣/و لا تعثوا فى الأرض مفسدين،و فى آى القرآن الكريم فى سورتى الأعراف

و الشعراء فسادهم الاقتصادی.

[۳۷] فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِی دارِهِمْ جاثِمِینَ کعاده سائر الأقوام کذبت مدین نبیها شعیبا،و جرت فیهم سنه اللّه سبحانه، إذ أخذهم بالرجفه،فأصبحوا جاثمین فی بیوتهم،بعد ان صرعهم العذاب.

و هنا سبحانه یختصر السیاق ببیان الصراع بین نبی اللّه و بینهم،الذی فصل القول فیه فی سور مختلفه،فقال سبحانه:«فکذبوه»و لکنه فی المقابل یصف عذابه وصفا بلیغا،و لعل ذلک للاستخفاف بتکذیبهم،و ان تکذیبهم لم یکن لیضرّ اللّه، أو ینقص فی حکمه،و بیان ان اللّه سبحانه عند ما ینتقم فان انتقامه سیکون رهیبا.

[۳۸]و لم یکن العذاب لیحیق بمدین أو قوم لوط فحسب،بل ان العذاب علی من کذّب و تولی.

وَ عاداً وَ ثَمُودَ وَ قَدْ تَبَیَّنَ لَکُمْ مِنْ مَساکِنِهِمْ انظروا الی مساکنهم و آثارهم،لتعرفوا رهبه العذاب،و قدره اللّه سبحانه و تعالی،و فی المقابل انظروا الی أیّ مدی وصلوا فی التحضر،و هل کل ذاک التمدن منع عنهم عذابه.

وَ زَیَّنَ لَهُمُ الشَّیْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِیلِ عباده الشیطان کان السبب الرئیسی فی ضلالهم،فقد زین لهم اعمال السوء التی کانوا یعملون، و صدهم عن السبیل،و قد أخذ اللّه سبحانه من البشر عهدا بعدم عباده الشیطان عند ما قال لهم: «أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَیْکُمْ یا بَنِی آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّیْطانَ إِنَّهُ لَکُمْ عَدُوٌّ مُبِینٌ* وَ أَنِ اعْبُدُونِی هذا صِراطٌ مُسْتَقِیمٌ» (۱)

۱- ۱) یس/(۶۰-۶۱).

و لكنهم نكثوا عهدهم مع اللّه فحاق بهم نكثهم.

وَ كانُوا مُسْتَبْصِرِينَ و لعل الآيه تهدينا الى ان استبصار الأمم عند نشوئها لا يشفع لهم عند اللّه إذا انحرفوا،و ان على الأمم المستبصره ألّا تستهين بمكر الشيطان الذى يزين اعمال السوء فى أعين الغافلين و يصدهم عن السبيل.

و هنا فكره أخرى نستوحيها من هذه الخاتمه هى فكره الدورات الحضاريه،و ان الأمم الفتيه يغلب صلاحها على فسادها،إلّا أنّها لا تلبث ان يتغلب عليها جانب الفساد،و ان اللّه سبحانه يبعث الرسل لمنع تدهورها،الا ان كثيرا منها تتخذ طريقها الى النهايه المدمره.

[۳۹]و كما سائر الأقوام كذلك قارون و فرعون و هامان الذين استكبروا، و لكن هل كانوا قادرين على مواجهه عذاب اللّه؟! وَ قارُونَ وَ فِرْعَوْنَ وَ هامانَ وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مُوسى بِالْبَيِّناتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ما كانُوا سابِقِينَ تشير الآيه الى الاعمده الثلاث للفساد و هى:

۱-السلطه الاقتصاديه(قارون).

۲-السلطه السياسيه(فرعون).

۳-السلطه الاعلاميه(هامان).

فقد كان يمثل قارون الفساد الاقتصادى-الاحتكار،عدم دفع

الاستحقاقات،الطغيان على المجتمع،اتهام القياده-بينما كان فرعون يجسد الإرهاب السياسى و العسكرى،أما هامان فقد كان المستشار الاعلامى لفرعون و موضع سرّه،و لا يتجسد الفساد فى المال،أو السلطتين السياسيه و العسكريه و لا فى الاعلام،فهى مجرد وسائط اجتماعيه،و انما الفساد فى الرؤوس المدبّره لهذه السلطات الثلاث.

[۴۰]لقد كان حصيله تمسك هؤلاء بالفساد استكبارا فى الأرض الدمار،و لم يكن هلاكهم بدعا أو صدفه،انما كان سنه جاريه تكررت فى مختلف الظروف، و عند أمم متباينه تاريخيا و قوميا و فسادا.

فَكُلًّا أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَهُ و هذا جزاء قوم عاد و ثمود.

وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ قارون.

وَ مِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا فرعون و هامان.

وَ ما كانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ لم يكن اللّه ليظلم عباده،بيد ان عذابه للكافرين تجسيد لأعمالهم أنفسهم، و ظلمهم لها، و ان عذاب اللّه انما هو صوره لعدل اللّه سبحانه.

و نحن نعرف ان الجزاء من جنس العمل،و عذاب اللّه سبحانه-دنيا و آخره- انما هو صوره أخرى لأفعالهم،فمن قدس الماء غرق فيه،و من حفر الصخر عذب به..و هكذا.

قال الحجاج لسعيد بن حبير(رض)لما أراد قتله:اختر قتلتك،فأجابه سعيد بكل ثقه و اطمئنان:بل اختر أنت قتلتك التى سأقتلك بها فى الآخره.

[۴۱] مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ ان من اعتمد على غير اللّه،فان حضارته كبيت العنكبوت،و إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت.

فمهما كانت قوه الإنسان و قدرته،فانها لن تجدى نفعا امام قدره اللّه،بيد ان الضمان الوحيد لاستمرار الطاقات،و نمو الحضارات هو تبلور المفاهيم التوحيديه فى الواقع،و أداء واجب الشكر،و حق الطاعه،و اقتلاع جذور الشرك و العبوديه لغير اللّه.

[۴۲] إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ان اللّه يعلم حقائق الشرك الخفيه فى النفوس،و مصاديقها فى الواقع،مهما تعددت أشكالها،و تنوعت حقائقها،و اللّه عزيز قادر على الأخذ كيفما يشاء متى يشاء،و لكنه حكيم لا يأخذهم حتى يتم الحجه عليهم.

[۴۳] وَ تِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ وَ ما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ

وجود القابليه للهدايه و الرغبه فيها،و التحذر من مواطن السيئات التى وقع فيها من قبلنا شرط أساسى للاستفاده من عبر التاريخ.

و تعقل هذه البصائر لا يتم الا من العلماء لان أكثر الناس لا يعقلون.

ص:۴۶۱

[سوره العنکبوت (۲۹): الآیات ۴۴ الی ۵۱]

اشاره

خَلَقَ اَللّٰهُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً لِلْمُؤْمِنِینَ (۴۴) اُتْلُ مٰا أُوحِیَ إِلَیْکَ مِنَ اَلْکِتٰابِ وَ أَقِمِ اَلصَّلاٰهَ إِنَّ اَلصَّلاٰهَ تَنْهیٰ عَنِ اَلْفَحْشٰاءِ وَ اَلْمُنْکَرِ وَ لَذِکْرُ اَللّٰهِ أَکْبَرُ وَ اَللّٰهُ یَعْلَمُ مٰا تَصْنَعُونَ (۴۵) وَ لاٰ تُجٰادِلُوا أَهْلَ اَلْکِتٰابِ إِلاّٰ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ إِلاَّ اَلَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَ قُولُوا آمَنّٰا بِالَّذِی أُنْزِلَ إِلَیْنٰا وَ أُنْزِلَ إِلَیْکُمْ وَ إِلٰهُنٰا وَ إِلٰهُکُمْ وٰاحِدٌ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (۴۶) وَ کَذٰلِکَ أَنْزَلْنٰا إِلَیْکَ اَلْکِتٰابَ فَالَّذِینَ آتَیْنٰاهُمُ اَلْکِتٰابَ یُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مِنْ هٰؤُلاٰءِ مَنْ یُؤْمِنُ بِهِ وَ مٰا یَجْحَدُ بِآیٰاتِنٰا إِلاَّ اَلْکٰافِرُونَ (۴۷) وَ مٰا کُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ کِتٰابٍ وَ لاٰ تَخُطُّهُ بِیَمِینِکَ إِذاً لاَرْتٰابَ اَلْمُبْطِلُونَ (۴۸) بَلْ هُوَ آیٰاتٌ بَیِّنٰاتٌ فِی صُدُورِ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ وَ مٰا یَجْحَدُ بِآیٰاتِنٰا إِلاَّ اَلظّٰالِمُونَ (۴۹) وَ قٰالُوا لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَیْهِ آیٰاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا اَلْآیٰاتُ عِنْدَ اَللّٰهِ وَ إِنَّمٰا أَنَا نَذِیرٌ مُبِینٌ (۵۰) أَ وَ لَمْ یَکْفِهِمْ أَنّٰا أَنْزَلْنٰا عَلَیْکَ اَلْکِتٰابَ یُتْلیٰ عَلَیْهِمْ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَرَحْمَهً وَ ذِکْریٰ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ (۵۱)

خَلَقَ اللّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ

هدى من الآيات:

تركيزا بعد القصص التى تليت،و بيانا لمنهج الهى يقينا مصير الغابرين تأتى آيات هذا الدرس لتبين أولا:ان الحق أساس خلق السموات و الأرض،و حين نعرف ذلك نهتدى الى ان كل شىء يسير على هدى سنّه مفروضه عليه،و علينا- إذا-معرفه تلك السنن ان كنا نريد التعامل مع حقائق الخلق،و لا يجوز ان نتمنى ان يكون العالم المحيط بنا على صوره نصنعها فى أنفسنا ثم نتعامل مع تلك الصوره التى لا تمت الى الواقع بصله كما يفعل الجاهلون،و أكبر عقبه فى طريق العلم هو التصورات الذاتيه التى يتوهمها البشر،و يزعم بأنها هى الحقائق الموضوعيه.

و حين يثبت الوحى مبدأ الحق يبنى عليه مبدأ المسؤوليه،فليس بالتمنيات تقدر ان تبلغ الحياه الفضلى،انما بالسعى الرشيد،و العمل الجاد المخلص تتّقى العقاب الإلهى.

ثانيا:ان معرفه هذا المبدأ بحاجه الى قابليه فى القلب تأتى بالايمان و التسليم، ذلك ان القلوب المغلقه لا تستطيع ان تستوعب هذا المبدأ الشامل.

العين تعجز عن التركيز على نور باهر،و الاذن لا تسمع الأصوات ذات الذبذبات العاليه جدا،و كذلك القلب فليس كل قلب قادرا على معرفه الحقائق الكبرى فى العالمين،و انما القلوب المؤمنه التى روّضت بالتقوى،و بوركت بالوحى، و نورها اللّه بنوره البهىّ قادره على وعى هذه الحقيقه.ان محور الخليقه هو الحق «إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ» .

ثالثا:لكى نفهم هذا المبدأ،و نعتبر بالتالى بعاقبه الذين اهلكهم اللّه بفسادهم و عنادهم،لا بد ان نتلوا القرآن،لنقرأ من خلال آياته آيات اللّه فى الخليقه.

رابعا:و علينا ان ندفع عن قلوبنا هجمات الشيطان التى لا تتوقف،هذه الوساوس و الظنون و التمنيات جنود الشيطان التى تحيط بالقلب احاطه السوار بالمعصم،و الصلاه و ذكر اللّه حصن القلب ضدها.

خامسا:إيجاد علاقه إيجابيه و بناءه مع أهل الكتب الالهيه يساهم فى تكريس وحده الرسالات،و بالتالى رفع مستوى الوعى الايمانى للبشريه،و بالرغم من ان الجاهلين قد أوغلوا فى الكتب السابقه تحريفا و تأويلا باطلا،و بالرغم من وجود نواقص فى الكتب أتمها الإسلام،الا ان علينا احترام أهلها و عدم الجدل معهم الا بالتى هى أحسن.

و يمضى السياق فى بيان جدل الكفار فى رساله النبى و يرد شبهاتهم و يقول:ان الرسول لم يكن يتلو من قبل كتابا و لا يخطه بيمينه حتى لا يرتاب المبطلون فى صدق نزول الكتاب من اللّه عليه.

انما الكتاب آيات تعيها صدور العلماء،أما من يجحد بها فانما لظلمه،و لآثار الذنوب على قلبه،و هم يطالبون بآيات خارقه و هى عند اللّه و بأمره،و انما الرسول نذير و ما عليه الا البلاغ.

لو كان هؤلاء من أهل الهدايه كان هذا الكتاب كافيا لهم،أو ليس قد أنزله اللّه رحمه و ذكرى لقوم مؤمنين؟!

بينات من الآيات:

[۴۴]قد يعرف الفرد حقيقه واحده تفتح له أبواب المعرفه،و قد يجهلها فتصبح كل معلوماته لغزا،و الوحى الالهى يذكرنا أبدا بتلك المعارف التى هى كالمفتاح تفك رموز الخليقه.منها:ان بناء الأرض و السموات قائم على أساس الحق.

خَلَقَ اللّهُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ فهى ليست تصورات،و لا تمنيات،و لا تمشى حسب أهواء هذا و ذاك،و لا هى مخلوقه عبثا و بلا هدف.

أ رأيت لطف الخلق و دقته؟!أو رأيت فيه ثغره أو فطورا؟!هل رأى فيه أحد لعبا و لهوا و عبثيه؟! الا تنظر الى إتقان صنع المجرات التى تكاد لا تحد؟!و إتقان صنع البعوضه؟! أ فلا ترى حاله التكامل بين ابعد مجره،و أصغر دابه بل احقر جرثومه؟! اللّه أكبر.انه محور الحق الذى لا يحيد عنه شىء،و لكن لماذا لا نعى نحن هذا المحور العظيم الذى تهدى اليه كل الشواهد و الآيات.أ تدرى لماذا؟ القرآن الكريم يجيب قائلا:

إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَهً لِلْمُؤْمِنِینَ هل تستقبل الصخره الصلده برکات الغیث،و هل تنبت زرعا،أو تحفظ ماءا؟ کلا..لأنها لیست بذات قابلیه،کذلک القلب الصخری المعاند الذی یخلق فی ذاته صنما فیعبده و یزعم بأنه الحق،و یغلق علی نفسه منافذ المعرفه.

الایمان هو التسلیم،و التسلیم هو التصدیق،و القلب الذی یرفض سلفا قبول ای فکره کیف ینتفع بآیات العلم؟! [۴۵]لماذا یتحجر قلب البشر،و کیف نزیل قسوته و نجعله لیّنا،أو لا- أقل کیف نحافظ علی القلوب الخاشعه الا- تقسوا؟ الجهل،و الغفله،و اتباع الهوی،و طول الأمل،و العادات السیئه،و الأفکار الباطله،و وساوس الشیطان،و ظنون النفس،و تمنیات القلب کل أولئک یمکن ان تکون حجبا سمیکه علی القلب،أو مغالیق لا- تفک علی أبوابه،و علی الإنسان ان یقوم بجهد مکثف و دائم لتطهیر قلبه،و فک اقفاله،و فتح منافذه و لکن بماذا؟ بالکتاب،بالصلاه،بذکر اللّه.

اُتْلُ مٰا أُوحِیَ إِلَیْکَ مِنَ الْکِتٰابِ القرآن شفاء لما فی الصدور،کل آیه منه تفتح سبیلا للهدایه الی القلب،و تطهر جانبا منه،و علینا ان نتلوه فی آناء اللیل و أطراف النهار،و نتدبر فیه،و نلیّن قلوبنا القاسیه بآیاته.

وَ أَقِمِ الصَّلاٰهَ

دعنا نصلی صلاه الخاشعین لا صلاه الساهین،و عندئذ نعرف مدی الفائده العاجله التی نستفیدها منها.و لعل کلمه(الاقامه)تعنی إتیانها بشروطها،و من شروطها السکینه و الخشوع.و الفائده العاجله التی نرجوها بإقامه الصلاه ترکیز التقوی فی القلب،مما تبعدنا عن الذنوب الکبیره و الصغیره.

إِنَّ الصَّلاٰهَ تَنْهیٰ عَنِ الْفَحْشٰاءِ وَ الْمُنْکَرِ و لعل الفحشاء هی الخطایا الکبیره التی لا یمکن تبریرها کالقتل،و الزنا، و النهب،و السرقه،و الاعتداء علی حقوق الناس علنا.

أما المنکر فلعله الذنوب التی ینکرها القلب،و قد لا یعرف عنها المجتمع کالمساهمه فی قتل الناس عبر إسقاط شخصیاته بالغیبه و التهمه،و کذلک الغش و الرشوه و هکذا الریاء و النفاق و..و..

وَ لَذِکْرُ اللّٰهِ أَکْبَرُ ان من عظمه الصلاه انها ترسخ فی القلب عقیده التوحید و التی هی الینبوع الصافی لسائر العقائد السلیمه.

و لعل الآیه تشیر الی ان جوهر الصلاه هو ذکر اللّه،و لذلک کان علینا ان نهتم به سواء فی الصلاه أو فی حالات أخری،ذلک ان ذکر اللّه یحصن القلب من وساوس الشیطان،و یحفظه من همزاته،و یقاوم الغفله و الاسترسال.

و من المعروف ان ذکر اللّه لیس مجرد التلفظ ب«اللّه أکبر-لا إله إلاّ اللّه» و انما هو تذکر اللّه عند المعصیه فیصبر عنها،و عند الطاعه فیندفع إلیها،و عند المصیبه فیتسلی عنها،و عند الزحف فلا یولی الدبر.

[۴۶]الآيات التى مضت كانت تبين قصص الأنبياء مع الأمم،و لعل ذلك كان مناسبه للحديث عن موقف الإسلام من الرسالات السابقه،و جاء الجواب:

ان الموقف ايجابى و يتلخص فى:

الف:الجدال بالتى هى أحسن،دون خشونه أو عنف.

باء:توجيه العنف الى الظالمين منهم كما يوجه العنف ضد الظالمين من أبناء الامه الاسلاميه.

جيم:بيان أسس الوحده بينهم و بين المسلمين.

وَ لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلاّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ جاء فى بعض الروايات ان معنى هذا الجدال:ان تستدل بالأدله الواقعيه،و ألا تنكر حقّا يستشهد به صاحبك،و لا تدّعى باطلا لإثبات حقّك.

إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ و من هذه الآيه نستوحى:ان الإسلام لا يهتم فقط بالمسلمين-كطائفه بشريه -و انما أيضا بأبناء الطوائف الاخرى،فيقاوم الظلم انى كان و على أى شخص وقع،مسلما كان أو نصرانيا أو يهوديا و حتى لو كان مشركا.

الإسلام رساله اللّه لانقاذ الإنسان كإنسان،و على المسلم أن يكون نصيرا للمظلوم انى كان،

و جاء فى حديث:

«من سمع رجل ينادى يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم » وَ قُولُوا آمَنّا بِالَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْنا وَ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ إِلهُنا وَ إِلهُكُمْ

وَاحِدٌ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ و الواقع:ان وجود محور توحيدى واحد يؤمن به الجميع هو امتن أساس للتعايش السلمى بين الديانات.

[۴۷]قد تشتبه الأمور على بعض أهل الكتاب،بينما البعض الآخر يسارع للايمان بالرساله التى ختم بها اللّه رسالاته لمعرفته بجوهر الرسالات الإلهيه،الذى يتجلى بأفضل صوره فى هذه الرساله.

وَ كَذٰلِكَ أَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ الْكِتٰابَ لعل معناه:كما أنزلنا على الرسل من قبلك.

فَالَّذِينَ آتَيْنٰاهُمُ الْكِتٰابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ لأنهم يجدونه مكتوبا عندهم،و لأنهم يجدون فيه شواهد الصدق التى كانت فى الكتب السابقه.

وَ مِنْ هٰؤُلاٰءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ لعل المراد بهم الموجودون فى الجزيره من غير أهل الكتاب.

وَ مٰا يَجْحَدُ بِآيٰاتِنٰا إِلاَّ الْكٰافِرُونَ الذى يكفرون بنعم اللّه،و تنطوى قلوبهم على مرض،و إلا فان هذه الآيات واضحه لا ريب فيها.

[۴۸]و من شواهد صدق الرسول تفجر ينابيع الوحى على لسانه مره واحده، دون تكامل ذلك عبر التعلم أو بالتدريج،و دون ان يتصل بالوسط الاجتماعى الذى

هو فيه،بل و من دون ان يكون لذلك الوسط اثر عليه،بل يأتى أبدا تحدّيا لمفاسد الوسط،و فتحا لآفاق جديده من المعارف عليه.

وَ مٰا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتٰابٍ وَ لاٰ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَرْتٰابَ الْمُبْطِلُونَ [۴۹]و من شواهد الصدق على رساله الإسلام يقين أهل العلم و الحكمه و الفضيله فى الامه بها،ففى الناس-فى كل عصر و مكان-طيبون و آخرون فاسدون،و من خلال تمسك الطيبين بفكره نستشهد على صحتها،كما ان فى الناس علماء و جهال و ايمان العلماء بخط يزيدنا يقينا بصدقه.

بَلْ هُوَ آيٰاتٌ بَيِّنٰاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ و هم فى هذه الامه أئمه الحق من آل بيت الرسول-صلى اللّه عليه و آله و سلم- و العلماء باللّه،الأمناء على حلاله و حرامه،و هم أهل الذكر الذين أمرنا بالسؤال منهم.

وَ مٰا يَجْحَدُ بِآيٰاتِنٰا إِلاَّ الظّٰالِمُونَ أما الفئه الكافره بالكتاب فهم أولئك المنبوذون عند العرف،الذين يظلمون الناس،إذا من خلال طبيعه المؤمن و الكافر بالرساله نعرف مدى صدقها.

[۵۰]و يطالب الكفار-جدلا-بالمزيد من الآيات و الآيات الخارقه،بينما لا تجديهم الآيات نفعا،لأنها لو نزلت فكفروا بها لنزل بهم العذاب.

وَ قٰالُوا لَوْ لاٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيٰاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيٰاتُ عِنْدَ اللّٰهِ

فهو الذى ينزلها متى ما شاء بحكمته و بعد ان تنتهى فرصه القوم.

وَ إِنَّمٰا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ان الثقافه الجاهليه تلعب دورا هاما فى تبرير أخطاء الكفار المنهجيه،و لعل الآيات التى كانوا يطالبون بها كانت تدور حول موضوعات لا- غنى فيها كالجدليات البيزنطيه،بينما مهمه الرسول الاولى الإنذار لا- لكى يكرههم على الايمان،بل لكى تستضاء قلوبهم فيؤمنوا طوعا لينتفعوا بالايمان،و هذا-فيما يبدو -هو المنهج السليم للدعوه و به يتحقق الجدال باللتى هى أحسن.

[۵۱] أَ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنّٰا أَنْزَلْنٰا عَلَيْكَ الْكِتٰابَ يُتْلىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَرَحْمَةً وَ ذِكْرىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ أو ليس دليلا كافيا على عظمه هذا الكتاب الذى نستكشف منه رؤى الحياه و بصائر العمل انه رحمه للعالمين،حيث يقدم لهم برامج الحياه السليمه،و الرؤى الواضحه الصحيحه،و حيث يقوم بتذكير المؤمنين الذين رفعوا عن أنفسهم حجاب الجهل،و التكبر،فأثار فيهم دفائن عقولهم،و استحث هممهم الناشطه من أجل السير قدما فى مسيره تحرير الأرض و الإنسان من عبوديه الأوثان الى عباده اللّه الواهب المنان.

[سوره العنکبوت (۲۹): الآیات ۵۲ الی ۶۳]

اشاره

قُلْ كَفىٰ بِاللّٰهِ بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مٰا فِى اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا بِالْبٰاطِلِ وَ كَفَرُوا بِاللّٰهِ أُولٰئِكَ هُمُ اَلْخٰاسِرُونَ (۵۲) وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذٰابِ وَ لَوْ لاٰ أَجَلٌ مُسَمًّى لَجٰاءَهُمُ اَلْعَذٰابُ وَ لَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ (۵۳) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذٰابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكٰافِرِينَ (۵۴) يَوْمَ يَغْشٰاهُمُ اَلْعَذٰابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَ يَقُولُ ذُوقُوا مٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۵۵) يٰا عِبٰادِيَ اَلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وٰاسِعَةٌ فَإِيّٰايَ فَاعْبُدُونِ (۵۶) كُلُّ نَفْسٍ ذٰائِقَةُ اَلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنٰا تُرْجَعُونَ (۵۷) وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ اَلْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا نِعْمَ أَجْرُ اَلْعٰامِلِينَ (۵۸) اَلَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (۵۹) وَ كَأَيِّنْ مِنْ دٰابَّةٍ لاٰ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اَللّٰهُ يَرْزُقُهٰا وَ إِيّٰاكُمْ وَ هُوَ اَلسَّمِيعُ اَلْعَلِيمُ (۶۰) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ وَ سَخَّرَ اَلشَّمْسَ وَ اَلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اَللّٰهُ فَأَنّٰى يُؤْفَكُونَ (۶۱) اَللّٰهُ يَبْسُطُ اَلرِّزْقَ لِمَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اَللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۶۲) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ اَلسَّمٰاءِ مٰاءً فَأَحْيٰا بِهِ اَلْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهٰا لَيَقُولُنَّ اَللّٰهُ قُلِ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاٰ يَعْقِلُونَ (۶۳)

قُلْ كَفىٰ بِاللّهِ بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ شَهِيداً

هدى من الآيات:

هل هناك أكبر من اللّه و من شهادته،و هو الذى يدبّر شؤون السموات و الأرض؟!كلا..اللّه بكل عظمته و سلطانه شهيد على صدق رسالاته،و كفى به شهيدا،و الخاسر حقّا هو الذى يؤمن بالباطل،و يكفر باللّه،(و برسالاته).

و يزعمون:أنّ دليل صدق الرسالات ينبغى أن يكون عذابا عاجلا- لمن يكفر باللّه،و لا يعلمون انه لو جاءهم لا ينفعهم ايمانهم شيئا،بل يأتيهم فجأه دون أن يشعروا،و لا- يعلمون ان العذاب الذى يطالبون به محيط بهم،لولا انهم محجوبون عنه بظاهر من الحياه الدنيا،و حين ترتفع عنهم حجبهم يغشاهم من كل أطرافهم.

لا بد من إخلاص الإيمان باللّه للتخلّص من عذابه،و لا يمكن التبرير بغلبه سلاطين الجور و الكفر،لأن أرض اللّه واسعه يمكن الهجره فى أطرافها،و لا ينبغى الخوف من الموت لأنّ كلّ نفس ذائقه الموت،و المرجع الى الربّ.

و ليرغب العاقل فى ثواب اللّه،حيث هيّأ للمؤمنين الذين يعملون الصالحات غرفا من الجنه خالدين فيها،أو ليسوا قد صبروا على البلاء،و لم يداخلهم اليأس لتوكلهم على اللّه،و لم يخشوا قطع أرزاقهم لأنّ اللّه يرزق كل دابه،كما يرزقنا و هو السميع العليم؟! (و اللّه يدعوهم لفطرتهم)فلأن سألتهم من خلق السموات و الأرض تراهم يعترفون بأن اللّه هو خالقهما،و مسخر الشمس و القمر،فلما ذا يسمحون للشيطان بإضلالهم؟! كذلك اللّه يبسط الرزق لمن يشاء،و يضيق على من يشاء،و هو محيط علما بكل شيء،فلما ذا نخشى الفقر و نكفر باللّه طمعا فى الغنى و هو الذى يدبر أمور الحياه، فهو ينزل من السماء ماء،و يحيى به الأرض من بعد موتها،فله الحمد،و لكن أكثر الناس لا يعقلون.

بينات من الآيات:

اشاره

[۵۲]الرساله هى تجسيد لصفات اللّه،و هذا ما نلاحظه من خلال تجلّى أسماء اللّه فى الرساله،فهى آيه من آيات الرحمه،و الحكمه،و العظمه و غيرها،و بنظره فى الرساله نعرف أنّ ربّنا رحيم،حكيم،عظيم،و الى غيرها من أسمائه الحسنى.

و من جهه أخرى فإنّ الرساله هى تحقيق لتطلعات العقل و الفطره،

فقد دخل اعرابىّ ذات يوم على رسول اللّه صلى الله عليه و آله طالبا منه النصيحه،التى لا يحتاج بعدها إلى نصيحه أخرى،فكان أن وضع رسول اللّه يده على قلب الرجل و قال:«ما قال لك هذا فافعل،و ما قال لك هذا لا تفعل فلا تفعل »فالرساله هى تلبيه لنداء الفطره،و ارواء لعطش الوجدان،و ليس بين الرساله و العقل تناقض،و لذلك

جاء فى بعض الروايات: «إن للّه على الناس حجتين:حجه ظاهره،و حجه باطنه،

فأما الظاهره فالرسل و الأنبياء و الأئمه-عليهم السلام-و أما الباطنه فالعقول » (۱)و شهاده العقل دليل على صحه الرسالات.

و من دلائل صدق الرساله تلك الانتصارات الهائله التى يمنّ بها الرب على عباده المؤمنين،بالرغم من قلّه عددهم،و ضعف عدتهم،حيث يقول سبحانه:

وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّهٌ فَاتَّقُوا اللّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۲)و المعاجز الخارقه و غيرها نتيجه استجابته لدعائهم،و حينما نقف مع الرساله،و نؤمن باللّه،فان الحياه ستسخّر لنا،

و فى الحديث القدسى: «عبدى أطعنى أجعلك مثلى،أنا حىّ لا أموت،أجعلك حيّا لا تموت،أنا غنىّ لا أفتقر،أجعلك غنيّا لا تفتقر،أنا مهما أشاء يكن،أجعلك مهما تشاء يكن » (۳)و هذه شهاده أخرى.

و شهاده اللّه تتجسد أيضا فى الحقيقه الفطريه التى يؤمن بها جميع الناس،و هى حقيقه الخالق و المخلوق،فلا بدّ للكون من إله،و لكن هذه المعرفه إجماليه،و إذا أردنا المعرفه التفصيليه،فان ذلك لا يأتى إلا من خلال الايمان باللّه،و معرفه آياته، و هذا لا يأتى أيضا إلّا من خلال التزامنا بتعاليم الرساله،و تطبيق أحكام الشريعه الغراء.

قُلْ كَفىٰ بِاللّهِ بَيْنِى وَ بَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مٰا فِى السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ إن اللّه يعلم ما تسرون و تعلنون،و يعلم خفاياكم،و هو الشاهد على ما تعملون من خير أو شر،من حقّ أو باطل،و ليس اللّه بظلام للعبيد.

۱- ۲) بحار الأنوار ج /۱ص ۱۳۷(من وصيه الامام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم).

۲- ۳) آل عمران۱۲۳/

۳- ۴) كلمه اللّه ص /۱۴۱نقلا عن آمالى الصدوق.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْباطِلِ وَ كَفَرُوا بِاللّهِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ و هناک علاقه حتميه بين الإيمان بالباطل و الكفر باللّه،فبمقدار إيمانک بالباطل يكون ابتعادک عن اللّه و كذلک العكس.

[۵۳] وَ يَسْتَعْجِلُونَکَ بِالْعَذابِ وَ لَوْ لا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجاءَهُمُ الْعَذابُ وَ لَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ إن مشكله السواد الأعظم من الناس هى انهم لا يفهمون أن الزمن هو سبيل الامتحان الذى رست عليه قواعد الحياه،حيث يفصل بين العمل و الجزاء و لذلک يطالب البعض بتعجيل العذاب،و لكن اللّه يعدهم بالعذاب حيث لا يتمكنون من التوبه أو العوده.

[۵۴] يَسْتَعْجِلُونَکَ بِالْعَذابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ إن الحقائق موجوده و لكنا لا نراها،و هى أشبه ما تكون بالطاقه الكامنه فى الأشياء،فعند ما تأكل مال اليتيم فانما تأكل فى بطنک نارا،و الكذب رائحه نتنه تخرج من فمک،و لكن جميع هذه المظاهر لا ترى الآن،إلّا إذا تغيّرت طبيعه الكون،و حينها يصبح المال نارا،و الكذب نتنا،و هذا هو العذاب الذى به يكذبون،و هكذا تكون جهنم محيطه بالكافرين.

[۵۵] يَوْمَ يَغْشاهُمُ الْعَذابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَ يَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فى ذلک اليوم سيغشاكم العذاب من كل حدب وصوب،و جزاؤكم من عين أفعالكم،و ستذوقون ما كنتم تعملون.

[۵۶]بعد أن ذكرنا القرآن بشهاده اللّه التى تكفى عن كل شهاده على صدق رسالاته،و بيّن أن الكافرين هم الخاسرون و ليس المؤمنون،و ان تأخير العذاب عنهم لا يعنى انه يمكن التخلص منه.كلا..بل هو موجود فعلا و محيط بهم،إذ أن أعمالهم هى التى يذوقونها عذابا حين يغشاهم من أطرافهم،و بالتالى بعد أن هز السياق ضمائرهم أخذ يعالج بعض العقبات التى تعترض طريق الإيمان،و من أبرزها:هيمنه الجبارين،فأمر بالهجره عن بلاد الكفر قائلا:

يٰا عِبٰادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وٰاسِعَهٌ فَإِيّٰايَ فَاعْبُدُونِ أنت عبدى،و الأرض أرضى،فاسع فيها و اعبدنى،و لا تخضع لسلطه الطغاه، لأنهم يرهبون الناس من الموت،و على الإنسان أن يتحرر من خوف الموت بمعرفه أنه لا ريب ذائقه،حتى يخرج من عباده الطغاه إلى عباده اللّه.

[۵۷] كُلُّ نَفْسٍ ذٰائِقَهُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنٰا تُرْجَعُونَ [۵۸] وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّهِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا نِعْمَ أَجْرُ الْعٰامِلِينَ الغرفه هى:الغرف المرتفعه،و هى قصر المؤمن،حيث ينعمون بالخلود، و الشباب،و الحور العين،و خدمه الولدان جزاء عملهم و إيمانهم،و هكذا يكون جزاء العاملين.

[۵۹] اَلَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ و لكن هذا الجزاء ليس بلا ثمن،فثمنه الصبر و التوكل،و هى من صفات المؤمنين.الصبر يعنى تحمل الصعاب من أجل مستقبل أفضل،و التوكل يعنى

استخراج كنوز الذات من أجل العمل.

[۶۰] وَ كَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَ إِيَّاكُمْ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ من الآيات الأربع الماضيه يبين اللّه حجابان يعيقان فهم الإنسان للوصول إلى الحقائق و هما:

الحجاب الأول:حذر الموت

كلّ حيّ يتحسس فى أعماقه ضروره الحذر من الموت،و من أولى ضروريات الحياه البحث عن النجاه و ضمان البقاء،و لكن قد يصل هذا الشعور إلى درجه المبالغه فتتضخم حتى نكون عبيدا للدنيا،إذن فلا نلقى بأيدينا إلى التهلكه،و لكن أيه ذله تلك أن نموت و نحن أحياء؟! إن ميزه الحياه الحيويه،و لفظ الحياه مشتق منها،فاذا فقدنا الحيويه و النشاط فكأننا أموات،فالحياه بلا حركه حياه ميته،لا روح فيها،و الإنسان بذلك يقتل نفسه بالمجان،لذلك كان الحذر المبالغ من الموت من أبرز العوائق أمام فهم الحياه، و العمل فى سبيل اللّه.

و يعالج القرآن هذه الحاله بدواءين هما:

أ-طرح حقيقه الموت و حتميته،فكل نفس ذائقه الموت،و ليس هناك مجال للهرب منه فاسع سعيك،و استفد من فرص الحياه.

ب-و الموت ليس واقعا مخيفا،بل إن الخوف هو فكره مخيفه تعشعش فى رأسك،و الموت ليس ما يحذر منه،و عند ما ترغب فى الموت توهب لك الحياه،

و يبقى سلاح الاعدام و التعذيب هما سلاحا الأعداء،و حين تتحداهما تستطيع أن تختار قرارك بحريه.

الحجاب الثانى:خشيه الفقر

إن كثيرا من الناس يحذرون الفقر،إلى درجه تجعلهم يمتنعون عن الإنفاق حتى على أنفسهم،مما قد يصل بهم إلى درجه الشح،و السبب فى ذلك هو نظرتهم الماديه البحته،و تغافلهم عن فكره العمل،و الجزاء،و النيه،فان اللّه يرزق على قدر النيه و الثقه به سبحانه،و ليس هذا دعوه للإسراف،بل دعوه للإنفاق فى سبيل اللّه، لكيلا تكون خشيه الفقر هو الحاجز الذى يحول دون وصولك إلى الحقيقه،فعلينا أن نؤمن بحكمه اللّه و تدبيره،فان اللّه لا يضيع أجر عباده المحسنين.

[۶۱] وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ فَأَنّى يُؤْفَكُونَ فاذا كانوا يعلمون بحقيقه الخلق،و الرزق،و ان اللّه مدبر الأمور،فلما ذا يبيعون إنسانيتهم من أجل لقمه عيش مغموسه فى و حل العبوديه؟!فليستنجدوا برب العالمين،مسخر الشمس،و صانع الكون،و عليهم أن يتركوا الغرور و التكبر لحظه ليكتشفوا واقع التخلف و الذل الذى يعيشون فيه.

[۶۲] اَللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ إن مفاتيح الرزق بيد اللّه لا بيد الرئيس،و قبض الروح بواسطه عزرائيل لا الاستخبارات المركزيه،فعليك أن تتحلى بالرضا و القناعه،فاللّه يعلم مقدار حاجتك،و ما هو الواجب إعطاؤه إياك وفق ما يناسب حكمته،و القضاء بيد اللّه،

فان أصابك شيء فلا تحزن،لان اللّه سيعوضك خيرا منه بسعيك و جهدك،و هذه المرحله لا يصل إليها إلاّ المؤمنون الحقيقيون.

[۶۳] وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِها لَيَقُولُنَّ اللّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ و ها هى شواهد الكون تترى،و دلائل العلم تتوالى،من أجل تأكيد حقائق الرزق،و لكنها لا تنفع إلاّ لمن يعقل هذه الحقائق و يستوعبها،و هذه وظيفه الإنسان و مسئوليته،و بمدى إدراكه و التزامه بها يكون جزاؤه و ثوابه.

[سوره العنکبوت (۲۹): الآیات ۶۴ الی ۶۹]

اشاره

وَ مٰا هٰذِهِ اَلْحَیٰاهُ اَلدُّنْیٰا إِلاّٰ لَهْوٌ وَ لَعِبٌ وَ إِنَّ اَلدّٰارَ اَلْآخِرَهَ لَهِیَ اَلْحَیَوَانُ لَوْ کٰانُوا یَعْلَمُونَ (۶۴) فَإِذٰا رَکِبُوا فِی اَلْفُلْکِ دَعَوُا اَللّٰهَ مُخْلِصِینَ لَهُ اَلدِّینَ فَلَمّٰا نَجّٰاهُمْ إِلَی اَلْبَرِّ إِذٰا هُمْ یُشْرِکُونَ (۶۵) لِیَکْفُرُوا بِمٰا آتَیْنٰاهُمْ وَ لِیَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ یَعْلَمُونَ (۶۶) أَ وَ لَمْ یَرَوْا أَنّٰا جَعَلْنٰا حَرَماً آمِناً وَ یُتَخَطَّفُ اَلنّٰاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَ فَبِالْبٰاطِلِ یُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَهِ اَللّٰهِ یَکْفُرُونَ (۶۷) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اِفْتَریٰ عَلَی اَللّٰهِ کَذِباً أَوْ کَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمّٰا جٰاءَهُ أَ لَیْسَ فِی جَهَنَّمَ مَثْویً لِلْکٰافِرِینَ (۶۸) وَ اَلَّذِینَ جٰاهَدُوا فِینٰا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنٰا وَ إِنَّ اَللّٰهَ لَمَعَ اَلْمُحْسِنِینَ (۶۹)

اللغه

۶۸[مثوی]:أی مقاما.

وَ إِنَّ الدّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ

هدى من الآيات:

إن الحياه التى لا تتصل بالآخره لا تستحق إلّا صفه اللّهو أو اللعب،و الفرق بين الصفتين هو:إن اللّهو عمل بلا هدف،بينما اللعب عمل بهدف غير محترم، و قد تكون حياه امرئ لهوا،حينما لا يضع لنفسه أهدافا،أو أن تكون اهتماماته ماديه و سطحيه و بالتالى غير محترمه كالأكل و الشرب و الجنس.

و الأهداف التى تقتصر على الوصول لمركز حساس،أو ثروه عظيمه،أو امتلاك وسائل ترفيهيه،دون امتلاك الفاعليات البشريه التى تغيّر مجرى الأحداث،هى مجرد أهداف غير محترمه.

و قد يضع الإنسان أهدافا لحياته الدنيا،و لكنه لا يستطيع أن يجزم أن بامكانه تحقيق هذه الأهداف،و هل إن الموت سيفصل بينه و بين ما يتمنى،و حتى لو حققها فهل ستستمر معه طويلا أم لفتره محدّده؟

إن هذه الأهداف هی الأخری لیست أهدافا جدیه لتعلقها بالحیاه الدنیا فقط، و التی تعتبر لعبا-حسب التعبیر القرآنی-

و ذات مره کان النبی الأعظم صلی الله علیه و آله جالسا بین أصحابه،فخط علی الأرض ثلاثه خطوط،فقیل له:یا رسول اللّه ما هذه الخطوط؟فقال:هذا ابن آدم مشیرا إلی الخط الأول،و هذه أمانیه مشیرا إلی الخط الثالث،فقیل له:و ما الخط الأوسط؟فأجاب صلی الله علیه و آله :هو الموت الذی یحول بین بنی آدم،و بین أمانیه،فالعاقل هو الذی یجعل الحیاه قنطره للآخره.

کل إنسان مفطور علی معرفه اللّه سبحانه،و لکن قد یفصل بینه و بین المعرفه حجب الغفله و النسیان و الهوی،فاذا ارتفعت هذه الحجب صارت الرؤیه واضحه، و لنأخذ مثالا من واقع الحیاه:عند ما یمرض ابنک،و تفتقد الطبیب المعالج،عندئذ تزول جمیع حواجز الجبت و الطاغوت،و تعرف اللّه و تتصل به،و یکون دعاؤک نابعا من صمیم فؤادک،و ما أن یتشافی حتی تنسی اللّه و نعمته علیک.

فالإنسان لا یعرف اللّه إلاّ عند الحاجه،و عند ما تنتهی حاجته تنتهی معرفته معها،فعند ما یرکب السفینه،و یمخر بها عباب المحیطات الشاسعه،و تتلقفه الأمواج الهادره،حینها فقط یتوجه قلبه بکل إخلاص إلی اللّه سبحانه.

إنه اللّه الذی تلجأ إلیه،و یتصل به قلبک فی أوقات الحاجه،حین تسد جمیع الطرق أمامک،و لا یبقی لک من منفذ من البلاء،حینها لا یبقی إلاّ أن تطرق أبواب السماء بدعائک الخالص،و المشوب بالعجز أمام قدره اللّه،حینذاک یأتیک الرد إلهیا فتزول جمیع العوائق و المشکلات،و هذه هی آثار اللّه،و بها نعرفه.

ثم یبین اللّه فی آخر آیات هذه السوره نعمه اللّه علی أهل مکه حین جعل لهم حرما آمنا و یتخطف الناس من حولهم.

و لكنهم مع وجود هـذه النعمه عنـدهم تراهم يؤمنون بالباطل و يكفرون باللّه، و يكـذبون رسوله،و هذه عاده أصـحاب القرى ان يكذبوا و ينسوا ما أنعم اللّه عليهم به،بل و قد يتخذون من النعم ماده للفساد.

و بعكس أولئك الـذين آمنوا باللّه و بالرسول و اتبعوه و عزروه و جاهـدوا معه.إن اللّه ليهـدينّهم سـبلهم. جَنّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ،و إن اللّه مع المحسنين،و سيحيق ربنا بالذين كفروا جهنم و بئس المهاد.

بينات من الآيات:

[۶۴] وَ مٰا هٰذِهِ الْحَيٰاهُ الـدُّنْيٰا إِلاّٰ لَهْوٌ وَ لَعِبٌ إن الحياه الـدنيا بصورتها العاديه،و مقوماتها،و أبعادها الماديه مجرد لهو أو لعب بلا هدف،فالأهداف الجديه ترتبط جديتها بمدى ارتباطها بالحياه الآخره، و القضايا الغيبيه.

وَ إِنَّ الـدّٰارَ الْآخِرَهَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ لَوْ كٰانُوا يَعْلَمُونَ و فى الـدار الآـخره تتوفر جميع مقومـات الحيـاه من الخلود الأبـدى،و اللـذات الجمّه،و الراحه النفسيه الممتزجه بالطمأنينه،فيتخلص المؤمن من هموم الدنيا، و مشاغل الحياه.

[۶۵] فَإِذٰا رَكِبُوا فِى الْفُلْكِ دَعَوُا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الـدِّينَ فَلَمّٰا نَجّٰاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذٰا هُمْ يُشْـرِكُونَ تبين هـذه الآيه الحالات النفسيه للإنسان فى بعض مواقفه الحياتيه،فحينما اضطر و احتاج إلى اللّه سبحانه،أقرّ له بالحكميه و السياده،و جعل له الولايه

و السيطره على الكون و الحياه،و هو الذى كان يعارض الرسل،و يكفر باللّه بالأمس،فما عدى مما بدى؟! و لكن ما أن تطأ قدماه ساحل الأمان،و يبتعد عن الخطر،و يستغنى عن الضروره،حتى ينقلب على عقبيه،و يكفر باللّه،و يشرك به فى قدرته و سلطانه، «فما للّه للّه،و ما لقيصر لقيصر»؟! كما أنّ هذه الآيه تبيّن حقيقه وجود اللّه،و هيمنته على الكون،

فقد قال رجل للإمام الصادق عليه السلام : يا ابن رسول اللّه دلّنى على اللّه ما هو؟فقد أكثر علىّ المجادلون و حيّرونى فقال له:يا عبد اللّه هل ركبت سفينه قطّ؟قال نعم،قال:

فهل كسر بك حيث لا سفينه تنجيك،و لا سباحه تغنيك؟قال:نعم،قال:فهل تعلّق قلبك هنا لك أنّ شيئا من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك؟قال:

نعم،قال الصادق عليه السلام :فذلك الشىء هو اللّه القادر على الإنجاء حيث لا منجى، و على الإغاثه حيث لا مغيث (۱)إذا أردت أن تعرف اللّه فاركب الأهوال،و ستعرف اللّه حيث لا ينفعك مال و لا بنون،و حينها ينفتح أمامك باب المعرفه الإلهيّه،و ترى آثار رحمه اللّه.

[۶۶] لِيَكْفُرُوا بِمٰا آتَيْنٰاهُمْ وَ لِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ و لقد أنعم ربنا على الإنسان بنعمه العقل و الفطره و البصيره،و لكن الإنسان يترك عقله إلى جهله،و بصيرته إلى عماه،و فطرته النقيه إلى شهواته الشائبه.

و التمتع مجرد اثاره عاجله لأعصاب الإنسان و شهواته، و المشكله فى الإنسان انه

۱- ۱) بحار الأنوار/ج ۲ ص ۴۱

يعتبر المتعه هدفه فى الحياه،و هذا الاعتقاد ناتج من الكفر بالقيم و الغيب و الروح، و المتعه لا- تتعدى بضع ثوان يشعر فيها الإنسان بالسعاده الوهميه،و لكن لا يعلم انه يحتطب على ظهره وزرا،و لذا

جاء فى الدعاء: «اللهم إنى أعوذ بك من ذنوب ذهبت لذاتها و بقيت تبعاتها ».

و سيعلم الكفار يوم القيامه فداحه الخطأ الكبير،حين فصلوا المتعه عن اطارها السليم،و فرّغوها من مضمونها الرفيع،و جعلوها ممارسات حيوانيه،تهبط بالإنسان إلى حضيض الرذيله و الشقاء.

[۶۷] أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً وَ يُتَخَطَّفُ النّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ميزه القرآن انه يستخرج أمثله من واقع الحياه لا من وهم و خيال،و لقد كانت الجزيره العربيه عبر التاريخ مسرحا واسعا للنهب و السلب،و انتهاك الحقوق، و تضييع الكرامات،حيث أصبح الإنسان لا يأمن على نفسه،أو ماله،أو عرضه، و حتى دينه،و كان شعار العرب حينذاك السيف،و دثارهم الخوف،فمنّ اللّه عليهم بنعمه الأمان و الرّخاء و الشبع،و أنزل منهاجه لتنظيم العلاقات الاجتماعيه و السياسيه و الاقتصاديه على أسس العدل و الحريه و التكامل و غيرها من مبادئ الانسانيه التى لا يختلف عليها العقلاء،و لا تختلف مع سمو تطلعات الإنسان و أهدافه.

أَ فَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَهِ اللّهِ يَكْفُرُونَ فوا عجبا للإنسان على جهله و كفره،و هل هناك شىء أوضح من نعم اللّه على الإنسان لكى يكفر بها؟!

إن اتباع الهوى،و السير وراء المصالح و الأهداف الشخصيه،تحوّل الباطل إلى حقيقه،و الكفر بالنعم إلى واجب شرعى.

[۶۸] وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمّٰا جٰاءَهُ أَ لَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكٰافِرِينَ أكثر الناس ظلما لنفسه و للآخرين هو من ينبذ القيم الإلهيه،و يستبدلها بقيم بشريه شيطانيه،و أخطر الكفار من أنكر القيم،و افترى على اللّه الكذب فى أحكامه،و لذا كان حد منكر الصلاه القتل شرعا،فالذى يؤمن بالصلاه و لا يقوم بها قد توجد لديه قابليه القيام بها فى المستقبل،أما الذى يكفر بها من الأساس، و يضع لنفسه تشريعات مزاجيه لا يجدى معه إلّا حدّ السيف.

و يكمن الخطر فى هذا الإنسان حين يلبس الباطل أثواب الحقّ،و يفيض على الباطل صبغه السمو و الالوهيه،و عاده ما تكون دوافع الكفر نفسيه كالكبر،أو الغرور،أو ترسخ تقاليد الآباء فى النفس،و لكن هل يعتقد هؤلاء إن جهنم لا تكفيهم جميعا؟!بلى..إن بها مثوى للكافرين و المتكبرين منذ أن خلق ربنا آدم عليه السلام و إلى يوم القيامه،و ليس ذلك على اللّه بعزيز.

[۶۹] وَ الَّذِينَ جٰاهَدُوا فِينٰا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنٰا وَ إِنَّ اللّٰهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ و يقفز إلى واجهه التفكير سؤال:ماذا نعمل لكى لا تتبدل قيمنا؟و كيف نهتدى إلى السبيل القويم؟ تجيب هذه الآيه الكريمه بأن شرط الهدايه هو الجهاد،لأن الجهاد يبعد الإنسان عن حب الذات و الأنانيات المقيته،و عند ما يكون الإنسان مجاهدا،فان أبواب

العلم و المعرفه ستكون مشرعه أمامه،و ما عليه سوى الجدّ و الاجتهاد.

و الإحسان شرط رئيسى فى المحافظه على القيم،لأنه يبعد الإنسان عن استغلال القيم لمصالحه الخاصه،بل يوجهها نحو خدمه الناس.

ص:۴۹۰

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ۱۴۲۶ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹